# عقيدة الشيعة الإماميّة

## عرضٌ ودِراسة

تأليف

السيد هاشم معروف

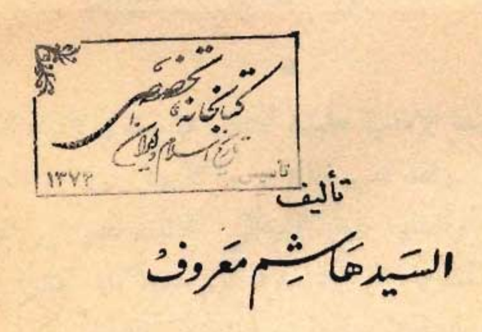
منشورات

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

# عقيدة الشيعة الإماميّة

## عرض ودراسة




تأليف

السيد هاشم معروف


منشورات

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر

بيروت — ص . ب ٣١٧٦

١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على محمد وآله الطيبين

•

لم يكن للشيعة الإمامية عقيدة تختلف عما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولقد كتب علماؤهم وأكثروا حول عقائدهم في مئات الكتب ، وأبطلوا جميع الشبه التي تخالف نصوص القرآن والسنة، ومع ذلك فما زال الكتاب قديماً وحديثاً كلما كتبوا حول هذه المواضيع يلصقون بهم ما يبرأون منه ، ويحملونهم اوزار غيرهم من الفرق الإسلامية .

وأخيراً قرأت كتاباً للمستشرق ( رونلدسن ) وهو دكتور في اللاهوت والفلسفة سماه عقيدة الشيعة الإمامية ، نتيجة بحثه عن الشعية في ايران والعراق .

ويظهر من كتابه أن اقامته في العراق كانت أياماً معدودة ، صادفت الزيارات المتعارفة عند الشيعة للنجف وكربلا ، فأخذ صورة مما تقوم به الطبقات العامة من عادات وتقاليد لاصلة

لاكثرها بالعقائد الدينية عند جميع الأمم ، ففي تلك اللمحة الخاطفة بين هاتين المدينتين ، وضع قسماً من كتابه ، ووضع القسم الباقي منه في المشهد الرضوي في ايران ، بعد أن اقام بها ستة عشر عاماً قضاها في البحث والتنقيب عن معتقدات الشيعة ، واكثر ما يعتمد على كتابي المجلسي (ره) بحار الأنوار وحياة القلوب ، ويعتمد على بعض الكتب التي لا يعتبرها الكثير من علماء الشيعة ، ولايعتمدون على رواياتها ومؤلفيها . وهناك كتب كثيرة جعلها من جملة مصادر كتابه ، واصحابها منهم مسلمون من مذاهب شتى ومنهم غير مسلمين . لذلك جاء كتابه مثالا للحشد والتلفيق والتشويش لعقائد فرقة من فرق المسلمين لا تقل عن التسعين مليوناً منتشرين في جميع انحاء العالم ، مازالت تستمد عقائدها وتعاليمها من الرسول الأعظم والعترة الطاهرة منذ وجدت بذرة التشيع في فجر الإسلام الى يومنا هذا ، وان الباحث في تاريخ الشيعة وائمتهم وعقائدهم لا يرتاب في أن المؤلف قد حاول الدس وايقاع الفتنة بين المسلمين بشتى الأساليب ليظهر الإسلام والمسلمين بأبشع المظاهر واشنعها ، ويري العالم اجمع ان المسلمين لا يصلحون لغير الإستغلال والإستعمار .

وحسبك شاهداً على ذلك ما ذكره في صفحة (٢٥٧) من كتابه ، نقلا عن كتاب سماه قاموس الإسلام ، قال : «وللشيعة عيد في الثامن عشر من ذي الحجة ، يضعون فيه ثلاثة تماثيل من العجين يملأون بطونها من العسل ، وهي تمثل ابابكر وعمر وعثمان ، ثم يطعنونها بالمدى فيسيل منها العسل تمثيلا لدين الخلفاء الغاصبين

ويسمى هذا العيد بعيد الغدير ، وهو كما يقولون يوم نصب محمد علياً وصياً له في غدير خم وهو منزل بين مكة والمدينة ».

ان نقله لهذه الأسطورة عن كتاب قاموس الإسلام ، اكبر شاهد على ما يدعيه من الدس على الشيعة الإمامية، وبعث روح البغضاء والتفرقة بين المسلمين ، وليس لما ذكره أثر عند الشيعة الإمامية .

وكل ما عندهم انهم يحتفلون في بعض العواصم الشيعية بذكرى هذا اليوم ويقف الخطيب والشاعر مرددين فضل علي وجهاده في سبيل ، الدعوة الإسلامية، وفضل من ساهم في بناء هذ االدين الإنساني الخالد من صحابة الرسول وغيرهم ممن خدموا الإسلام واخلصوا في تطبيق مبادئه المقدسة .

ولقد أقام المؤلف ستة عشر عاماً في العواصم الشيعية ، واكثر اقامته في المشهد الرضوي ، والشيعة في ايران احرص من غيرهم على التمسك بعقائد الشيعة ، ولو فرض وجود ذلك عند الشيعة ، لكانت ايران في طليعة من يقوم بتلك التقاليد ، فكيف خفي ذلك على المؤلف ولم يجعله من جملة مشاهداته في هذه المدة الطويلة ، بل نقله عن كتاب قاموس الإسلام ، ولو وجد شيء من هذا النوع قبل مئات السنين عند بعض الطبقات من الشيعة ، فلا صلة له بالعقائد التي تدين بها الإمامية ، وما هو المسوغ لذكره واعادته حياً في زمان قد تحرر من الأوهام والعادات الفاسدة التي كانت تفرضها ظروف السياسة ومصالحها ، أجل ان المسوغ لذلك هو بعث هذه الروح

السامة في نفوس المسلمين ليستغل اخصامهم ما ينتج عنها من نزاع وتناحر .

واليك مثلا آخر مما جاء في كتابه ، وجعله من جملة عقائد الشيعة ، اعتمد فيه على مشاهداته في كربلاء في الأيام المخصوصة لزيارة الحسين عليه السلام قال : « اذا مات الشيعي فهو عظيم الحظ ان وضعت قلادة من هذا الطين حول رقبته ، وخاتم من الطين في سبابته اليمنى ، ومعضد من الطين حول كل من ذراعيه ، وصرة من التراب الذي يكنس من القبر في يده اليمنى »

لقد قرأت هذا واكثر منه حول التربة التي تصنع في مدينة كربلا في كتاب المؤلف ، ولقد اقمت في جامعة النجف خمسة عشرعاماً ، وزرت كربلا اكثر من خمسين مرة ، ولم اسمع بما كتبه المؤلف مدة اقامتي في العراق ، ولا أثر لذلك عند الشيعة ولا هو موجود في كتبهم ، وكل ما في الأمر أن جماعة من سكان كربلا يأخذون التراب بعد تجفيفه وتماسكه لأجل السجود عليه ، ويستحسن عند الشيعة لهذه الغاية لأنه من تراب ارض تبضع فيها لحم الحسين في سبيل الحق والعدالة والحرية ، ويصح السجود عند الشيعة عليه وعلى غيره من التراب والأحجار والنبات ، وهذه عشرات الكتب لعلماء الشيعة تنص على ذلك

واليك مثلا ثالثاً مما كتبه حول وفاة الحسن عليه السلام بعد ان سرد جملة من الأساطير التي لم تذكر في كتب التاريخ

المعتمدة عند المسلمين .

قال : « وكان الحسن كلما سقي السم يذهب الى قبر جده ويحتك بحجر من احجار القبر فيذهب عنه السم ، والشيعة تعد ذلك معجزة للحسن ، وبعد هذا اضطربت اعصاب الحسن فقال لأصحابه ان صحته منذ سنوات عديدة لم تكن على مايرام في المدينة ، وقد قرر الذهاب الى الموصل ،وكان احد اسباب ذلك رغبته في الإبتعاد عن زوجته التي كان يخافها وكان في الموصل رجل اعمى يكره الحسن فسمم رأس عكازته وجاءه يوماً يطلب صدقة ، وكان الحسن جالساً متربعاً واحدى رجليه على الأرض، ووضع الأعمى رأس عصاه على رجل الحسن وداسها بثقله واعلن الأطباء ان العصا كانت مسمومة فسقوه بعض الأدوية فشفي »

وقد ينقل المؤلف عن ائمة الشيعة اموراً لا وجود لها في تاريخ الشيعة ولا في تاريخ غيرهم من المسلمين ، ويعتمد في ذلك على بعض المستشرقين الذين يكتبون بما يوحيه اليهم الإستعمار وسماسرته ، ولو كان المؤلف يقصد ان يأخذ صورة صحيحة عن الشيعة وعقائدهم لتم له ذلك بأقل من الزمن الذي قضاه في المشهد الرضوي بعد أن يتصل بعلماء الشيعة في ايران والعراق وغيرهما من الأقطار التي تضم الملايين من الشيعة ، ولعرف ان تلك الكمية الهائلة من الخرافات والآراء الفاسدة التي لا يعتمد في اثباتها على البحث والمنطق ، لا يتعرف عليها الشيعة ولا صلة لها بعقائدهم وكان في كتابه يمثل النزاهة والإخلاص

والتجرد لخدمة الحق والواقع من دكتور في اللاهوت والفلسفة .

لهذا ولغيره مما يحاك حول الشيعة من تدابير يراد بها التشنيع على الشيعة المتمسكين بالولاء للرسول الأعظم وعترته ، فقد وضعت هذا الكتاب الذي يبحث في عقائد الشيعة الإمامية على حسب الأصول المتبعة عندهم ، مما له مساس في الدين والمذهب معتمداً في ذلك على كتب الشيعة المعتمدة عندهم ، وابادر الى الأعتراف باني قد اخطئ كما يخطئ أي انسان غيري وأخضع للنقد والحساب إذا كان الدافع اليهما الإخلاص واحقاق الحق .

ولست باول من كتب حول هذا الموضوع فلقد سبقني الى ذلك عشرات الكتاب ، ولكني لا اعرف كتاباً كان بهذا الموضوع بخصوصه ولا عني به العناية التي يجب ان تكون ، لذا فاني عرضت عقيدة الإمامية في كتاب خاص لا يعنى بغير هذه الناحية ومنه سبحانه استمد العون والهداية .

**هاشم معروف**

# مَنْ هُم الشيعة ؟

الشيعة في اللغة هم الأتباع والأنصار ، ويقع على الواحد والأثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وهو من المشايعة والمتابعة ، وهذا المعنى اللغوي مطابق لما اختص به هذا اللفظ ممن تولى علياً وبنيه واقر بامامتهم ، واصبح هذا المعنى هو المتبادر للذهن من اسم الشيعة عند اطلاقه .

ولقد اكثر الكتاب في بدء التشيع لعلي عليه السلام ، فبين من يقول أن التشيع تكون بعد وفاة الرسول ، ومال آخرون الى ان الفكرة تكونت يوم مقتل الخليفة الثالث عثمان ، ويذهب البعض من الكتاب الى انها تكونت أيام فتنة طلحة والزبير في البصرة ، الى غير ذلك من الأقوال . وبعد أن بينا المعنى الذي يفهم من اللفظ عند اطلاقه ، لم يبق مجال للريب في ان فكرة التشيع قد تكونت قبل هذه الأزمنة التي حددها البعض من الكتاب يوم كان النبي صلى الله عليه وآله يغذي بأقواله عقيدة التشيع لعلي عليه السلام ، ويمكنها في اذهان المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة على اختلاف المناسبات .

وأول ما بدأ بها في مكة المكرمة ، يوم انزل الله عليه : وأنذر عشيرتك الأقربين . فجمع النبي عند ذلك بني هاشم وانذرهم كما أمره ربه ثم قال : ايكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي ؟ فلم يجبه احد الى ما أراد غير علي عليه السلام . فقال : هذا أخي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي . فكانت منه أول بذرة بذرها في تكوين فكرة التشيع لعلي عليه السلام ، واستمر في تنميتها طيلة حياته الشريفة ، الى أن كانت حجة الوداع في السنة العاشرة من هجرته ، فامره الله سبحانه بقوله الكريم : يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس .

ذكر جماعة من المفسرين منهم الرازي في تفسيره انها نزلت في فضل علي ابن ابي طالب ، ولما نزلت اخذ رسول الله بيد علي عليه السلام وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه

فلقيه عمر ابن الخطاب وقال : هنيئاً لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وهو قول ابن عباس ، والبراء بن عازب ، ومحمد بن علي عليهما السلام .

ففي ذلك اليوم ، وفي تلك الصحراء وقف النبي خطيباً في حشد من المسلمين ، لم يتفق ان تيسر له قبل ذلك ، ضم الأعيان والرؤساء ، فتكامل نمو تلك الفكرة التي كان يحرص على غرسها بين المسلمين ، منذ بدأ يدعو الناس الى عبادة ربه الكريم والتحرر من عبادة الأصنام .

وقبل الدخول في الناحية التي نريد بحثها ، لابد من بيان وجهة نظر الطائفة الشيعية في الخلافة الإسلامية ، التي هي الأساس في تكوين عقيدة التشيع ، وهي النقطة الوحيدة التي يرتكز عليها النزاع القائم بين المسلمين قديماً وحديثاً ، ولا نريد ان نستوعب الموضوع من جميع نواحيه ، ففي كتب الشيعة التي تعد بالمئات كفاية لمن اراد ان يتبسط في الموضوع ، ويصل الى الواقع اذا كانت ابحاثه بدافع التحرر من النزعات والأحقاد الموروثة في جو علمي وعقلي ، يسيطر على جميع العوامل والأعتبارات التي صبغت الخلافة الإسلامية ، بالوانها ، وتركتها مسرحاً لآراء الباحثين ، وغنيمة لمن يريد أن يجني لنفسه من وراء هذا التناحر اشهى الأثمار :

# الخلافة بنظر الشيعة

كانت الخلافة الإسلامية ولا تزال تشغل تفكير الملايين من المسلمين منذ ان انتقل الرسول الى ربه حتى الزمن الذي نعيش فيه ، وستبقى جزءاً من حياتهم الى حيث يشاء الله .

وللشيعة رأي فيها يرتكز على طبيعة المبادئ الإسلامية والنصوص المستوحاة من الكتاب والسنة .

فالباحث في تاريخ الدعوة ومبادئها يرى ان الإسلام قد اعلن حرباً لاهوادة فيها على التفوق السلالي والعنصري والقبلية ، ونادى بالغاء هذه الفوارق في مواطن كثيرة ، وجعل ميزان التفاضل منحصراً في التقوى والأعمال الصالحة ، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ، الناس لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، وكان كل همه تطبيق مبادئه على العالم بأسره ليجمع بني الإنسان تحت لواء واحد وفي صعيد واحد ، الإيمان بالله والإقرار برسالته المقدسة ، الإخاء والمساواة ، والتضحية في سبيل الحق ، والعمل لخير الإنسان ، ليحرر الأرواح من أسر المادة ، ويطهر القلوب من سيطرة الشهوات ،

وبجد الحق طريقه الى الأفهام ، وبذلك استطاع ان ينشر الويته على الآفاق ، وسار شوطه البعيد الى الأمام ، واصبحت الدنيا على اتساعها تضيق عن همته وتعتز بمبادئه ، ولم يكن من همه أن ينشر على العالم نفوذاً سياسياً ، ولا أن يضم الى البقعة التي وجد فيها بقعة اخرى من بقاع الدنيا ، لتكون له دولة ذات حدود واسعة تستمد هيبتها مما تدخره من عتاد ، وما تحشده من كتائب واجناد ، وانما الذي يهدف اليه ويهمه، هو الإيمان برسالته ، لانها وحدها السلاح القاطع الذي يستطيع المسلمون بواسطتها بسط سلطانهم على الدنيا الضالة ، لانها سلاح من عند الله سبحانه ، غرس نواتها محمد صلى الله عليه واله في ابان دعوته في قلوب حفنة من المؤمنين، غذاها بجهاده المتواصل ومكنها من نفوسهم على مدى الأعوام ، فلم تهن روحه لقوي ولم يشتر منهم أمنه وراحته بعطية يلقيها الى شهواتهم، واذاب من روحه الطاهرة ليهدي العصاة وعرض نفسه لأقسى مايتصور من الأذى ، ليحرر الإنسان من عبادة الشهوات والأهواء ، ساومه المشركون ليكون له السلطان عليهم ويرجع عن دعوته ، بعد ان فشلوا في الأساليب التي لجأوا اليها معه ومع المؤمنين من اتباعه، فرجعوا خائبين، وقال لعمه كلمته الخالدة : والله لو وضعو الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر. فلا يريد ان يملك الرقاب والبقاع لتصبح تحت سلطانه، وانما يريد ان تصبح العقول والأرواح مملوكة لتعاليمه ، اسيرة لمبادئ القرآن .

تلك المبادئ التي كتب لها البقاء ، وكتب على الإنسان أن يتخذها السبيل الى معاشه ومعاده ، واحتاط لها مؤسسها الحيطة الكاملة ، التي تساعد على حفظها وغرسها في النفوس ، كي لا تصبح عرضة للأخطار ومسرحاً للشهوات والأهواء ، وان الباحث في سيرة محمد (ص) وتعاليمه في سبيل رسالته ، ينتهي به البحث لامحالة الى انه لم يخرج من دنياه ، إلا بعد ان هيأ لأمته ولمبادئه من يقوم بتطبيقها ، ويجاهد في سبيل تثبيتها ، لتكون خالدة على مدى السنين والأعوام .

والحكومات التي يترك فيها الأمر لرغبة الشعب واختياره ، وان كانت من افضل الحكومات ، ومن خير الوسائل التي تساعد على حرية الشعوب ، وتقرير مصيرها ، لأنها تنبثق عن رغبة الشعب واختياره ، فيضطر الحاكم لسلوك افضل الطرق التي تجلب الخير والرفاهية والسعادة ، ولكن الخلافة الإسلامية بما لها من المعنى عند الشيعة الإمامية ، لايمكن ان يترك امرها الى الأمة لتحكم فيها بما تريد ، لأنها مهما تجردت ، وأخلصت في الإختيار ، لايؤمن خطؤها ، لاسيما وان الإمام يحتل مركز النبي ويجب ان تتوفر فيه اكثر مواهب النبي وصفاته ، وان يكون افضل الرعية من جميع نواحيه ، والشعب وإن اخلص في اختياره لا يستطيع ان يحيط بتلك المواهب التي يجب ان تتوفر في الحافظ للشريعة عند الإمامية .

واذا وقع الإختيار على غير الكفؤ تصبح تلك المبادئ في

معرض الخطر وتكون مهددة بالزوال ، لاسيما انها كانت يوم
وفاة الرسول ( ص) ، بعيدة عن نفوس كثير ممن دخل في الإسلام
وغريبة عما توارثوه من اسلافهم من العادات والتقاليد ، التي
امتزجت بطبيعتهم واصبحت جزءاً من حياتهم فما اقرب انقلابهم
على الأوضاع الجديدة اذا وجدوا الفرصة لذلك ، لهذا كان
لابد للحافظ لتلك المباديء ان يؤمن الخلف من بعده ، ولايتركه
لاختيار الشعب الذي يندفع مع اهوائه ومصالحه وشهواته ،
ويكثر منه الخطأ في اكثر الأوقات ، ولقد كانت الظروف
المحيطة بالإسلام في العام الذي انتقل به النبي (ص) الى ربه
تشكل خطراً على الإسلام وهي أشبه بالظروف التي احاطت به يوم
بدأ يدعو الناس الى عبادة الله ، فلقد ظهر مسيلمة الكذاب
والأسود العنسي ، والنبي لايزال حياً ، والقبائل العربية لم يكن
اسلامها بشكل واحد ، والكثير منها اسلم اندفاعاً مع التيار
الإسلامي الجديد ونرى في بعض الأسر القرشية من أعلن الإسلام
واضمر من ورائه شركه وحقده ، كما ذكر جماعة من المؤرخين
عن ابي سفيان زعيم الأسرة الأموية ، وقد دخل في الإسلام عام
الفتح ، وأمن النبي عليه الصلاة والسلام كل من دخل بيته ،
وافاض عليه من عفوه وكرمه فوق ما يتصوره إنسان من انسان ،
ومع ذلك فقد دخل المسجد يوم بويع الخليفة الثالث وهو يحسب انه
خال من غير أسرة الخليفة وحاشيته وقال : تلقفوها يا بني امية
تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان ، ما من جنة ولا
نار ، ولا حساب ولا عقاب ، ولقد حاول ايقاع الفتنة بين

المسلمين ، وعرض نفسه على علي عليه السلام يمنيه النصر إن هو أعلن حرباً على الصديق بعد أن بايعه الكثير من الناس ، ولكن علياً الحريص على مبادئ الإسلام لم يفته غرض ابي سفيان ، فقال له : والله انك ما اردت بها الا الفتنة ، وانك طالما بغيت للاسلام شراً . وامثاله كثيرون كانوا على استعداد للاندفاع في وجه الدعوة حين تساعد الظروف على ذلك ، وتاريخ حروب الردة أكبر شاهد على ما ندعيه ، ولقد كانت الدولتان الرومانية والفارسية تناصبان الاسلام أشد العداء ، وقد بدأهما النبي صلى الله عليه وسلم الحرب في حياته ، فجهز جيشاً إلى الرومان قتل فيه جمع من أعيان المسلمين ، منهم القواد الثلاثة جعفر بن أبي طالب ، وعبدالله بن رواحة ، وزيد بن حارثة ، وقبيل وفاته كان يجهز جيشاً من المسلمين ضم الوجوه من صحابة النبي بقيادة أسامة بن زيد ، وتوفي وهو يشدد القول على من يتخلف عن هذا الجيش ، وإذا كانت الظروف المحيطة بالاسلام بهذا الشكل المخيف ، فهل يكون من الحكمة أن يترك النبي أمته ومبادئه ، والأخطار محدقة بدعوته في داخل البلاد وخارجها بدون خلف له يكون أقدر أتباعه وأقواهم على تحمل المسؤوليات ، وأنفذهم بصيرة وأعلمهم بتطبيق تلك المباديء التي أرادها الله أن تكون دستوراً يرجع إليها الانسان في دنياه وآخرته ، حاشا لله وهو اللطيف بعباده ، العليم بما أحاط بهم من بلاء ، والخبير بما فطر عليه الانسان من الأهواء والشهوات ، أن يترك الأمر فوضى والأمة تتقاذفها الميول والأغراض ، ويذهب نبيه عن دنياه بدون

أن يعين للناس إماماً أميناً على شريعته ، حريصاً على تمكين تلك المبادئ المقدسة في النفوس ، بعد أن بلغها الرسول ، وتحمل في سبيلها أقسى ما يتصور من الألم والعذاب .

وهذه الاعتبارات ليست وحدها هي الدليل على وجوب نصب الامام الذي يخلف النبي بعد وفاته ، وإنما يعتمدون في ذلك على أدلة كثيرة ، ومن جملتها الأدلة التي تقضي بوجوب إرسال الأنبياء ، ومنها قاعدة اللطف ، لأن نصب الإمام لطف من الله في حق عباده حيث أنه يقربهم من الطاعة بارشادهم إليها ، ويبعدهم عن المعصية بالنهي عنها والتخويف من عواقبها ، واللطف واجب منه سبحانه فيكون تعيين الإمام واجباً ، ولهم على ذلك أدلة أخرى ذكرها علماء الإمامية في جميع كتبهم التي تعرضت لبحث الإمامة .

والإمام المنصوب خلفاً لصاحب الرسالة عند الشيعة الإمامية هو علي عليه السلام ، ويستدلو ن على ذلك ببعض الآيات الكريمة الواردة في الكتاب ، وبطائفة من الأحاديث الصحيحة بلغت حد التواتر ورواها الفريقان من السنة والشيعة ، بعضهايدل بظاهره وبعضها نص فيما يذهب إليه الإمامية من كونه صاحب الحق الشرعي ، وليست هذه الدعوى وليدة التطورات السياسية كما يذهب إلى ذلك صاحب كتاب عقيدة الشيعة ، حيث يرجح أن هناك دسائس خفية كان لها اليد الطولى في دعوى الحق الإلهي ، وأن عبدالله بن سبأ تنقل في البلاد الإسلامية إلى أن استقر أخيراً في مصر ، وفيها قام بدور رئيسي في المؤامرة في سبيل علي ،

وأعلن أن من تقدمه من الخلفاء كان غاصباً لحقه الشرعي ، ولعل الباحث في الخلافة الإسلامية ينتهي به البحث لا محالة إلى أن دعوى الحق الشرعي لا صلة لها بجميع التطورات السياسية التي حدثت بعد موت النبي ( ص ) إلى الأزمنة الأخيرة ، وإنما كانت وليدة النصوص الكثيرة ، واجتباء النبي إياه على جميع طبقات المسلمين واختصاصه به في خلواته ، وإسناد المهمات الكبار إليه كالقيادة والاستخلاف في موضعه وحنوه وعطفه البالغين عليه ، حتى أصبح حبه بنظر المسلمين إيماناً ، وبغضه نفاقاً ، ولقد قال أبو سعيد الخدري : ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلا ببغض علي بن أبي طالب .

لذلك فقد توقف جمع من أعيان المسلمين عن بيعة أبي بكر ( رض ) وتمسك بالنصوص الكثيرة على خلافة علي عليه السلام ، ومن هؤلاء جميع بني هاشم وعلى رأسهم العباس ابن عبد المطلب ، ومن غيرهم الزبير والمقداد وأبو ذر وسلمان وخزيمة ذو الشهادتين وهاشم بن عتبة وحجر بن عدي وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم ، ومنهم شاعر النبي حسان بن ثابت الذي يقول :

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالنبي مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ... ومالك منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فانني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

وهؤلاء قالوا بهذه المقالة ، قبل أن يكون لعبدالله بن سبأ ذكر

في تاريخ الإسلام ، ولم يظهر له قول إلا في أواخر أيام الخليفة الثالث ، وهناك من ينكر أصل وجوده ويدعي أنه من الشخصيات الوهمية ، كما يذهب إلى ذلك جماعة من الكتاب .

## الاحاديث والنصوص الدالة على استخلاف علي ( ع )

إن الشيعة كما ذكرنا يدعون النصوص الكثيرة على استخلاف علي عليه السلام ، كما يدعون دلالة بعض آيات الكتاب على ذلك ونحن نذكر طائفة من الأحاديث التي تكاد ان تكون صريحة فيما ندعيه ، ونذكر اولا بعض الآيات الكريمة التي يعتمدون عليها في مباحث الإمامة .

منها قوله تعالى : انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون .

لقد اتفق المحدثون والمفسرون من العامة والخاصة انها نزلت في علي عليه السلام حين تصدق بخاتمه على المسكين وهو راكع في صلاته ، وفي كتاب كشف الحق للعلامة ، اجمعوا على نزولها بعلي ، وهو مذكور في الصحاح الستة ، وفي كتاب الحق اليقين للسيد عبدالله شبّر اتفاق المفسرين والمحدثين انها نزلت في علي عليه السلام ، وعدد جماعة من أعيان المفسرين والمحدثين الذين رووا نزولها في علي (ع) منهم الرازي والسيوطي والزمخشري والبيضاوي والسدي ومجاهد والحسن البصري وغيرهم . وفي المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين عن القوشجي ، في شرح التجريد اجماع المفسرين

في نزولها بعلي عليه السلام ، وفي الباب الثامن عشر من غاية المرام ، احاديث كثيرة من طريق اهل السنة انها نزلت في علي عليه السلام ، وفي المراجعات عن تفسير الامام ابي اسحاق النيسابوري الثعلبي في تفسيره الكبير ، بالإسناد الى ابي ذر الغفاري قال : سمعت رسول الله بهاتين والا صمتا ورأيته بهاتين والا عميتا يقول علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله. إني صليت مع رسول الله ذات يوم، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد شيئاً ، وكان علي راكعاً فاومأ بخنصره اليه ، وكان يتختم بها ، فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم من خنصره ، ثم ذكر ابوذر ماكان من رسول الله من التضرع والدعاء وقال فوالله ، ما استتم رسول الله كلامه حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية : انما وليكم الله ورسوله ، ويكاد المتتبع لكتب الحديث والتفسير يقطع في انها نزلت بعلي في تلك المناسبة .

فالآية الكريمة تثبت الولاية لعلي عليه السلام لعدم وجود هذه الصفات في غيره ، ولإنها جعلت الولاية لمن تصدق وهو راكع بعد أن سأل النبي ربه أن يجعل له وزيراً من اهله ، كما جعل ذلك لموسى بن عمران عليه السلام ، والولاية المجعولة في المقام هي من نوع ولاية الله ورسوله ، وان كانت تصدق على الناصر والمحب وغيرها لغة ، إلا انهما غير منحصرين بمن ذكرت له الآية هذه الأوصاف ، بل هما عامان لجميع المؤمنين كما قال تعالى والمؤمنون بعضهم اولياء بعض .

فحصر الولاية في الثلاثة كما هو المستفاد من اداة الحصر ،

يقتضي كون الولاية للجميع بمعنى واحد ، وهي أحقية التصرف والسلطنة العامة فيما يتعلق بشأن الدين والدنيا ، ومجمل القول في فقه الآية هوأن الله سبحانهقد جعل الولاية لله وللرسول، ولمن تصدق في حال ركوعه ولازم الحصر المستفاد من اداته هو كون الولاية للجميع بمعنى واحد ، وحملها على غير هذا المعنى لايتفق والحصر المذكور، لثبوتها والحال ذلك لجميع المؤمنين فلا تبقى فائدة في الحصر المذكور .

والإيمان في الآية الكريمة ليس علة في ثبوت الولاية لعلي عليه السلام ، حتى تكون الولاية لكل من اتصف بالإيمان كما هو الحال في جميع علل التشريع ، كما قد يتوهم من ذكر هذه الأوصاف في الآية الكريمة، ولازم ذلكثبوت الولايةلكلمن اتصفبالإيمان . وعليه لا يمكن ان يكون المراد بها السلطنة العامة ، وينتج من ذلك التفكيك بين ولاية الله والرسول وولاية المؤمنين المتصدقين في ركوعهم .

ولكن الظاهر من الآية الكريمة أن الإيمان فيها كان للإشارة الى الموضوع الخارجي، فهي كسائرالقضايا الخارجية التي يكون الوصف فيها معرفاً عن الموضوع ومشيراً اليه ، لأن الولاية التي ثبتتللذين آمنوا هي منسنخ ولاية اللهوالرسول، ولا شبهة فيعدم مدخلية الإيمان في ثبوت الولاية لها ، فالقضية في المقام اشبه ما تكون بقولنا هذا الجالس يجب اكرامه ، وهذا العالم يجب تعظيمه فليس الوصف في هاتين القضيتين علة للحكم ، وإلا لوجب اكرام كل جالس وتعظيم كل عالم ، وانما اتي بهما للإشارة الى

الموضوع الخارجي ، وتمييزه عن غيره من بقية الأفراد ،وهكذا الكلام بالنسبة الى بقية الأوصاف التي اشتملت عليها الآيةالكريمة، فولاية الوصي عين ولاية النبي ولا بد ان يكون سببها شيء آخر وراء هذه الصفات التي يتصف بها الكثير من الناس ، وهو ما احاطت به العظمة الإلٓهية من اسرار نفسية، وفضائل قداحتشدت في صاحب هذا الإمتياز الإلهي لا يشاركه فيها احد من افرادالأمة وجاءت الآية في تلك الحالة اشبه ما تكون بالنص الصريح على توليته امر الأمة بالشكل الذي ثبت للنبي من قبله .

ولا ينافي ذلك الاتيان بصيغة الجمع في الصفات التي تعرف عن صاحب هذا الامتياز ، كما ورد في الآية الكريمة حيث قال سبحانه « الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ، لان ذلك قد ورد كثيراً في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم أيضاً للتفخيم والتعظيم ، كما ذكر ذلك في مجمع البيان ، وفي كتاب الحق اليقين أن لفظ الجمع إما للتعظيم أو لشمول ذلك لسائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وقد ورد التعبير عن المفرد بصيغة الجمع في قوله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» ، ففي المراجعات لقد أجمع المؤرخون والمفسرون أن القائل نعيم بن مسعود الأشجعي وحده وأطلق الله سبحانه عليه لفظ الناس وهو مفرد .

وحاصل النكتة في التعبير عن الواحد بلفظ الناس ، هو أن أبا سفيان أعطى نعيم بن مسعود عشراً من الابل على أن يخوف المسلمين من المشركين ، فكره اكثر المسلمين الخروج مع النبي

(ص) بسبب ارجافه ، وخرج النبي (ص) في سبعين فارساً من المسلمين ورجعوا سالمين ، فنزلت الآية في مقام الثناء والمدح لمن خرج مع النبي ، وجاء التعبير بلفظ الجمع لأنه أبلغ في مقام الثناء عليهم من لفظ المفرد الذي لايكون له اثر في النفوس غالباً ، وفي المراجعات ان التعبير عن المفرد بصيغة الجمع ورد في غير هذه الآية ايضاً ، قال تعالى ياايها الذين امنوا اذكر و نعمة الله عليكم ، إذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم ، فكف ايديهم عنكم . ونقل عن المحدثين واهل الأخبار والمفسرين أن الذي بسط يده رجلا واحداً من بني محارب وقيل من بني النضير .

وذكر الزمخشري في كشافه كما نقل عنه في المراجعات ، ان النكتة في التعبير بلفظ الجمع هو ترغيب الناس بذلك العمل ، والإهتمام بشأن الفقراء والإحسان اليهم ، ليرغب الناس في مثله بعد ان استحق صاحبه ذلك الجزاء الرفيع والمنزلة العالية .

ومهما يكن الأمر فالآية الكريمة بعد الاتفاق على نزولها في علي عليه السلام كما اجمعت عليه الأحاديث الصحيحة من طريق اهل السنة والشيعة ، وأشتمالها على كلمة الحصر التي يستفاد منها نفي الولاية عن غير الثلاثة المذكورين فيها ، تدل دلالة لاتقبل الريب في أن الولاية المجعولة لعلي هي من سنخ ولاية الله والرسول لان الولاية ببقية معانيها لا تنحصر في الثلاثة كما دلت على ذلك الآيات الكثيرة .

ولقد اضاف اليها علماؤنا جملة من الآيات الدالة على ولايته

أمر الأمة بعد النبي ، بملاحظة ماورد من الأحاديث في تفسيرها واسباب نزولها .

منها قوله تعالى في سورة المائدة ياايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس .

فلقد ذكر جماعة من المفسرين منهم الطبرسي في مجمع البيان عن تفسير العياشي ، باسناده عن ابن عباس وجابر ابن عبد الله قالا : أمر الله محمداً ( ص ) أن ينصب علياً إماماً للناس من بعده فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه ، ويطعنوا في ذلك عليه ، فاوحى الله إليه هذه الآية ، فقام بولايته يوم غدير خم . قال في مجمع البيان وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد ابو الحمد ، عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني ، باسناده عن ابن عمير ، في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل . وفي مجمع البيان ما لفظه : وقد أورد هذا الخبر بعينه ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في تفسيره ، مرفوعاً إلى ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي ( ع )، وأمر النبي أن يبلغ فيه ، فأخذ رسول الله بيد علي عليه السلام ، وقال من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وقد اشتهرت الرواية عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام أن الله اوحى إلى نبيه أن يستخلف علياً ، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه ، فانزل الله إليه هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه ، والمقصود منها أنك إذا تركت

تبليغ ما أنزل إليك من ربك وكتمته ، كأنك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك .

ومما لاريب فيه ان الآية الكريمة ، بعد ملاحظة ما ورد في تفسيرها واسباب نزولها ، كما ورد من طرق الشيعة وغيرهم ، تدل دلالة واضحة ان الله سبحانه امر نبيه ان يعين خلفاً له يقوم بالأمر من بعده ، ولم يترك دينه الذي يساير الحياة ويعيش مع الزمن ، بدون حافظ لمبادئه عليم باسراره وغوامضه ، يسير في الأمة كما تفرضه مصلحة الدين والأمة بعيد عما فطر عليه الإنسان من الميول والنزعات .

والآية الكريمة وان لم تشتمل على ذكر علي وخلافته إلا ان الحافظين لأسباب نزول آيات الكتاب من صحابة النبي وائمة اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس ، وجعلهم ملجأ للأمة وسبيلا الى النجاة من الهلكة ، ذكروا السبب في نزولها واوضحوا المراد منها .

ولما هدده الله سبحانه بقوله : وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، لم يجد بدأ من اصدار ذلك البلاغ العام بعد رجوعه من الحجة الأخيرة في حشد من المسلمين وعلى مفترق الطرق قبل أن يتفرق الناس ويذهب كل إلى وطنه .

وهناك آيات كثيرة يستدل بها الشيعة على أن النبي قد استخلف علياً بأمر من ربه بملاحظة ما ورد في تفسيرها وأسباب نزولها من طريق اخوانهم اهل السنة ومن طريق ائمتهم الذين لاينطقون الا بلسان جدهم الأعظم صاحب الرسالة .

ونحن في كتابنا هذا نكتفي بهاتين الآيتين ، ونمر ببعض الأحاديث المتفق على صحتها عند الفريقين ، لنرى مقدار دلالتها على ما يدعيه الشيعة .

ففي الحق اليقين عن احمد بن حنبل في مسنده ، أنه لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الأقربين ، جمع النبي (ص) من أهل بيته ثلاثين فاكلوا وشربوا ثلاثاً ، ثم قال : من يقض عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي وهو معي في الجنة ؟ فقال علي (ع) انا يارسول الله ! فقال (ص) انت . قال ورواه الثعلبي في تفسيره بعد ثلاث مرات ، في كل مرة يسكت القوم غير علي (ع) ، ويذكر في حاشية الكتاب المذكور هذه الرواية عن كتاب كنز العمال جلد٦ صفحة٣٩٧ ، وتاريخ الطبري جلد (٢) صفحة (٢١٧) ، وكامل ابن الأثير جلد (٢) صفحة (٢٤) وفي شرح النهج عن ابي جعفر الإسكافي انه قال : وروي في الخبر الصحيح انه كلفه ، يريد بذلك ان النبي كلف علياً في بدء الدعوة ، قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة ، ان يصنع له طعاماً ، وأن يدعو له بني عبد المطلب ، فصنع له الطعام ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم ولم ينذرهم لكلمة قالها عمه ابو لهب فكلفه اليوم الثاني ان يصنع مثل ذلك الطعام وان يدعوهم ثانية ، فصنعه ودعاهم فأكلوا ، ثم كلمهم ودعاهم الى الدين ، ودعاه معهم لأنه من بني عبد المطلب ، ثم ضمن لمن يؤازره منهم وينصره على قوله ان يجعله اخاه في الدين ووصيه بعد موته وخليفته من بعده ، فأمسكوا كلهم وأجابه هو وحده ، وقال

انا انصرك على ما جئت به ، وأوازرك وابايعك ، فقال لهم لما راى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فقاموا يسخرون ويضحكون ، ويقولون لابي طالب أطع ابنك فلقدأمره عليك.
وفي مجمع البيان قال واشتهرت القصة عند الخاص والعام ، ثم ذكر القصة التي نقلناها ، وفي المجمع روي عن ابي رافع هذه القصة وانه جمعهم في الشعب وصنع لهم رجل شاة فأكلوا باجمعهم ، وسقاهم عساً فشربوا كلهم ، ثم قال : ان الله اخبرني أن انذر عشيرتي الاقربين ، وانتم عشيرتي ورهطي ، وان الله لم يبعث نبياً الا جعل له من اهله اخاً ووزيراً ووارثاً ووصيا وخليفة ، فايكم يقوم فيبايعني على انه اخي ووارثي ووزيري ووصيي، ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدي ، فسكت القوم فقال ليقومن قائمكم ثم لتندمن ، ثم اعاد الكلام ثلاث مرات ، فقام علي فبايعه واجابه ، وفي المراجعات نقل الحديث المذكور بما يقرب مما ذكرناه عن عدد كبير من اعيان المفسرين والمحدثين من اخواننا اهل السنة .
وفي الحديث الشريف دلالةعلى انالنبي صلى اللهعليه وآلهقد هيأعلياً لهذا المنصبمنذبدأيدعوالناس الىعبادة الله، وإذا أضفنا اشتهار الحديث الى اتفاق المفسرين للآية الكريمة يحصل لنا الاطمئنان بصدورذلك عن النبي ( ص ) ، واختلاف بعض الرواة في بعض نواحي القصة المذكورة ، لايضر في المقام بعد اتفاقهم على الناحية التي نتحدث عنها .

ومن النصوص المتفق عليها بين الفريقين قوله (ص) انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدي ، ففي كتاب الحق اليقين ما حاصله ان الحديث مروي بطرق عديدة وفي صحيح مسلم والبخاري والترمذي وغيره ، واعترف ابن حجر وغيره بصحته . وقد ورد هذا الحديث بمناسبات كثيرة ، منها ان رسول الله خرج في غزوة تبوك ، وخرج الناس معه فقال له علي أخرج معك يا رسول الله؟ قال لا فبكى علي (ع) ، فقال له رسول الله اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدي ؟ انه لاينبغي ان اذهب إلا وانت خليفتي .

وفي المراجعات قال وحسبك ما جاء من طريق غيرهم في المؤاخاة حديث زيد ابن ابي اوفى ، وقد اخرجه الإمام احمد ابن حنبل في كتاب مناقب علي (ع) ، وابن عساكر في تاريخه والطبراني والبارودي وابن عدي ، والحديث قد اشتمل على كيفية المؤاخاة ، وفي اخره قال علي يا رسول الله ذهب روحي وانقطع ظهري حين رايتك فعلت باصحابك ما فعلت...غيري ، فان كان هذا من سخط علي فلك العتبى والكرامة ، فقال رسول الله (ص) والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي ، وانت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لانبي بعدي ، وأنت اخي ووارثي . وفي غاية المرام قال الباب العشرون قول النبي لعلي (ع) : انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي من طريق العامة وفيه مائة حديث ، ثم استطرد في ذكرها باسانيدها الموجودة في كتبهم وصحاحهم ، الى ان قال الثالث

والأربعون ، بعد ان ذكر سند الحديث المتصل بأنس لما كان يوم المباهلة آخى النبي بين المهاجرين وعلي واقف يراه ويعرف مكانه ، فلم يؤاخ بينه وبين احد ، وانصرف علي باكي العين ، فافتقده النبي وقال ما فعل ابو الحسن ؟ قالوا انصرف باكي العين يا رسول الله فقال النبي لبلال اذهب وأتني به ، فمضى بلال الى علي (ع) وقد دخل منزله وفاطمة تقول ما يبكيك يا ابا الحسن؟ لا ابكى الله عينك ، قال يا فاطمة آخى النبي بين اصحابه وانا واقف لم يؤاخي بيني وبين احد ، قالت لعله ادخرك لنفسه ، ثم استدعاه بلال فاتى النبي (ص) فقال له انما اخرتك لنفسي ، ألا يسرك ان تكون اخا نبيك ، قال بلى يا رسول الله ، اني لي بذلك ، فاخذ بيده وأرقاه المنبر ثم قال اللهم هذا مني وانا منه ، إلا أنه مني بمنزلة هارون من موسى ، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، قال فانصرف علي قرير العين فاتبعه عمر ابن الخطاب فقال بخ بخ يا ابا الحسن اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، وهذه الزيادة موجودة في الحديث الحادي والاربعين ، وفي بعضها كما في غاية المرام لاينبغي ان اذهب إلا وانت خليفتي، وفي حديث السبعين كما في الكتاب المذكور ، انت بابي الذي منه أوتى وخليفتي من بعدي .

ومجمل القول أن الحديث المذكور على اختلاف طرقه وكثرة اسانيده، قد اعترف بصحته الأعلام من الفريقين وروته الصحاح وغيرها ، وإذا لاحظنا متن الحديث ، وصدوره في المناسبات

المختلفة ، واشتماله على الفقرات المختلفة من قوله ( ص ) أنت خليفتي ، ومن كنت مولاه فعلي مولاه ، وعلي وليكم بعدي ، وأمثال ذلك من الفقرات التي تدل على أنه في مقام جعل الولاية العامة له من بعده ، ولم يكن الحديث الشريف - حينما خرج في غزوة تبوك خاصة - لينصرف إلى الخلافة على المدينة ما دام النبي غائباً عنها في غزوته تلك ، كما استخلف موسى أخاه هارون حينما ذهب لمناجاة ربه . والسر في ذلك هو أن الحديث قاله النبي لمناسبات كثيرة ، وعقبه بقوله أنت خليفتي ، وأمثالها مما يدل على الخلافة العامة ، واستثناء النبوة ، كما جاء في الحديث ، ظاهر في أن بقية جميع المنازل التي كانت لهارون من موسى هي لعلي (ع) ، ومن منازل هارون كونه خليفة لموسى كما حكاه الله سبحانه في كتابه حيث قال : اخلفني في قومي ، وبعد ان كانت الخلافة ثابتة لهارون لابد وان نقول بثبوتها لعلي بعد النبي ، والا كان من اللازم استثناؤها كما استثنى النبوة لأي انسان من بعده ، وقضية الاستثناء تقتضي العموم في المستثنى منه ، لما وان استثناء النبوة بعد وفاته من تلك المنزلة التي اعطاها النبي (ص) لعلي (ع) يدل على ان الثابت لهارون ثابت لعلي في جميع الأزمنة ، حتى بعد وفاة الرسول ، وإلا لم يكن للاستثناء معنى متحصلا لان العام الإفرادي لابد وأن يستتبع عموماً زمانياً ، إما بالتنصيص كما اذا قال القائل اكرم العلماء في كل زمان ، او بالإطلاق بمعونة مقدمات الحكمة . فاذا ورد الخاص ، واخرج فرداً من العام ، في زمان خاص او جميع الأزمنة ، يبقى العام على

حجيته وظهوره في تعيين افراد العام ، وما نحن فيه قوله (ص) ( انت مني بمنزلة هارون من موسى ) قضية لها عمومها الزماني والإفرادي ، ولولا الإستثناء لثبت لعلي (ع) بمقتضاها جميع المنازل التي كانت لهرون من أخيه موسى في جميع الأزمنة حتى بعد وفاته ولكن استثناء النبوة من بعده يعين المراد من العام ، ويكشف عن ظهوره في جميع الافراد ، ويسقط عن الحيثية في الفرد الخارج عنه، ويبقى حجة في كل ما كان لهارون من موسى ، من الوزارة والخلافة ووجوب طاعته في حياة النبي وبعدها ،ولما كان العام ظاهراً فيجميع ما كان لهارون حتى النبوة بعد وفاة الرسول ، جاء الاستثناء لرفع هذا الظهور في هذا الفرد لاغير ، ويبقى العام في بقية الأفراد كما كان قبل الإستثناء .

فحديث المنزلة بعدالتأمل فيه ، وفهمه فهماً صحيحاً يكفي لاثبات الوصية والخلافة، لاسيا وانه لم يصدر منه (ص) مرة واحدة لمناسبة اقتضت ذلك بل صدر منه بمناسبات كثيرة ، وفي بعضها كان يعقبه بما يرفع الالتباس والتشويش ، ويكشف لهم بكل صراحة عن مقصوده ، كقوله انت ولي الأمر من بعدي وامثال ذلك كما قدمنا .

ومن جملة النصوص الصريحة فيما تدعيه الإمامية ، ما ذكره شارح النهج لسند ينتهي الى زيد بن أرقم ، ان رسول الله (ص) قال ألا ادلكم على ما ان تساءلتم عليه لم تهلكوا ، إن وليكم الله ، وان امامكم علي بن ابي طالب ، فناصحوه وصدقوه فان جبريل اخبرني بذلك ، والرواية محكوم بصحتها بين علماء الحديث ، وهي صريحة في إمامة علي وكونه ولياً من بعده ،

ولذا امر النبي ان يناصحوه ويصدقوه ، ولا معنى للمناصحة والتصديق اذا لم يكن له عليهم ولاية الاطاعة والمناصحة ، فالنبي بعد ان اعلن انه امامهم امرهم بمناصحته وتصديقه فيما يقول ، ويحكم في رعيته ، ولو كان اماماً في العلم والفتوى كما يذهب الى ذلك في شرح النهج في مقام تأويل الحديث المذكور لم يكن لأمر النبي امته بمناصحته معنى معقولا يتناسب مع بلاغته وسمو تفكيره ، وكان صاحب النهج رأى أن هذا التأويل لا يتفق وظاهر الحديث المذكور ، لذلك ذكر وجهاً آخر للتخلص مما يذهب اليه شيوخ المعتزلة ، من شرعية الخلافة على النهج الذي وقعت عليه ، فقال ما حاصله ان الامامة كانت لعلي بمقتضى هذا الحديث وغيره ، ولكنه اقرها في غيره وتنازل عنها لمن تقدمه في الحكم ، ولذلك توليناهم وقلنا بصحة خلافتهم ، الى غير ذلك من التمحلات التي اضطرهم اليها امثال هذه الأحاديث الصريحة فيما تدعيه الشيعة .

واذا كانت الإمامة لعلي (ع) بالجعل الإلهي كما هو المفروض في هذه الأحاديث ، ونص النبي (ص) على ذلك كما في هذا الحديث فان جبريل اخبرني بذلك ، فكيف يسوغ لعلي ان يتنازل لغيره ويقرهم على ولاية أمر الأمة ، وهل خفيت المصلحة عنه سبحانه وادركها علي (ع) حتى تنازل عما جعله الله له وأعطاه اياه ، ومتى ثبت أنه تنازل عن حقه واقر غيره مختاراً غير مكره ، ولقد فرضت عليه ظروف الإسلام في تلك الفترة من الزمن أن يعمل واياهم صفاً واحداً دفعاً للأخطار التي احدقت بالإسلام في ذلك الظرف العصيب . وللنبي (ص) مواقف كثيرة نص فيها على ولاية علي(ع) من بعده كان يتعمدها لأدنى مناسبة تقتضي ذلك .

# حديث الغدير

واكثر مواقفه اشتهاراً وانتشاراً بين المسلمين ، ذلك البلاغ العام الذي اذاعه على الألوف من المسلمين في حجة الوداع ، بعد ان رجع من حجته الأخيرة في بقعة تسمى الغدير قبل أن تتفرق الجماهير التي حجت معه في تلك السنة .

وقبل ان يتفرق ذلك الملأ ، نزل في تلك الصحراء وحط فيها أثقاله ، فصنع له المسلمون منبراً من اقتاب الإبل ، واجتمعوا حوله ، فقام فيهم خطيباً ، يعدد نعم الله على عباده ، ثم ستجوبهم فاعترفوا له بالولاية العامة ، واخذ بيد علي (ع) ورفعها اليه حتى بان بياض إبطيه ، ثم جعل له الولاية العامة التي جعلها الله له .

ومما لاشك فيه ان الحادث المذكور وقع من النبي (ص) ولا يرتاب في ذلك احد من المسلمين وان اساء بعضهم فهمه وصرفه عما يراد منه .

وذكر في غاية المرام الحادث المذكور بتسعة وثمانين حديثاً من طريق العامة . وفي جميعها يقول النبي (ص) فوق المنبر وهو آخذ بيد علي (ع) ، من كنت مولاه فعلي مولاه ، وفي

بعضها زيادة على ذلك ، علي خليفتي من بعدي .

وفي الحق اليقين انه لما نزل في حجة الوداع قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، كان النبي (ص) في غدير خم وقت القيلولة في شدة الحر ، بحيث لو وضع اللحم على الأرض لشوي ، فأمر باجتماع الناس وعملوا له منبراً من احجار فقام عليه خطيباً ثم قال : ايها الناس الست اولى بكم من انفسكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله .

وفي بعض الروايات ان عمر ابن الخطاب قال له : بخ بخ لك يا علي اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وفي الكتاب المذكور ، ان طرق الحديث متواترة ، واسانيده تزيد على مائة طريق ، وانهم اتفقوا على صحته واعترفوا بوقوعه ، وانه مذكور في الصواعق وفي المستدرك للحاكم ، وفي كنز العمال ، ومسند احمد ، وخصائص النسائي ، والمواقف وشرحها وشرح التجريد للقوشجي ، والسيرة الحلبية ، وغير ذلك من كتب الحديث والتاريخ .

وفي المراجعات ان الطبراني اخرج الحديث بسند مجمع على صحته عن زيد بن أرقم ثم ذكر خطبة النبي (ص) وفي اخرها قوله ، ايها الناس ان الله مولاي وانا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من انفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ

من والاه وعاد من عاداه .

وان المتتبع فيما كتبه نقلة الحديث في هذا الموضوع ، يقطع بصحته لكثرة رواته وكثرة من كتب فيه ، وفي كتاب الحق اليقين ، عن ابن المعالي الجويني ، انه كان يتعجب ويقول : شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحاف فيه روايات هذا الخبر مكتوباً عليه : المجلد الثامن والعشرون من طرق من كنت مولاه فعلي مولاه ، ويتلوه المجلد التاسع والعشرون .

فالحديث المذكور من اصح الأحاديث سنداً واشهرها رواية والأختلاف في مثله لايضر بالمقصود .. لأن كل من رواه ذكر فيه الفقرات التي يستدل بها الإمامية على ما يدعونه .

وقف النبي (ص) في حرارة الشمس والوحي يهدد رسالته وينذره ان هو تأخر عن اداء ما بقي منها ، ويبعث في نفسه الأمن والاطمئنان مما كان يحاذر ويخشى من قومه .

ياأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس . موقف الفت أنظار المسلمين فوق الرمال الملتهبة من حرارة الشمس ، وكلهم شاخص ببصره ينتظر ما بقي من رسالة الإسلام ولولاه لم يكن شيء أبداً .

صعد النبي المنبر وبيده علي يرفعه حيث يراه الجمع بكامله وقال : الست اولى بالمؤمنين من انفسهم ؟ فكلهم استعجل الجواب وقال نعم يارسول الله ! فاسترسل في حديثه يقول من كنت مولاه فعلي مولاه .

وقد دلنا القرآن الكريم على ان النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ، وأن له الصلاحية الواسعة في ادارة شؤونهم و يملك من امورهم فوق ما يملكون .

وبعد ان اقروا له بذلك جعله لعلي من بعده ، بقوله من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، فلا يفهم من هذه الفقرة بعد ان استنطقهم واقروا بالولاية العامة ، إلا أن تلك الولاية التي ثبتت له بنص القرآن هي بعينها لعلي من بعده بنفس الأسلوب واللغة التي ثبتت ولايته العامة بها .

ولولا الآية الكريمة لا نفهم من النبوة الا القيام بوظائف الدين الراجعة الى عالم الآخرة ، ولم يكن لها هذا المعنى الواسع وقد فهم المسلمون ذلك من نفس الآية الكريمة ، فالولاية العامة من هذه الصيغة هي اقرب مايفهمه المسلمون منها لانهم فهموا ذلك منها من قبل ، وهي لغة القرآن التي الفتها نفوسهم وامتزجت بارواحهم ، ولذا لم يكن احد يشتبه عليه المراد من هذه الفقرات

وفي كثير من روايات الغدير : ان النبي (ص) افرد خيمة لعلي (ع) ودخل عليه المسلمون افواجاً يبايعونه بالإمارة والولاية.

وغير هذا المعنى من المعاني التي تراد من هذا اللفظ ، كالصديق والوارث والمحب والناصر والسيد والمالك وغير ذلك من المحتملات لايمكن ان يكون هو المراد في هذا المقام بعد ملاحظة ما احاط به من المناسبات .

وليس لبيان هذه المعاني اهمية تستدعي موقف النبي في حرارة الشمس ، ليخطب في اصحابه فوق الرمال الملتهبة

والوحي ينذره بالعقاب ان هو لم يبلغ .

ومتى كان المسلمون يشكون في صداقة علي وصحبته للرسول وكونه ناصراً لدين الله لكي يقف النبي ويعلن للناس هذا الإعلان العام .

واي مناسبة بين احد هذه المعاني وبين قوله ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم واقرارهم له بذلك .

ولقد ذكر الرواة ان علياً (ع) جمع الناس في رحبة الكوفة أيام خلافته وفيهم بقية من اصحاب الرسول ، ثم قال : انشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدير خم ماسمع إلا قام ، فقام ثلاثون صحابياً منهم اثنا عشر بدرياً فشهدوا بحديث الغدير سماعاً من رسول الله .

اتراه فعل ذلك ليثبت احد هذه الإحتمالات من قول الرسول وكلهم حتى من نازعه الخلافة يثبت له اوثق الصلات، وامتن الولاء ، واعظم الأثر في تكوين الإسلام وخدمة النبي والدين .

واخيراً فان الصيغة التي استعملها النبي (ص) في النص على ولاية علي من بعده ، هي من اوضح الصيغ التي يمكن أن يتأدى بها هذا المعنى اذا نظرنا اليها بعين الإخلاص والتجرد عن الأهواء .

وليس غيرها باوضح منها دلالة على ما تدعيه الشيعة الإمامية .

ولو فرض ان النبي اتى بغيرها في هذا المعنى العام لخلقت الأهواء أبعد المعاني لتصرفها عما يراد منها الى ابعد الإحتمالات .

ولقد اشتمل الحديث الشريف كما في بعض الروايات على

قوله علي خليفتي من بعدي ، وفي كثير من الروايات التي صدرت منه بحسب المناسبات الخاصة ، وردت بهذه العبارة ايضاً .

ولكن اخواننا بين منكر لها وبين من تأول مفادها بما ليس بمراد لصاحب الرسالة . واذا اردنا ان نفتح باب التأويل والتلاعب في الأحاديث لايبقى شيءٌ إلا ويجوز فيه ذلك فتبطل حجة الظواهر الكاشفة عن مراد المتكلم ويؤدي ذلك الى محق اللغة وعدم امكان التفاهم .

هذه صورة مجملة في الخلافة الإسلامية عند الإمامية ، والأدلة كما تدل على أن الفكرة تكونت يوم افتتح النبي (ص) رسالته تدل على ما تدعيه الشيعة من انها حق الهي ، كما كانت النبوة من قبل ، غايته أن النبي يتولى اصدار هذا البيان ويبلغه لأمته : ولم يكن حرص النبي (ص) على انتقال الحق من بعده ، احتكاراً لهذا المنصب في ذريته لأنه زوج ابنته واب لاولادها كما يميل الى ذلك في كتاب عقيدة الشيعة . ولا يعتمد في فكرته هذه على غير الحدس وقياس النبوة على غيرها من المناصب التي تجوز فيها الوراثة والإستئثار ، وقد خفي عليه ان الإسلام قد اعلن حرباً لاهوادة فيها على هذه النواحي . وانما كان ذلك منه بأمر من الله سبحانه لطفاً بعباده ورأفة بخلقه وحرصاً على مبادئ الإسلام الكفيلة بسعادة الإنسان . كل ذلك يقضي بوجوب اختيار الأصلح وترك المرجوح .

ولايمكن ذلك إلا عن طريق العالم بالسرائر والخبير بما تخفيه الأنفس وما يضمره الغد . والأمة مهما بلغت من الرقي

والحضارة لايمكن ان تصل الى هذه الغايه كما نشاهد في ارقى الأمم اليوم .

فالكفاءة والمقدرة على ادارة شؤون الأمة، وتطبيق مبادئ الإسلام تطبيقاً يضمن العدل العام والحرية والمساواة ، كما يريد الله سبحانه هي التي تكونت في علي (ع) حتى اختاره الله للإمامة.

وليست قرابته من الرسول هي الفضيلة التي اعتمدها في اثبات حقه في الخلافة ، كما يذهب الى ذلك العقاد في كتابه عبقرية الإمام .

قال وكيف ينازع القوم بهذه الحجة ، مع أن في المسلمين عمه العباس ، وهو اقرب منه للنبي (ص) وقد بلغ من السن مرتبة تخول له ان يقف في صف من تقدم للخلافة . ان علياً لم يعتمد في اثبات حقه في الخلافة على قرابته من الرسول : وهو الخبير بان الخلافة الإسلامية مسئلة عالمية لاتوزن بميزان القرابة .

ولا يؤتم فيها برأي الأفراد والجماعات ، ويعلم ايضاً بأن النبي لم يكن في يوم من الأيام يصور الاسلام للعرب ، وللناس عامة ، بصورة السيادة الهاشمية .

بل نفس مبادئ الإسلام تابى ذلك لانها تقوم على أساس المساواة بين الناس ورد المفاضلة بينهم الى الأعمال والأخلاق فاحب الخلق الى الله انفعهم للخلق ، ولو كان عبداً اسوداً ، واكرمهم على الله اشدهم تمسكاً بتعاليمه مهما كان عنصره ، كل ذلك لم يغب عن بال علي (ع) ، ولا انتهج غير هذه الخطة

في جميع ادوار حياته . فكيف يحتج بالقرابة لولا ان القوم قد اتخذوها سلاحاً في اقصاء خصومهم الأنصار عن الخلافة ، لأنهم والنبي (ص) من شجرة واحدة ، ولما بلغت حجتهم هذه علياً (ع) كان من اللازم ان يحتج على المهاجرين بالمنطق الذي احتجوا به على الأنصار ، وتغلبوا به على الموقف : فقال لما بلغه ذلك :

لقد احتجوا بالشجرة وتركوا الثمرة وهي حجة لابد منها في هذا الموقف ولايجوز غيرها لانها سلاحهم الوحيد ومنطقهم الذي شق لهم الطريق الى الخلافة ولقد استرسل العقاد في حديثه الى ان قال

ان احق الناس ان يفطن الى هذه الحكمة لهم اولئك الغلاة الذين زعموا ان وراثة الخلافة في بني هاشم حكم من احكام الله وضرورة من ضرورات الدين إلى ان قال لو كانت حكماً من احكام الله : لكان اعجب شيء ان يموت النبي وليس له عقب من الذكور وان يختم القرآن وليس فيه نص صريح على احد من اهل البيت وغير ذلك من الحجج التي لاتتناسب مع عبقرية العقاد وتحرره في دراسته .

ان الشيعة الإمامية هم الذين يدعون ان الخلافة الإسلامية حكم من احكام الله ، وضرورة من ضرورات المذهب ، ولا رأي للأمة فيها .. ولكنهم لايقولون ذلك على اساس القرابة والنسب حتى تكون في اعقاب النبي وانما يقولون بذلك على اساس اختيار الأصلح والأفضل من أي اسرة كان وبأي لون

اتصف ، لأنه يقوم مقام النبي في حفظ الشريعة وتطبيق مبادئ الإسلام ، فيجب ان تتوفر فيه افضل الصفات واكمل المواهب ، وليس باستطاعة الإنسان ان يدرك ما يستره عن الغيب ، وما ينتج من النفوس عند صراع الشهوات والأهواء والكفيل بذلك هو الله سبحانه ، وقد اختار لعباده علياً لأنه الأصلح والأفضل كما يعترف بذلك أكثر المسلمين .

هذا هو الذي تبنى عليه نظرية الحق الآلهي واصحاب هذه النظرية ليسوا من الغلاة كما يذهب الى ذلك العقاد وانما هم الشيعة الإمامية .

والظاهر ان اسم الغلاة مشاع عند العقاد وغيره ، لكل من احب اهل البيت ، واحسن ما يمكن ان نعتذر به للعقاد وغيره ممن يلصقون بالشيعة عيوب غيرهم هو الجهل بعقائد الشيعة ، ولو انهم وقفوا عند جهلهم لوجدنا السبيل الى معذرتهم واضحاً لا لبس فيه ، ولكنهم حملوا الامامية أوزار غيرهم من الفرق الضالة . وما زال علماء الشيعة يكتبون دفاعاً عن الحق ، ويناشدون إخوانهم المسلمين الرجوع إلى كتب الشيعة أنفسهم حرصاً منهم على وحدة الاسلام ، والوقوف صفاً واحداً في وجه العدو المشترك . وأرجو أن يكون كتابي هذا رداً لكل عدوان من هذا النوع .

# أُصُولُ الإِسْلَام

## عند الشيعة الامامية

أصول الاسلام عند الشيعة الامامية أربعة : التوحيد ، والعدل والنبوة ، والمعاد . وعلى هذه الأربعة تقوم دعامة الاسلام ، وبها يكون الانسان مسلماً إذا أقر بها لسانه ، ولا يجب التفتيش عن خفايا نفسه ، فالاقرار باللسان يكشف عن موافقة الجنان ، ويحكم باسلامه ما لم يعلم من حاله عدم التصديق بواحد منها .

وعلى ذلك علماء الطائفة الشيعية ،وأحاديث أئمتهم بذلك كثيرة جداً ، وعند أكثرهم لا بد من معرفة هذه الأركان بالأدلةالعقلية.

التوحيد – وقد أجمع العلماء على وجوب معرفة الله سبحانه وصفاته الثبوتية والسلبية ، وما يصح عليه وما يمتنع منه بواسطة الدليل ، وهكذا الحال في بقية اصول الإسلام ، كما وانه لايصح التعديل في اثباتها على النقل المستفاد من الكتاب والسنة لأن اثبات الأصول بالكتاب والسنة يتوقف على ثبوت هذين الأمرين ،وثبوتهما انما يكون بعد فرض ثبوت النبوة ،وهي تتوقف على ثبوت الواجب، فلو فرض ثبوت الواجب والنبوة بالكتاب والسنة يلزم الدور الباطل ، وهو الكون المتقدم متأخراً في آن

واحد بلحاظ واحد .

الا ان يكون في الكتاب والسنة دليل عقلي ،فيكون الرجوع اليه رجوعاً الى الدليل لا الى الكتاب والسنة.وقد ورد في الكتاب آيات تدل على عدم جواز الإعتداد بالظن ووجوب تحصيل العلم . قال سبحانه: ( ان الظن لايغني من الحق شيئاً ) ، وفي آية اخرى ( ماهم به من علم ان هم الايظنون ) وفي آية ثالثة ( بل اكثرهم لايعلمون الحق ) ( بل قالوا انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون ) الى غير ذلك مما ورد في عدم جواز العمل بغير العلم .

والمراد من التوحيد الذي بني عليه الإسلام ، هو الأعتقاد بوجود الواجب الجامع لجميع صفات الكمال ، المنزه عن جميع صفاة النقص الموجود بنفسه ، وليس لوجوده سبب غير ذاته لان الموجود اما ان يكون واجباً او ممكناً بمعنى انه ليس في ذاته رجحان لوجوده ولا لعدمه بل يحتاج في وجوده الى موجد .

واذا نظرنا الى الموجود جزمنا بوجود الواجب ، اذ لايعقل ان تكون جميع الموجودات ممكنة ، ولو فرض ذلك يلزم ان لايكون موجوداً اصلا لعدم وجود موجد لها ، لان العدم لايصلح للأيجاد والممكن لايوجد الا بموجد ، ولا موجد له بعد فرض ان جميع الموجودات ممكنة،ولازم ذلك ان لايكون في الوجود موجود وهو خلاف المحسوس .

فلا بد وان نحكم بوجود الواجب بنفسه،وان بقية الموجودات انما هي من فيض وجوده ، وتقريب الدليل على وجود الواجب

بوجه آخر :

هو ان الواجب اما موجود لذاته ، واما ممكن ، فان كان لذاته فهو المطلوب ، وان كان الثاني فلا بد لوجوده من سبب والسبب اما واجب او ممكن يحتاج الى سبب ايضاً ، فان كان السبب هو الأول لزم الدور الباطل وهو كون الواحدعلة ومعلولا في آن واحد ، وان كان السبب فيه غير الأول لزم التسلسل وهو باطل ايضاً لأنه ينتهي الى ما لا نهاية له .

وكما يجب الإعتقاد بوجوده يجب الإعتقاد بوحدانيته، وانه لاشريك له في خلقه وتدبيره ولا تصح العبادة لغيره ، ومن أشرك بعبادة ربه فقد اصبح في عداد المشركين .

قال سبحانه: ولا تشرك بعبادة ربك احدا،وفي كتب الشيعة الإمامية الأدلة الكافية على اثبات وحدانيته، ولقد قال علي (ع) في وصية لولده الحسن (ع) ، واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ، ولرأيت اثار ملكه وسلطانه .

ولو فرض تعدد الواجب لزم كونه مركباً لان كل متماثلين لابد وان يكون كل منهما مركباً من جزأين على اقل ما يمكن ولابد وان يشتركا في جزء يحصل به التماثل ، ويختص كل منهما بجزء يميزه عن الآخر ليتحقق التعدد ، فلو كان الواجب اثنين مثلا ، لزم ان يشتركا في الوجوب ويختص كل منهما بما يميزه عن الآخر فيكون كل منهما مركباً .

والواجب لايمكن ان يكون مركباً ولا محدوداً ، ولو كان اثنين لابد وان يحد احدهما الآخر وفرض تعددالواجب مناقضة

صريحة ، لان التعدد يقتضي كون الواجب متناهياً محدوداً ، وغير متناهي ، لانه لو فرض ان الواجب اثنان لابد وان يكون بينهما حد كما ذكرنا وذلك الحد غيرهما، وكونه غيرهما يقتضي ان يكون بينه وبينهما حد ، وهو غير الثلاثة الأول ، وهكذا يقال بالنسبة الى الحد الثالث والرابع والى ما لانهاية له .

وقد فرضنا كونه متناهياً كما هو اللازم من التعدد وهذا الوجه مأخوذ من كلام الإمام الرضا (ع) في حديث رواه عنه صاحب الكافي ، ليس الواجب جسماً .

ومن عقائد الشيعة عدم كون الواجب جسماً ، فيعتقد الشيعة ان الواجب لايحويه حيز او جهة من الجهات والمراد بالحيز هو المحل الذي يحل فيه المتحيز ، والجهة هي ما يمكن مقابلتها والاشارة اليها ممن كان في الجهة الأخرى ، وقد بينا ان الواجب هو الموجود بنفسه من غير ان يفتقر في وجوده الى شيء آخر ولو كان له محل او جهة لكان مفتقراً في وجوده اليهما ، وهو خلاف المفروض ، ولذا نقول بانه ليس بجسم ايضاً ، اذ لوكان جسماً لكان له ابعاد ثلاثة : طول وعرض وعمق ، وكلما كان كذلك كان محتاجاً الى المكان ولو احتاج الى المكان لخلي منه المكان الآخر ، ولازم ذلك كونه محدوداً ، فهو سبحانه مع كل شيء وخارج عن كل شيء لايحويه مكان ولا يخلو منه مكان .

**الواجب لا يرى ولا يتغير** — ومن عقائد الشيعة ان الواجب لا يرى ولا يتغير ، ليس لوجود الله سبب وانما وجوده عين ذاته ، ومن كان كذلك استحال عليه التغير ، لأن التغير هو

زوال الحالة الأولى ، وتبدلها بحالة غيرها ، وهذا لايكون الا بزوال سببها وحدوث سبب للحالة الثانية ، وهذا غير معقول في الواجب ، اذ لاسبب لوجوده وليس غير ذاته وهي قديمة والقديم لاسبب لوجوده والاخرج عن كونه قديماً، وفرض التغير يتنافى مع كونه قديماً ،وهذا امر واضح لايحتاج الى اكثر من فهم معنى الواجب تقدس اسمه .

وكما لايتغير لاتدركه الأبصار ولا يشار اليه بالحواس ، لافي الدنيا ولا في الآخرة ، لأن المرئي بالبصر لابد وان يكون في جهة تخالف جهة الرائي ، وقد عرفت ان الواجب هو الموجود بذاته ليس جسماً ولاحالاً في جسم ،ولا في جهة خاصة ، لايحويه مكان ، ولايكون مقابلا لجهة من الجهات ، ومع هذه التقادير يستحيل ان يرى للزوم كون المرئي في جهة ومكان ، ولابد من مسافة بين الرائي والمرئي فان رآه كله كان مركباً محدوداً ، وان رأى بعضه كان مبعوضاً متحيزاً .

## عقيدة الاشاعرة

والمجوزون لرؤيته هم الأشاعرة،فجوزوا ذلك عليه لأنهم يقولون بالتجسيم ، وكونه مقابلا للرأي ، وخالفوا في ذلك نصوص القرآن الدالةعلى امتناع رؤيته . قال تعالى: ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ) وهي واردة في مقام تعظيمه وتنزيهه عن ان تحيط به الأبصار ، وقال سبحانه مخاطباً لنبيه موسى (ع) ( لن تراني ) وكلمة لن تدل على النفي المؤبد ،

واذا امتنع على موسى ان يراه امتنع في حق غيره وقال تعالى حكاية عن قوم موسى : ( لقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ) .

ولو كان هذا ممكناً لما وصفهم بالظلم الموجب للعقاب الى غير ذلك من الآيات الكريمة الصريحة في عدم امكان ذلك .

## حديث ابي قرة مع الامام الرضا ( ع )

والأخبار الواردة عن ائمة الشيعة صريحة بعدم امكان ذلك ففي أصول الكافي عن صفوان بن يحي قال : سألني ابوقرة المحدث ان ادخله على الأمام ابي الحسن الرضا (ع) فاستأذنته في ذلك فاذن لي فادخلته عليه ، فسأله عن الحلال والحرام ، حتى بلغ سؤاله الى التوحيد ، فقال ابو قرة إنا روينا ان الله قسم الرؤية والكلام بين النبيين فقسم الكلام لموسى والرؤية لمحمد (ص) فقال الإمام (ع) : فمن المبلغ عن الله الى الثقلين من الإنس والجن في انه لاتدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، اليس هو محمد (ص) ؟ قال بلى : قال كيف يجيء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله ، وانه يدعوهم الى الله ، بامر الله ويقول لهم عن الله : (لاتدركه الأبصار ) ( ولايحيطون به علماً ) ( وليس كمثله شيء ) ثم يقول لهم اني رأيت الله بعيني وأحطت به علماً ، وهو على صورة البشر ؟ اما تستحون ؟ ما قدرت الزنادقة ان ترميه بشيء حتى قالوا ياتي من عند الله بشيء ، ثم يأتي بخلافه ! قال

له ابوقرة فأنه تعالى يقول ( ولقد رآه نزلة أخرى ) فقال الإمام (ع) : ان بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال ( ما كذب الفؤاد ما رأى ) يريد بذلك ما كذب فؤاد محمد (ص) وما رأت عيناه . ثم اخبر بما رأى فقال :( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) وآيات الله غير الله . ولقد قال سبحانه :(ولا يحيطون به علماً ) فاذا رأته الأبصار فقد احيط به علماً ، قال ابوقرة : افنكذب الروايات ؟ قال الإمام (ع) اذا كانت الرواية مخالفة للكتاب كذبتها .

والاحاديث الواردة عن ائمة الشيعة على نفي الرؤية كثيرة جداً . وما ورد في القرآن الكريم مما يدل بظاهره على الرؤية او التجسيم لابد من التصرف فيها بنحو من انحاء التجوز الشائع في كلام العرب .

## الواجب لا يحل بغيره ولا يتحد مع غيره

ومن عقائد الشيعة ان الواجب لايحل بغيره ولا يتحد مع غيره: والمراد من الحلول ان يكون موجوداً في محل على نحو يكون قائماً فيه ، والمراد من الإتحاد صيرورة الشيئين او الأكثر شيئاً واحداً ، وهذا لايمكن أن يكون بالنسبة الى الواجب ، لما ذكرناه من ان الواجب هو الموجود بنفسه ولا يفتقر في وجوده الى الغير ، وما كان كذلك لابد وان يكون غير متناه ،والا لزم كونه محتاجاً الى المكان،واذا لم يكن متناهياً فلا يتصور فيه الحلول ، لان الحلول يلزمه ان يكون

محدوداً ، واذا فرض كونه محدوداً كان متناهياً . وايضاً الحال يفتقر الى محل يحل فيه ، واذا افتقر الى المحل كان ممكناً ، والمفروض كونه واجباً ، وايضاً الحلول في محل يستلزم الخلوّ من المكان الآخر . وهو سبحانه موجود في كل مكان .

واتحاده مع غيره على ان يكون هو وذلك الغير شيئاً واحداً محال ايضاً ، ويترتب عليه ما ذكرناه من اللوازم الباطلة التي لايمكن تصورها فضلا عن التصديق بها .

ولقد ظهرت هاتان الشبهتان في صدر الإسلام في خلافته (ع) فانكرها عليهم وحذرهم ، وأقام لهم الأدلة على انه عبد من عباد الله ، ولما لم يرجعوا عن ضلالهم ، احرق قسماً منهم وبقي منهم افراد تستروا بالتوبة ثم اظهروا شبهتهم بعد قتله (ع) ، فانكرها عليهم الحسن (ع) واذاع بين اصحاب ابيه مفاسد هذه العقيدة الفاسدة . وهكذا كان غيره من ائمة الشيعة الى ان ظهر النصيري ومحمد بن اسحاق في ايام الحسن العسكري (ع) فتبرأ منهما وممن يقول بمقالتهما . وما زال علماء الشيعة يعلنون في كتبهم ومجالسهم براءتهم من اصحاب هذه العقائد ومع اشتهار ذلك عن الشيعة الإمامية فمازال الكتاب يلصقون أصحاب هذه الشبه بالشيعة ، فكأن الميزان عندهم في التشيع هو مجرد العلقة بعلي (ع) وأبنائه ولو كانت بهذا النحو الفاسد .

## الحسن والقبح العقليين

ومما يعتقد به الشيعة الإمامية الحسن والقبح العقليين ، والمراد منه هو حكم العقل ابتداء بحسن بعض الأفعال وقبح بعضها

ويكون الشرع مقرراً وموافقاً لما حكم به العقل .

فالصدق والوفاء وشكر المنعم وغير ذلك حسن بنظر العقل ويستحق المتصف بذلك مدحاً ومثوبة ، والظلم والتعدي والخيانة كل هذه الصفات توجب ذماً وعقوبة بنظر العقل ايضاً ، ولا يتوقف حكم العقل بقبح هذه وحسن تلك على الشرع .

وخالف في ذلك الأشاعرة فقالوا ان الحسن والقبح شرعيان والعقل لارأي له في حسن شيء او قبحه ، والمعول في ذلك على الشرع ، فما حكم بحسنه فهو الحسن ، وما قبحه فهو القبيح ، وفي ذلك مخالفة لما فطر عليه الإنسان ، فأن من نشأ في بلاد لايعلم باحكام الشرع ولا يسمع بالشرائع ، لو خير بين الصدق والكذب لايختار على الصدق شيئاً ، ولولا أنه يراه حسناً بحسب فطرته لما فرق بينهما ورجح احدهما على الآخر.

ولانشك في ان من ينكر الشرائع والاديان السماوية يحكم بحسن بعض الافعال وقبح بعضها ولا يتوقف في ذلك وهذا مما يشهد به الوجدان .

والحسن والقبح كما يراد منهما صفتي الكمال والنقص ،كما تقول العلم حسن والجهل قبيح ، فهما بمعنى الكمال والنقص كذلك ، يراد بهما ما فيه المصلحة والمفسدة ، فالحسن مافيه المصلحةالداعيةالى فعله ، والقبيحما فيه المصلحةالداعية الى تركه.

والحسن والقبح بهذين الاعتبارين يرجعان الى الشيء إما بملاحظة ذاته كما في المعنى الأول ، واما باعتبار ما يترتب عليه من المصلحةوالمفسدة كماهو الحال في المعنى الثاني للحسن والقبح.

ويطلق الحسن والقبح على الشيء باعتبار استحقاق فاعله للمدح والذم ، فماتعلق به المدح وترتب عليه الثواب يسمى حسناً وما تعلق به الذم وترتب عليه العقاب يتصف بالقبح .

اما الحسن والقبح بالمعنى الأول والثاني فلا أظن ان احداً يقول بتوقفهما على امر الشارع فاوصاف الكمال يحكم العقل بحسنها ، ولا يتوقف على بيان الشارع والرسول ، وكذا الحال في اوصاف النقص ، وكذا الحال بالنسبة الى الحسن والقبح بالمعنى الثاني . فالحكم بحسن مافيه المصلحة ، وقبح ما فيه المفسدة لايخالف فيه احد ، ولايتوقف على حكم الشرع في ذلك ، فينحصر النزاع اذن بين الأشاعره وغيرهم من الإمامية والمعتزلة بالمعنى الثالث للحسن والقبح .

فالإمامية يدعون ان العقل يحكم بحسن بعض الأفعال ومدح فاعلها ، وجد الشرع اولم يوجد ، كما يحكم بقبح بعض الأفعال وذم فاعلها ايضاً .

وفيما لايدرك العقل حسنه او قبحه لابد من حكم الشرع فيه ولنحكم عليه بالحسن او القبح ،والأشاعرة يدعون ان الحسن القبح بهذا المعنى انما يكون باعتبار امر الشارع ونهيه ، فما لم يكن منه امر ونهي لايدرك العقل قبحه وحسنه لكي يستحق الفاعل مدحاً او ذماً ، ومهما يكن الأمر فالمسألة محررة في كثير من كتب علمائنا الكلامية كالعلامة والمرتض والمفيد وغيرهم ممن تأخر عنهم .

# القَضَاء وَالقَدَر

## عند الشيعة الامامية

لقد ورد عن النبي (ص): كل شيء بقضاء وقدر، وورد ان افعال العباد بقضاء الله وقدره، وقد ورد في الكتاب والسنة بمعان مختلفة.

منها الخلق والاتمام، كقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) اي خلقهن سبعاً واتمهن سبع سموات، ومنها الحكم والايجاب كقوله تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه). ومنها الاعلام والإخبار كقوله (وقضينا الى بني اسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين) والمقصود هو الإعلام والإخبار، وكما ورد القضاء بمعان مختلفة، فقد ورد القدر بمعنى الخلق، كقوله (وقدرنا فيها اقواتها) وبمعنى الكتابة كقوله سبحانه (الا امرأته قدرناها من الغابرين) وورد لغيرهما ايضاً. ومهما يكن الحال فان اريد من كون افعال العباد بقضاء الله وقدره هو الحكم عليهم بها وايجابها عليهم فلا نمنع من ذلك، لان الحكم عليهم والزامهم لا يلزم منه كونهم مجبورين عليها كما سنبين ذلك في مسئلة الجبر والتفويض، وكذا اذا اريد منهما البيان والكتابة او العلم بانهم سيفعلونها، ولا يلزم من جميع ذلك ما يتنافي مع مذهب الإمامية.

واما القضاء والقدر بمعنى الخلق والايجاد فليس في آيات الكتاب وسنة النبي ما يدل عليه فمعنى القضاء والقدر في افعال العباد هو علم الله سبحانه او كتابته في اللوح المحفوظ لافعال عباده وعلمه بما يفعله العبد او كتابته لذلك لايلزم منه كون العبد مجبوراً على ذلك .

واحسن الأحاديث واوضحها بياناً للقضاء والقدر ، ما رواه الأصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (ع) روي في الكافي عن الأصبغ بن نباتة ان شيخاً قام الى علي (ع) فقال اخبرنا عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء الله وقدره ؟ فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما وطئنا موطئاً ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء الله وقدره ، فقال الشيخ فعندالله احتسب عنائي ، ما أرى لي من الأجر شيئاً . فقال علي (ع) ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون ، وفي منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا اليها مضطرين ، فقال الشيخ فكيف والقضاء والقدر ساقانا ، فقال ويحك لعلك ظننت قدراً لازماً وقضاء حتماً لوكان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ، والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم تأتِ لائمة من الله لمذنب ، ولامحمدة لمحسن ، ولم يكن المحسن اولى بالمدح من المسيء ولا المسيء اولى بالذم من المحسن ، تلك مقالة عباد الأوثان ، وجنود الشيطان ، وشهود الزور واهل العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها .

ان الله سبحانه امر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

فقال الشيخ : فما القضاء والقدر اللذان ما سيرنا الا بهما ؟ فقال (ع) : هما الأمر من الله والحكم . ثم تلا قوله سبحانه ( وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه ) فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول :

انت الامام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه احسانا

فالقضاء والقدر بما لهما من المعنى الذي يقول به الإمامية، ويظهر من هذا الحديث وغيره، لايتنافيان مع اختيار العبد بنحو يصح معه الثواب والعقاب .

# العـــدل

ومن عقائد الإمامية العدل ، ان ربك لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون ، ونهى الله سبحانه في جميع كتبه التي انزلها على رسله عن الظلم ، وامر بحرب الظالمين ولعنهم ، وتوعدهم العذاب الأليم ، ويترتب على ذلك بطلان شبهة الجبر والتفويض وثبوت الواسطة ولقد كانت ولا تزال هذه الشبهة من اهم المسائل النظرية واعقدها منذ العصور الأولى، ونالت حظاً وافراً عند المصنفين والباحثين ، وملأت فراغاً واسعاً من كتب التأليف والتصنيف في فني الحكمة والكلام .

فوقف الشيعة الإمامية في جانب ووقف غيرهم في جانب آخر ، فقال الشيعة : لاجبر ولا تفويض ولكن امر بين بين . كما هو نص حديث الامام الصادق (ع) ، فلا جبر على الأفعال ، ولا هو مستقل بالتصرف استقلالاً تاماً، واستدل الشيعة بالعقل والنقل ،ولقد ذكروا الدليل العقلي في هذه المسئلة بوجوه متعددة يكاد التفاوت بينها ان يكون بسيطاً او معدوماً ، لذا فانا نقتصر على بعضها .

فمنها ان العاقل لاشك لايغفل عن الفرق بين الحركات الأختيارية

وغيرها ويرى الإنسان نفسه مختاراً في جميع أفعاله وتصرفاته ، ويحسن عند العقل ان نمدح فاعل الخير المحسن الى الناس ، وان نذم الظالم الجائر المسيء لغيره ، فلولا ان الأفعال من صنع الإنسان لما استحق مدحاً او ذماً ، وانما يحسنان اذا جازت نسبة الفعل الى العبد الفاعل ، ولذا فان البياض والسواد لا يستحق المتصف بهما ذماً او مدحاً ، لانهما ليسا من فعله .

ومنها ان الله سبحانه أمر عباده باشياء كثيرة وجعل لها حدوداً ليقف الإنسان عندها ونهاهم عن اشياء ، واراد منهم فعل ماامرهم وترك ما نهاهم عنه . .

قال سبحانه : (وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون) والتكليف لايجوز بحكم العقل اذا كان الفاعل هو الله ، لأنه اذا خلق فينا الفعل كان واجب الحصول ، وان لم يخلقه كان ممتنع الحصول ، وما كان وجوده واجباً وعدمه ممتنعاً لايصح التكليف به عقلا ، لاستناد الشيء الى أسبق علله واقواها ، فان كان الإنسان شريفاً مع الله سبحانه ، فالتأثير انما يكون لأقوى الأسباب وهو الله سبحانه ، واذا لم يكن للعبد شأن في ذلك كان التكليف لغواً من الآمر والمواخذة من افحش انواع الظلم .

ولقد سئل الإمام موسى الكاظم عن المعصية هل هي من الله او العبد ؟ فقال : لاتخلو من ثلاث ، اما ان تكون من الله وليس من العبد شيء ، فليس للحاكم ان يؤاخذ عبده بما لم يفعل ، واما ان تكون من العبد ومن الله ، فليس للشريك الأقوى ان يؤاخذ الأصغر بذنب هما فيه سواء ، واما ان تكون من العبد وليس من

الله شيء ، إن شاء عفا وان شاء عاقب ، وهو اسعين ، ولقد قال بعض الشعراء :

لم تخل افعالنا اللاتي نذم بها إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها
او كان يشركنا فيها فيلحقه ماسوف يلحقنا من لائم فيها
اولم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلاذنب جانيها

ومما لاشبهة فيه ان الأفعال تصدر بعد القصد ووجود الداعي وانتفاء الموانع شرعية كانت ام عقلية ، كما وان الترك انما يكون لوجود الداعي اليه ، والصارف عن الفعل . فالإنسان اذا جاع ، وامكنه تناول الطعام ، من غير ان يكون ما يمنعه من ذلك ، وقع منه الأكل لامحالة ، ومع فرض ان الأفعال من صنع الله سبحانه ، لايكون للقصد ، ووجود الداعي ، وانتفاء الموانع ، أثر في وجود الأفعال وتركها ، والضرورة تقضي ببطلان ذلك فمع القصد اليه ووجود الداعي لفعله لابد من وجوده ولا يقع منه غيره . واذا لم توجد دواعيه ووجود الصارف عنه لايمكن وجوده

ولو قطعنا النظر عن هذه الأدلة ، فالوجدان خير شاهد على ان افعال العباد انما تصدر عنهم مختارين في صدورها ، ويرى الإنسان نفسه حين العمل قادراً على الفعل والترك .

ويستدل الإمامية على بطلان الجبر بايات كثيرة من كتاب الله، والآيات الواردة في المقام منها ما هو صريح في أن الفعل مضاف إلى الإنسان لقوله سبحانه ( فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم )

وقوله سبحانه في قصة يعقوب مع اولاده ( بل سولت لكم أنفسكم امراً ) وقوله سبحانه حكاية عن قابيل وهابيل ( فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله ) وقوله (كل امرئ بما كسب رهين ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على نسبة الفعل الى العبد ، وكونه صادراً منه من غير ان يكون مجبوراً على ذلك . ولو كان الفاعل غيره او كان له شريك في ذلك لما صحت هذه النسبة .

ومن الآيات الكريمة ما هو صريح في مدح المؤمن على ايمانه، ووعده بالثواب والدرجات الرفيعة في دار الجزاء ، وذم الكافر على كفره ، وتوعد المنافقين بالعقاب على كفرهم ونفاقهم ، كقوله سبحانه ( اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ) وفي اية اخرى( اليوم تجزون ما كنتم تعملون ) وقوله سبحانه : ( ولا تزر وازرة وزر اخرى ) وقوله ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ) وقوله ( من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها) الى كثير من أمثال هذه الآيات الصريحة في وعد المطيع بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، وفي كثير من آيات الكتاب تتضمن توبيخ العبد على كفره وعصيانه ، كقوله ( وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى )وهي انكار في معرض الإستفهام : وقوله تعالى ( ما منعك ان تسجد إذ أمرتك ) ( لم تصدون عن سبيل الله ) ولو كان سبحانه غير مريد للايمان كيف يأمرهم به ويوبخهم على تركه. وكيف ينهى عن الكفر وقد اراده، وخلقه فيهم، وكيف ينكر عليهم لبس الحق بالباطل ويقول لهم : ( لم تلبسون الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ). واذا كان هو الذي

صدهم عن السبيل كيف يقول ( لم تصدون عن سبيل الله ) ومن النصوص القرآنية ما هو صريح في تخيير العبد في افعاله ، وكونها معلقة على مشيئته قال سبحانه ( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وقوله ( اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم ) ( فمن شاء ان يتقدم او يتأخر ) ( فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا )

وقسم من الآيات الكريمة جاءت في مقام الحث على الطاعة والمسارعة الى عمل الخير والاحسان كقوله ( وسارعوا الى مغفرة من ربكم ) ( واستبقوا الخيرات ) ( واتبعوا أحسن ما انزل اليكم) ( واجيبوا داعي الله ) ولو كان الانسان مجبوراً على الفعل لايجوز أمره بالمسارعة والأستباق ، والعاجز عن القيام باوامر المولى لا يصح تكليفه بالمسارعة الى امتثالها ، ان هؤلاء ارادوا ان يثبتوا لله القدرة والعظمة ، فاثبتوا له الظلم والجور والعبث واللغو ، من حيث لايشعرون .

وقد حكى الله سبحانه عن العصاة والمنافقين اعترافهم بالتقصير وعدم قيامهم بما فرض عليهم كقوله ( ما سلككم في صقر قالوا لم نك من المصلين . ولم نكن نطعم المسكين ) وقوله (كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما أنزل الرحمن من شيء ) .

ولو كان العبد مجبوراً في افعاله لكان له على الله الحجة البالغة اذا اراد ان يعاقبه على معصيته ، وكان له ان ينسب الجور والظلم الى الله في تعذيب عباده ، ولا محل لا عترافهم بالتقصير والتكذيب للرسل ، كما هو مفاد الآيات الكريمة ، وأي فائدة للرجعة التي

يتمناها الكافر والمنافق ، كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم ، اذا لم يكن الفعل تحت سلطان العبد .

قال سبحانه ( ولو ان لي كرة فاكون من المحسنين )،وقوله ( ربي ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت ) وغيرهما من الآيات الكريمة الحاكية لطلب الرجعة بلسان العصاة . واذا لم تكن الأفعال من صنع العبد يكون هذا الطلب لغواً اذ لا اختيار له ليختار الأعمال الصالحة ويتجنب المعاصي .

واخيراً فالعقل والكتاب والوجدان ، هذه الثلاثة تشهد ببطلان هذه الشبهة ،وتثبت اختيار العبد في جميع تصرفاته وافعاله ، لنحو من انحاء الإختيار ، يخرجه عن الجبر ولا يلحقه بالتفويض ولازم ذلك ثبوت الواسطة التي عناها الامام (ع) بقوله ( امر بين بين ) ،وليساهما كالنقيضين اللذين لايجتمعان ولا يرتفعان ، ولا كالضدين اللذين لاثالث لهما ، وانما هما ضدان يمكن ارتفاعهما وثبوت امر ثالث محلهما، كما كشفت عن ذلك الأدلة العقلية والنقلية

وارادته سبحانه المتعلقة بالايمان والطاعة مع فرض ان العبد ربما يتحقق منه الكفر والعصيان في هذا الحال ، لا تستوجب تخلف ارادته عن مراده بالمعنى المستلزم بعجزه وعدم قدرته ، وذلك لأن ارادته التكوينية التي هي عبارة عن العلم بالنظام الكامل لاتنفك عن مراده ، وإلا لزم انقلاب علمه جهلاً ، ولكن لا علقة لها بما نحن فيه ، وارادته التشريعية ليست الا العلم بالمصلحة في فعل المكلف ، ولا يلزم من عدم وجود المراد في حال وجودها التفكيك بينهما وبين المراد .

بيان ذلك ان وجود الشيء خارجاً اذا كان له اكثر من مقدمة لابد وان يكون لكل واحدة من تلك المقدمات أثر في جهة من جهات وجوده ، ولو اشتركت كلها في جهة واحدة امتنع تعددها وكانت بأجمعها مقدمة واحدة .

ثم ان المصلحة الداعية الى ارادة الوجود ، تارة تقتضي حفظ الوجود من جميع الجهات ، وبلحاظ جميع المقدمات ، ولازم ذلك تعلق الارادة به من جميع الجهات بحيث ينشأ من تلك الارادة النفسية ارادة غيرية بعدد تلك المقدمات تتعلق كل واحدة منها بواحدة من المقدمات .

واخرى لاتكون المصلحة مقتضية لحفظ وجوده من جميع الجهات ، بل للحاظ جهة دون غيرها ، ولازم ذلك تعلق الإرادة به من تلك الجهة دون غيرها ، وينشأ من تلك الإرادة النفسية ارادة غيرية تتعلق بالمقدمة الحافظة للوجود من جهة تشريع الحكم.

وصدور الفعل من المكلف اذا لم يكن مما تقتضيه نفس الطبيعة ، يتوقف على امور ثلاثة : تشريع الحكم،وعلم المكلف به الموجب لحدوث الداعي العقلي الى فعله ، وعدم مزاحمة العقلي بداعي اقوى منه من الدواعي النفسية،فكل من هذه الثلاثة مقدمةلوجود الفعل خارجاً ، فيكون تشريع الحكم من مقدمات وجود الفعل ويكون حافظاً لبعض جهات وجوده ، فالارادة التشريعية هي ارادة الشيء بلحاظ وجوده بعد فرض وجود المصلحة فيه .

واما الارادة التكوينية فهي التي تتعلق ،بالفعل من جميع جهات وجوده ، ويستحيل تخلفها عن المراد والحال هذه ،واماالتشريعية

فلا يستحيل فيها ذلك لانها تدعو إلى وجود الفعل خارجاً من حيث التشريع لا من جميع الجهات التي يتوقف عليها الوجود، وقد بينا ان الوجود الخارجي يتوقف على امور ثلاثة منها تشريع الحكم وجعله على المكلف فتكون الارادة التشريعية من قبيل الداعي الى وجود الفعل في الخارج ، ومن هنا يتوجه سؤال آخر : وهو ان الكفر والإيمان لا اشكال بتعلق ارادته التكوينية بهما من جميع الجهات التي تقتضي وجودها، وقد فرضنا انها لاتتخلف عن المراد ، فلا يكون ترك الكفر، والإيمان داخلين تحت اختيار العبد وقدرته ، ليصح التكليف بهما ، والاختيار معتبر فيه عقلا ؛

وبعد ملاحظة ما ذكرنا يتضح الجواب عن هذه الشبهة ، لان تعلق الارادة بهذين يمكن ان يكون على نحوين : احدهما ان تتعلق بهما بلاتوسط ارادة العبد،كتعلقها بسائر الممكنات الموجودة وثانيهما ان تتعلق بهما بتوسط ارادة العبد بأن يكون الإيمان مثلا الصادر عن ارادة العبد هو المتعلق للارادة التكوينية .

فان كان تعلق الارادة على النحو الاول ازم كون وجود الايمان مثلا خارجاً عن قدرة العبد واختياره،وان كان على النحو الثاني لزم ان يكون باختيار العبد وارادته . والا لزم تخلف الارادة عن المراد ، لأن الارادة لم تتعلق به مجرداً عن اختيار العبد ، بل تعلقت به بلحاظ صدوره عنه باختياره ، فلو وجد الايمان مجرداً عن اختيار العبد تخلفت الارادة عن المراد لأن متعلقها الوجود الصادر عن الإختيار لا الوجود المطلق.

ومن اراد ان يتبسط في الموضوع فعليه بمراجعة الكتب

الكلامية لعلماء الشيعة كالعلامة والمرتضى وغيرهما .

بقي ان اصحاب الشبهة ربما يتمسكون لاثبات شبهتهم زيادة عما ذكروه بظواهر بعض الآيات الواردة في الكتاب الكريم ، ولست في كتابي هذا بصدد ذكر الادلة ونقضها او تصحيحها الا اني احببت ان أتعرض لبعض نواحي هذه المسئلة ، لكثرة الاسئلة حولها وحول ظواهر بعض الآيات التي يمكن ان تكون مدركاً لاصحاب شبهة الجبر . لذلك فاني أذكر بعض الآيات ، والجواب عنها حسبما هو موجود في كتب علماء الطائفة الذين تناولوا هذه المسئلة في كتبهم المعدة لدفع الشبهات .

فمن الآيات قوله تعالى في سورة البقرة : ( الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ) وظاهر الآية يقتضي كونه سبحانه هو الموجد للايمان في نفوسهم ، لان النور هو الايمان والظلمة هي الكفر ، وقد اضافه إليه سبحانه فيكون هو الفاعل لذلك .

وبعد التأمل في الآية الكريمة يتضح انها بعيدة عما يدعيه اصحاب الشبهة المذكورة . لان النور والظلمة ، كما يمكن ان يراد بهما الكفر والإيمان، يجوز ان يراد بهما الجنة والنار، وظاهرها يساعد على المعنى الأخير لهما ، لأن اخراج المؤمنين من الظلمات الى النور بعد فرض اتصافهم بالإيمان في رتبة سابقة على الاخراج، ولا يصح والحال ذلك ان يراد بهما غير الثواب والعقاب لانه فرض كون الإيمان لهم ، ومن يثبت ايمانه يخرج من غضب الله وعقابه الى رضوانه وثوابه ، ولو اريد من النور الايمان ومن الظلمة الكفر ،

لزم التناقض في مدلول الآية الكريمة . وعليه يكون مفادها ، ان المؤمن بوصف كونه مؤمنايخرج من الكفر الى الايمان،وخروجه من الكفر يقتضي كونه كافراً قبل الأخراج ، وقد فرضنا ايمانه كما هو نص الآية وهو تناقض ظاهر .

ويؤيد ما ذكرناه من معنى الآية قوله سبحانه ( والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ) فاسند اخراجهم الى الطاغوت ، ولازم ذلك كون الطاغوت هو الفاعل للكفر ، لو فسرنا الظلمة والنور بالكفر والايمان ، ولا يلزم بذلك صاحب الشبهة ، فلا بد وان يكون المراد بالنور والظلمة الثواب والعقاب في المقامين ، لأن الإخراجين من نوع واحد ، وانما نسب الإخراج الى الطاغوت ، مع ان الله سبحانه هو الذي يدخل العبد جنته وناره ، من حيث انه زين لهم الكفر والتمرد على المولى وصدهم عن اطاعته ، واغراهم بمعصيته ، فصحت هذه النسبة توسعاً وتجوزاً في الكلام ، كما وان نسبة الاخراج من الظلمة الى النور لله سبحانه ، لأنه رغب عبده في الطاعة وقوى في نفسه الدواعي التي تسهلها له بعد وجود بقية المقدمات. ومن جملة الآيات ( اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ) والمراد من الآية كما يفهم صاحب الشبهة والله خلقكم وخلق الذين تعملونه اي وخلق اعمالكم ، واذا كانت الأعمال مخلوقة لله سبحانه ، لا يصح من ان يعاقب عليها ، والا كان ظالماً لعباده .

ولكن بعد التأمل في الآية يتضح ان المراد بقوله : وما تعملون هو وما تعملون فيه من الأحجار والاخشاب التي تتخذونها اربابا تعبدونها

من دون الله . والمراد من الآية هو الانكار عليهم وتوبيخهم على عملهم لانهم نحتوا الأصنام في الأحجار والأخشاب واتخذوها آلهة لهم مع انما ينحتون فيه من مخلوقاته سبحانه فقدعبدوا مخلوقاً مثلهم . فليست الآية في مقام الاخبار عن خلق الأعمال وانما هي في مقام الانكار عليهم لانهم عبدوا صنماً صنعوه في مخلوق من مخلوقاته سبحانه .

ومن جملة الآيات التي يمكن ان يستند اليها اصحاب الشبهة ، قوله سبحانه : ( ولا ينفعكم نصحي إن اردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم . )

والذي يمكن ان يقال تمشياً مع المجبرة ، ان المراد بالغواية هو الضلال ، واذا اراد الله سبحانه ان يضل قوماً لاتتخلف ارادته عن مراده ، فلا يبقى أثر لنصح الرسول وارشاده ، واذا كانت الغواية منه لزم عدم العقاب عليها والا كان ظالماً لعباده ، ولو أن المجبرة يلتزمون بجواز الظلم وعدم قبحه لم يبق لنا نزاع معهم في هذه المسئلة .

وبعد التأمل في الآية يظهر ان الله سبحانه لم تقع منه الغواية ولم يردها لعباده . وانما اخبرهم على لسان رسوله ، أن نصح النبي لاينفع ان كان الله يريد غوايتهم ، وجواز وقوع الإرادة منه سبحانه لايدل على ان المراد بالغواية هو التمادي في المعصية ، بل من الغريب ان يكون المراد بها هو العقاب ، فيكون معنى الآية هو ان نصحي وارشادي لايدفع عنكم العقاب ما دمتم مصرين على ما انتم عليه من الضلال والعصيان ، إلا ان تطيعوا وتتوبوا

الى ربكم من سوء اعمالكم .

وقد عبر سبحانه عن العقاب بالغواية في آية أخرى ، قال : ( فسوف يلقون غياً ) . وهو مصدر مشتق من ( غوى )

ومهما يكن فالمراد من الآية ان نصحي وإرشادي لا يدفع عنكم عذاب الله وعقابه ، ما دمتم مصرين على سوء اعمالكم .

وفي الأمالي للسيد المرتضى عن جعفر بن حرب أن الآية كانت في طائفة من قوم نوح تقول بأن الله اراد غوايتهم وعدم ايمانهم به ، فنبههم الله سبحانه على فساد مذهبهم على سبيل الإنكار لقولهم اي ان كان الله كما تقولون وتزعمون يفعل فيكم الكفر والعصيان ، فما ينفعكم نصحي ولا تطلبوه مني ، وانتم على هذه العقيدة الفاسدة لانكم لاتنتفعون به ، اذا كان الله هو الذي يغويكم

ويمكن ان يكون المراد بها أن النصح لاينفع الظالم عند عقابه ونزول العذاب به ، اذ لو تاب والحال هذه ، لاتنفعه التوبة ولا تقبل منه ، فلا فائدة في نصحه وارشاده ، ومن الآيات قوله تعالى: (ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من ينيب) ،وقوله في السورة نفسها : ( ومن يضلل الله فما له من هاد) ،وفي سورة الأنعام ( من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ) وغير ذلك من الآيات التي علق فيها هداية العبد وضلاله على مشيئة الله سبحانه .

والجواب عنها انه ليس في هذه ما يدلنا على انه قد اضل عباده ، وفعل بهم الهداية ، بل غاية ما تدل على انه لو اقتضت مشيئته ذلك لوقع العبد في شرك العصيان والخذلان ، فهي غاية

ما تدل على قدرته تعالى على التصرف بعباده بكل انحاء التصرفات ولا يتنافى مع ماعليه الإمامية القائلين بالعدل وعدم جواز القبيح عليه سبحانه .

وثانياً ـ ان المراد بالضلال هو ان يسلب العبد الطافه وفوائده فيما اذا تواترت عليه الحجج والبراهين ، وبقي مصراً على طغيانه واعراضه عنها، ففي هذه الحالة يبقيه الله على ما يختارو يمنع عنه اللطف الالهي ، والنور الذي يمكن ان يهتدي بواسطته الى الله سبحانه ، ولا تضر في هذه الأحوال نسبة الإضلال الى الله، لأن العبد بطغيانه وتمرده كان سبباً لاعراضه عنه ، وعدم ازاحة الشر من نفسه فتركه على ما هو عليه خذلان منه سبحانه لذلك العبد المتمرد ، فليس المراد انه خلق الضلال والهداية بعباده وامرهم بها ، ومهما يكن الحال فجميع الآيات التي يمكن ان تكون محلا للشبهة ليست نصاً فيما يدعون ، وظاهر بعضها وان دل على ذلك ، ولكن هذا الظاهر لابد من التصرف فيه بعد قيام الدليل العقلي على عدم جواز نسبة الظلم اليه سبحانه، لاسيما وان الكثير من آيات الكتاب نص فيما تدعيه الإمامية .

ومن جملة الآيات قوله سبحانه ( واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) فهي تدل بظاهرها على ان الله سبحانه اذا اراد ان يهلك قوماً ويعذبهم امر المترفين منهم ففسقوا وكان فسقهم مترتب على الأمر ، فكانه أمرهم بالفسق او امرهم ليفسقوا ، فكأنه اراد منهم الفسق ليعذبهم عليه ، فليس مصدر العقاب عصيان العبد

المنبعث عن اختياره وتمرده على الله سبحانه ، بل مصدر العقاب ارادته لذلك ابتداء غايته انه امرهم بعد ان أراد عقابهم ، ليتحقق منهم الفسق ، فكأنه يريد ان ينتقم منهم على كل حال ، ولكنه يريد ان يخلق له سبباً للانتقام . وسواء كان مفادها انه امرهم بالفسق ، او اراد ان ينتقم منهم فخلق سبباً لذلك ، ليصح منه ذلك ، ولا يجوز عليه لأنه على كلا التقديرين ظلم منه لعباده .

ويمكن الجواب عنها بأن قوله امرنا مترفيها ، ليست جواباً لقوله واذا اردنا ان نهلك قرية ، بل هو صفة لأهل القرية ، فيكون مفادها واذا اردنا ان نهلك قرية صفتها انا امرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، وخالفوا ما امرناهم به باختيارهم وارادتهم .

وعلى هذا تكون اذا بدون جواب ظاهر ، وقد استغني عنه بدلالة الكلام عليه . ونظير ذلك في الاستغناء عن جواب اذا لدلالة ظاهر الكلام عليه قوله تعالى : ( حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها طبتم فادخلوها خالدين )

وقد ورد حذف الجواب للاستغناء عنه اختصاراً ، وعلى هذا لا تكون إرادته للعقاب سابقة على معصيتهم ، بل تكون المعصية مفروضة الوجود قبل ان تتعلق ارادته بعقابهم .

ويمكن ان يكون في الآية تقديم وتأخير ، ويكون المعنى على هذا الوجه اذا امرنا مترفي قرية بالطاعة وفسقوا اردنا هلاكهم وعقابهم .

نظير قوله تعالى ( ياايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم ) مع ان الغسل انما يجب قبل

القيام الى الصلاة ، والمراد منها هو الأمر بغسل وجوههم وايديهم عند القيام للصلاة .

وهذا النحو من التصرف بعد وجود الشاهد عليه ، لايتنافى مع ظاهر الآيات الكريمة ، وكما لايقول الشيعة بالجبر لايقولون بالتفويض ، سواء فسرناه بارجاع الأمر الى العبد ، واستقلاله بجميع الأفعال استقلالا تاماً على وقف مشيئته واختياره ، وليس لله في اعماله صنع ولا سلطان له عليه فيما يفعل ، او فسرناه بتفويضه امر الخلق والرزق الى بعض عباده ، كما تظهر مما رواه الصدوق بسنده عن يزيد بن عمر قال : دخلت على علي بن موسى الرضا (ع) فقلت له يا ابن رسول الله ! روي لنا عن الصادق انه قال : لاجبر ولاتفويض ولكن امر بين بين ، فما معناه ؟ فقال (ع) من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها ، فقد قال بالجبر ، ومن قال ان الله سبحانه فوض امر الخلق والرزق الى حججه ، فقد قال بالتفويض . فالقائل بالجبر كافر ، والقائل بالتفويض مشرك ، فقلت ياابن رسول الله! فما امر بين بين ؟ فقال وجود السبيل الى اتيان ما امروا به ، وترك ما نهوا عنه فقلت فهل لله مشيئة وارادة في ذلك ؟ فقال اما الطاعات فارادة الله ، ومشيئته فيها الأمر بها والرضا والمعاونة عليها ، وارادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها ، والسخط لها ، والخذلان عليها فقلت فلله عز وجل فيها القضاء والقدر ، قال نعم ، ما من فعل يفعله العبد من خير وشر الا ولله فيه قضاء ، قلت فما معنى القضاء ؟ قال الحكم عليهم بما يستحقونه على افعالهم ، من

الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ، فالرواية تنص على ان التفويض بالمعنى الثاني يؤدي الى الشرك بالله سبحانه ، لأن الخلق والرزق من وظيفة الخالق ، ومن اثبتهما لغيره فقد جعل له شريكاً في سلطانه ، والتفويض بهذا المعنى قول بعض الفرق من الغلاة .

واما التفويض بالمعنى الأول ، فيلزمه ان يرضى الله سبحانه عن كل ما يفعله العبد من خير او شر ، ولا يصح منه العقاب والحال هذه ، لأنه ترك لعبده ان يفعل وفوض له الاختيار . فنتيجة التفويض بهذا المعنى كنتيجة الجبر من حيث عدم صحة العقاب على المعصية ،وفي شرح عقائد الصدوق للمفيد في تفسير الواسطة بين القولين :

ان الله تعالى اقدر الخلق على افعالهم ومكنهم من اعمالهم وحد لهم الحدود في ذلك ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف ، والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها ، ولم يفوض اليهم الأعمال لمنعهم من اكثرها ، ووضع لهم الحدود فيها وامرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها ، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض .

# النُّبُوَّة

الأصل الثالث عند الشيعة النبوة ـ يعتقد الشيعة الامامية بنبوة محمد ابن عبد الله (ص) ، كما يعتقدون بنبوة من تقدمه من الأنبياء ، والمشكك بنبوته كالمنكر لها كافر باجماعهم .

وادلتهم على ذلك كثيرة ، منها ان الله سبحانه لم يكن لاغياً في خلقه ولا عابثاً في ارادته ، وانما خلقهم لمصالح ترجع اليهم ، وهو الغني عن عباده ، والغني لا يفتقر لغيره فيما هو غني فيه ، ولابد من ارشادهم لتحصيل تلك المصالح المترتبة على وجودهم ولا يتم ذلك الا بواسطة من يختاره لاداء تلك المهمة ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته . وبعد ان خلقهم لمصالح ترجع اليهم ، ولم يكن العقل كافياً في ادراك الحسن والقبح في جميع الأفعال ، وانما يدرك حسن بعض الأفعال وقبح بعضها ، ولا طريق الى معرفة ذلك إلا بواسطة الرسول المبلغ عن الله سبحانه .

ومنها ان الله سبحانه كلف العباد بعبادته ، واراد منهم ما يقربهم اليه ، قال سبحانه ( وما خلقت الجن والانس الاليعبدون ) ووصف نفسه باللطف بهم في قوله ( الله لطيف بعباده ) ولا يمكن التوصل اليه ليعملوا بما يريد ، ويتجنبوا عما يكره ( وما كان

لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أومن وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي اليه ما يشاء انه عليّ حكيم ) فلا بد من ارسال الرسول ليكون واسطة بين العبد وربه ليرشدهم الى ما فيه الخير لهم ، وينهاهم عما فيه العقاب ، ويجمعهم تحت لواء واحد ، وعلى شرع واحد ، ليعملوا جميعاً لما فيه خيرهم وسعادتهم .

وروي في الكافي عن هشام ابن الحكم ، عن ابي عبد الله الصادق (ع) انه قال : من اين تثبت الأنبياء والرسل ؟ قال (ع) انا لما اثبتنا ان لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق ، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً ، لم يجز ان يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ، ويحاجهم ويحاجوه ، ثبت ان له سفراء في خلقه وعباده ، يعبرون عنه الى خلقه ، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم ، وما به بقاؤهم ، وفي تركه فناؤهم ، فثبت الامرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه ، المعبرون عنه عز وجل ، وهم الأنبياء صفوته من خلقه ، حكماء مؤيدين بالحكمة ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس ، على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من احوالهم .

ومنها دليل اللطف ، وهو ما يكون المكلف معه اقرب الى الطاعة ، وابعد عن المعصية . والرسول تتحقق به تلك الفائدة ، فيجب على الله سبحانه والا كان العقاب منه قبيحاً . وقد حكى الله سبحانه ما يمكن ان يجري على لسان عباده ، لو انه عذبهم قبل ارسال الرسل اليهم بقوله : ( ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا ) فاخبر انه لو منعهم

اللطف في بعثه الأنبياء ، لكان لهم ان يسألوا بهذا السؤال ، ولا يكون لهم ذلك إلا اذا كان عقابهم قبيحاً .

ومن اراد ان يحيط علماً بهذه المباحث ، فعليه ان يرجع الى كتب الشيعة ، فلقد اولت هذه النواحي المزيد من العناية .

ولقد أقام الإمامية الأدلة الكافية لاثبات نبوة سيد الرسل ، وخاتم الانبياء ، محمد بن عبد الله (ص) ، الذي أسس مبادئه المقدسة ، على العدل وخدمة الانسانية ، واوجد للانسان نظاماً يأخذ بيده في شتى الميادين .

وذكروا له من المعجزات الدالة على نبوته ،ما ثبت صدورها عنه باجماع المسلمين ، في جميع عصورهم ، ولولم يكن له الا شريعته وكتابه الكريم ،لكفى بهما دليلا على انه رسول من إلٓه لطيف خبير .

# العصمة

## عقيدة الشيعة في العصمة

لقد كانت العصمة ولا تزال ، معركة لآراء الباحثين في العصور الإسلامية الأولى ، يوم كان رجال الحكم يريدون ان يشغلوا العلماء والمفكرين بمثل هذه المباحث ،لينصرفوا عن سوء تصرفاتهم ، وتبقى الخلافة الإسلامية مورداً عذباً ينهلون منهاما وحيه اليهم الشهوات والاهواء .

كانت محلا للجدال نفياً واثباتاً بالنسبة الى الأنبياء ، وقبل ان نشير الى الناحية التي كانت معركة لآراء الباحثين ، لابد لنا من التعرض لمعناها . ففي ( شرح النهج للمعتزلي ) ذهب جماعة الى انها عبارة عن وجود خاصية في نفس الإنسان تمنعه من الإقدام على المعصية ، وآخرون الى انها عدم القدرة على المعصية . ونقل قولا ثالثاً ادعى ان عليه الأكثر من اهل النظر ، وحاصله ان العصمة تكون مع التمكن من الطاعة والمعصية ، وتحصل بعد قدرة العبد على كلاالأمرين ، من امور اربعة : ان يكون الإنسان قوي الارادة ، لاينقاد مع شهواته وميوله النفسية ، وهو المراد بالملكة المانعة من الفجور ، الباعثة على الطاعة . الثاني ان يكون

الإنسان عالماً بفوائد الطاعة ومضار المعصية . الثالث وجود البيان من الله سبحانه ووصوله الى المكلف . الرابع ان يحاسب على الخطأ ولو كان نسياناً او سهواً . فاذا اجتمعت هذه الأربعة ملكة تدعو الإنسان الى الطاعة ، وعلم بمضار المعصية ومنافع الطاعة ، وبيان واصل اليه ، ومحاسبة على الخطأ ولو كان عن سهو او نسيان ، تحصل العصمة التي هي عبارة عن عدم المعصية خارجاً ، فتكون هذه الاربعة مقدمات للعصمة ، وهي بهذا المعنى تتفق مع ما عليه الإمامية في معناها .

قال العلامة الحلي : العصمة لطف يفعله الله سبحانه بالمكلف ، بحيث لايكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك ، لانه لولا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله فتنتفي فائدة البعثة .

وقريب من ذلك في كتاب الحق اليقين قال : العصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لايغلب ، مع كونه قادراً على المعاصي كلها ، وليس معنى العصمة ان الله يجبره على ترك المعصية بل يفعل به الطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها .

واعتبار عدم القدرة على المعصية ، كما ذهب اليه بعضهم ، يستلزم كونه مجبوراً على الطاعة ، فلا يبقى محل للثواب ، ويتنافى مع التكليف ، ويلزم الاكراه في الدين ، وقد قال تعالى ( لا اكراه في الدين ) ويلزم كون المعصوم ادنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعصية التاركين لهـا .

والذي عليه الإمامية خلافاً لغيرهم من بقية الفرق الإسلامية ،

هو القول بعصمة الأنبياء قبل البعثة وبعدها ، عن جميع المعاصي صغيرها وكبيرها ، ودليلهم على وجوبها قبل البعثة ، هو انه لو وقع منه العصيان ، وفعل القبيح قبل بعثته ، وعرف الناس منه انه يخطئ ويصيب ، ويفعل الأمور القبيحة ، لايمكن ان يركنوا اليه بعد ذلك ، اذا جاءهم مدعياً للرسالة ، ولاسيما ان من يفعل القبيح تسقط منزلته في نفوس عارفيه ، المطلعين على واقع حاله ، وحقيقة امره ، وكيف يعهد ألله سبحانه امر النبوة التي هي من اعظم المراتب واسماها ، لمن فعل القبيح فيما مضى من حياته ، ثم يأمره بأن ينهى الناس عما كان يفعله بألامس ، ان الله سبحانه قد اراد من عباده التصديق بانبيائه ، والأخذ بتعاليمهم ونصائحهم ، ورغبهم بذلك بشتى الوسائل ، ووعد المؤمنين منهم خيراً واجراً عظيما ، واذا جاز على النبي ان يكذب في ماضيه فكيف تطمئن نفوسهم بصدقه في حاضره ، واي ضرورة تدعونا الى هذا القول الذي لايتفق مع مرتكزات العقلاء ، وأي مانع من ان يختار الله سبحانه لتلك الرسالة الكريمة من طهر نفسه من الدنس ، وكان المثل الأعلى لجميع الصفات الإنسانية المثلى ، لتكون الفائدة به اتم والغرض اقرب الى الحصول ، ولقد قال سبحانه في محكم كتابه (لاينال عهدي الظالمين) ولاشك في ان مرتكب القبيح ظالم لنفسه غير محتفظ بكرامتها ، والنبوة عهد من الله وامانة يجعلها في عنق من يختاره ، ويراه اهلا لإدائها والقيام باعبائها . هذا مجمل ما عليه الشيعة الامامية في العصمة قبل البعثة ، واما العصمة بعدها ، فالذي عليه الشيعة هو العصمة عن الذنوب كلها صغيرة كانت ام

كبيرة ، عمداً كان او سهواً ، من غير فرق بين ما يرجع الى عالم تبليغ الأحكام وغيرها مما يرجع الى احوالهم الخاصة ، وافعالهم وتركهم .

ويتفق الشيعة مع بقية المسلمين فيما يرجع الى تبليغ الأحكام ، ومع المعتزلة خاصة فيما يتعلق بالكبائر مطلقاً ، والصغائر الموجبة للاستخفاف ، كما يظهر ذلك من شارح النهج .

ومهما يكن الحال فهذه المسئلة تكاد تكون على اطلاقها مما تفرد بها الامامية وقد اقاموا الأدلة الكافية لاثباتها .

منها ان النبي اذا لم يكن معصوماً ، لم يحصل الوثوق بالشرائع لأن النبي مبلغ عن الله . ولو جاز عليه ان يكذب ويعصي ، جاز ان يزيد فيما اوحي اليه ، او ينقص ، اويأمر بما لم يؤمر فيه من ربه ، حسب ما توحيه اليه شهواته وميوله ، إذا كان كغيره من بقية افراد الإنسان ، وحينئذ تنتفي فائدة بعثته ولم يحصل الغرض من نبوته .

ومنهاأنه اذا لم يكن معصوماً كان اسوأحالامن بقيةافراد الأمة ، لان درجة النبوة من أرفع الدرجات واقربها لله سبحانه ، وكلما ازداد الإنسان علماً بالله ، ازداد قرباً منه ، وخضوعاً له ، فلو وقع منه العصيان والحال هذه، لزم ان يكون اسوأ حالاً ممن لم يكن بتلك المرتبة ، وكان مسؤولا اكثر من غيره ، لان العقاب على قدر المعرفة ، ويتفاوت بتفاوت ظروف الإنسان وملابسات حياته ، وفي جملة من آيات الكتاب الكريم ما يدل على التفاوت في الجزاء مع وحدة المعصية ، قال سبحانه مخاطباً نساء النبي (ص)

( يا نساء النبي من يأتي منكن بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين ) وغير ذلك مما دل على تفاوت حكم الزاني بين الاحصان وعدمه ، والعقل يساعد على ان العالم بالله مسؤول اكثر من غيره على حسب مراتب العلم المقرب منه سبحانه .

ولقد عاتب الله سبحانه من يرشد غيره وينسى نفسه ، ويعمل على خلاف ما يعلم ،( اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ) ( لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون) ولازم القول بوقوع المعاصي من الرسل ان يكون النبي مصداقاً لهذه الآيات الكريمة .

ان رسالة الانبياء لاتكلف الانسان فوق ما يطيق ، تسير مع الزمن وتساير الحياة، وليس في طبيعة الإنسان ما يتنافى مع تلك الرسالة ،فليس من الصعب ان يلتزم بها الكثير من الناس ،ويعمل على نهجها ، ولو رجعنا الى الوراء قليلا ودرسنا حياة العظماء ، والمصلحين ، لوجدنا عدداً ليس بالقليل تجرد لخدمة الإنسانيه. واعرضوا عن الملاذ والشهوات ، والتجأوا الى الكهوف والغابات ليؤدوا الى الإنسان رسالة فرضتها عليهم انسانيتهم المثلى ، ولم يكن ما حف بهم من اسباب النعيم ، ودواعي المتعة ومؤهلات المعيشة الناعمة ، ليصرفهم عن تفكيرهم في مشاكل الحياة الغاصة بالكوارث والآلام والأحزان ، فانصرفوا عن كل ما احاط بهم من نعمة ونعيم ، الى الكهوف والغابات يبحثون عن السعادة ، يقنعون باليسير من القوت يستجدونه من اكف المحسنين ، ولا شك ان لهذا القسم من البشر ملكات قوية قادتهم الى أشرف الغايات

وانبلها ، وحطمت مافي نفوسهم من الرغبات والشهوات .

وليست العصمة التي ندعيها الى الأنبياء والأوصياء ، إلاقوة في النفس تقودهم الى ما يعملون لأجله من سعادة الانسان وخيره يتحملون في سبيل ذلك اشد انواع الأذى والألم ، فلم يشغلهم كل ذلك عن آلام الناس ، وازدادوا ايماناً ونشاطاً ، فكأنهم يجنون أطيب الأثمار واشهاها ، ولقد اجتمع المشركون الى أبي طالب ليكون ابن اخيه ملكاً عليهم ، يحكم فيهم كما تحكم الملوك برعيتها على ان يترك دعوته . فرده بكلمته الخالدة : ( والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ، ما تركت هذا الأمر ) فعادوا سيرتهم الأولى تعذيباً وايذاء وتشريدا ، وتنكيلا باتباعه، وازداد صبرا ونشاطاً ، وايماناً بمبادئه ، وتم له ما اراد .

ومن كانت له الملكات الرفيعة لايجوز ان ينقاد لشهواته ، وينسب اليه اقتراف السيئات والآثام .

هذه طائفة من الأدلة التي يستدل بها الامامية على عصمة الأنبياء ، وهي كافية لاثباتها ، ولكن النصوص القرآنية قدتعرضت لأحوال جملة من الأنبياء ، وتدل بظاهرها على وقوع المعصية منهم فلا يبقى لأدلة العصمة فائدة يعتمد عليها ، في مقابل اخبار الله سبحانه العالم بسرهم وعلانيتهم ، فلا بد من رفع اليد عن هذه الأدلة ، اوتأويل الآيات الكريمة ، بما يتفق مع بلاغة الكتاب وإعجازه .

## يوسف وامرأة العزيز

قال سبحانه في سورة يوسف ، حاكياً ما جرى له مع امرأة

العزيز : ( ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين )

وهي بظاهرها تدل على تبادل العزم على الفحشاء من كليهما ولولا برهان ربه لقاده هواه الى هذه المعصية ولكن المتأمل في الآية الكريمة ، يرى فيها ما هو أدل على نزاهة يوسف وطهارة نفسه ، لان صدر الآية ناطق بأنها همت به بدون قيد أو شرط ، وأما يوسف فارادته لذلك وردت معلقة على حصول شرط لم يتحقق ، والمشروط عدم اذا لم يوجد شرط ، وحيث همه بها كان معلقاً على عدم رؤيته لبرهان ربه وقد رآه، فلاهم منه ولا إرادة ، ويكون همه بها جواباً للشرط ، وقد تقدم عليه ،كما في قول قائل : كنت قصدتك ، لولا ان زيداً صدني عن ذلك .

ونتيجة هذا الجواب ، هو ان الذي تحقق منها لم يقع منه ، لأن البرهان الذي تلقاه من ربه حال بينها وبين ما تريد ، ولولا ذلك لجرى له مثل ما جرى معها ، وهذا لا يتنافى مع عصمة الأنبياء .

ويمكن الجواب بوجه آخر ، وهو أن المراد من همه بها ميل نفسه ورغبته في ذلك ، لان فيه مافي سائر البشر ، إلا ان الناحية الروحية فيه تسيطر دائماً على شهواته وغرائزه الجنسية ، والهم بمعنى الرغبة والشهوة واقع في اللغة ،وجواب لولا محذوف من الكلام أي لولا أن رأى برهان ربه لعزم على تحقيق رغبته وميل نفسه .

والذي يدل على عدم عزمه على الزنا قوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، إنه من عبادنا المخلصين ) ومعنى ذلك ان

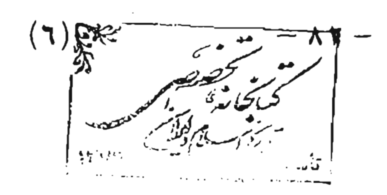
قد صرفنا عنه كل سوء وفحشاء ، لدلالة المفرد المعرف على ذلك ومن صرف الله عنه السوء والفحشاء ، وكان من عباده المخلصين كيف يعزم على مثل ذلك ؟وهل يتصف بالاخلاص من عزم على مثل هذا الجرم ؟ وان لم يتحقق منه الفعل ، وهو من جملة انواع التجري الكاشف عن لوم في النفس

وفي الآية وجوه غير هذين ذكرها السيد المرتضى في كتابيه الأمالي وتنزيه الانبياء .

ومن الآيات التي تنافي بظاهرها العصمة قوله تعالى، في سورة ألم نشرح ، خطاباً للنبي (ص) : ( ووضعنا عنك وزرك ) بحجة ان المراد بالوزر هو الذنب كما ورد اطلاق الأوزار على الذنوب والخطايا في بعض الآيات الكريمة . قال السيد المرتضى : انما سميت الذنوب اوزاراً لانها تثقل كاسبها وحاملها ، وكل شيء اثقل الانسان جاز ان يسمى وزراً ، وعلى هذا لايمتنع ان يراد بالوزر في هذه الآية ، هو الغم الذي اصاب النبي من شرك قومه وتعذيبهم له ولأصحابه المؤمنين ، فلما اعلى الله كلمة الاسلام وشرح صدره وبسط يده ، وجعل كلمة المشركين هي السفلى ، ذكره الله بالطافة ونعمه عليه ، ليقابل ذلك هو وأتباعه بالشكر لله سبحانه ، وفي اخر السورة ما يدل على ذلك .

ومن الآيات قوله سبحانه في سورة الضحى : ( ووجدك ضالا فهدى ) والضلال هو الخروج عن طريق الحق الى الباطل ، وهو خلاف ماعليه الإمامية من العصمة المطلقة قبل النبوة وبعدها وبعد التأمل نرى ان الآية في مقام تعداد النعم التي توالت على





النبي ، بعد الفقر واليتم والحيرة التي اصابته ، يوم كان بمكة يدعو الناس الى الله ، والمشركون جادون في إيذائه والتنكيل باتباعه ، فخرج من بينهم لايدري أين يذهب ، في ظلام الليل وسكونه والتجأ الى الغار ، الى ان كانت هجرته الميمونة ، فاواه بعد اليتم ، فكان مأوى للأيتام وكفيلا للمساكين بعد أن كان مكفولا لجده تاره ، ولعمه اخرى ، وهداه بعد الحيرة التي المت به من عداء قومه ، حتى ضاقت عليه مكة وشعابها ، فاتسعت له الدنيا ،وتفتحت إليه ابوابها ، واغناه بعد الفقر بما افاض عليه من غنائم الحرب ، وضريبة الزكاة ، وخراج الأرض .

قال سبحانه : ( ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ) فليس الخروج عن الحق هو المعنى الذي يختص به لفظ الضلال وانما يتسع له ولغيره ، ولقد حاول البعض ان يمس عصمة الانبياء بما وقع للنبي (ص) من تزويجه بزينب ابنة عمته بعد ان طلقها زوجها الأول ، تمسكاً بما روي ان النبي (ص) دخل دارها يسأل عن زوجها زيداً ، فرآها على حين غفلة منها ، واعجبه جمالها ، فبنى أن يتزوج منها ان تم طلاقها ، ومذ رجع زوجها اخبرته بما كان من النبي ، فظن انها دخلت في نفسه ، فعزم على طلاقها . فقال له النبي امسك عليك زوجك ، كما حكى الله سبحانه في كتابه ( واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك ، واتقي الله ،وتخفي في نفسك ما الله مبدية ، وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ) اي تخفي في نفسك

رغبتك بها وتقول لزوجها امسكها ، واتق الله في معاشرتها ، وهذا مخالف لما انطوت عليه نفساك .

وهذا لايليق بالانبياء ، ويدل على خسة في الطبع ، ولؤم في النفس ، والنبي اعظم نفساً واعلى شأناً من ذلك . وليس في الآية ما يدل على ان زواجه بها كان على هذه الحالة .

والذي وقع عليه هو ان زينب قريبة النبي ، طلبها الاشراف من المسلمين ، فلم يوافق النبي على زواجها ، فلما اعتق زيداً مولاه وقد كان تبناه ، اراد ان يكرمه بهذا الزواج نظراً لايمانه واخلاصه للدعوة الاسلامية ، وفي نفس الوقت اراد ان يحارب ما في نفوس المسلمين من كبرياء وترفع على الموالي ، بعد ان ساوى الاسلام بين الناس ، وحطم العنصرية باقدامه ، ولم يفرق بين جنس وجنس الا بالتقوى ، والعمل الصالح ، اراد ان يقر هذا المبدأ ، فزوج زيداً من قريبته زينب ، ولما سمعت بهذا الزواج انفت نفسها ونفس اخيها عبد الله وغضبت من ذلك فكانت الآية الكريمة . ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة في ذلك ) فتم الزواج ، وتم الطلاق بعد ذلك ، نتيجة لنزاع بينهما، كما يدل على ذلك قوله سبحانه : ( امسك عليك زوجك واتقي الله )

والطلاق مهما كان سببه لابد وان يدخل على المرأة في الغالب ألماً وغماً ، ولما كان هو السبب في هذا الزواج اراد ان يتدارك ذلك ويضمها الى بيته ونسائه ، ويرفع عنها ما لحقها من تزويج الموالي بالأحرار ، وآلام الطلاق ، فحدث نفسه بذلك ، ولكنه

خشي قولهم ان محمداً تزوج زوجة ابنه وقد كانوا ينزلون الأدعياء منزلة الأولاد ، كما هي سنة الجاهلية ، فعاتبه الله على ذلك بقوله : ( وتخفي في نفسك ما الله مبديه ) فما تخفيه في نفسك سيحققه الله لك ، ولا حرج عليك فيما احله الله وان لم يكن مألوفاً عند الناس. ( وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ) ونسخ سنة الجاهلية بقوله سبحانه : ( لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً ) ثم نفى سبحانه بنوة زيد للنبي (ص) بقوله : ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين .)

فليس في الآية الكريمة التي حكت قصة هذا الزواج اشعار بما تضمنته الرواية السابقة ، ولا منافاة فيها لمقام النبوة بل هو عمل انساني ان دل على شيء فانما يدل على أرفع مراتب النبل والخلق الكريم .

ومن الآيات التي تنافي بظاهرها العصمة قوله تعالى ( انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما . )

وسواء اريد بالفتح المبين المذكور في الآية الكريمة فتح مكة المكرمة ، او صلح الحديبية الذي وقع بين النبي والمشركين بدون قتال ، وكان له أثره في انتشار الدعوة الإسلامية . وفي مجمع البيان عن الزهري : لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية ، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم ، وتمكن الاسلام من قلوبهم ، واسلم في ثلاث سنين خلق كثير ، فكثر بهم سواد

الاسلام ، وبهذه المناسبة يمكن ان يسمى فتحاً .

ومهما يكن المراد منه ، فقوله : ( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) يدل على وقوع الذنب منه قبل البعثة وبعدها ، او قبل الفتح وبعده ، على اختلاف الآراء في ذلك ، وهو مخالف لما تدين به الإمامية من عصمة الأنبياء .

وفي مجمع البيان وجوه كثيرة للشيعة في تأويل هذه الآية ، جمعاً بينها وبين الأدلة القاضية بعصمة الأنبياء . أحدها ان الذنوب التي غفرها اللههي ذنوب أمته ، وانما اضيفت إليه لما بينهوبينها من الإتصال ، وهذا الجواب مستفاد من رواية المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال : سأله رجل عن هذه الآية ، قال والله ما كان له من ذنب ، ولكن الله ضمن أن يغفر ذنوب شيعته (ع) ماتقدم من ذنبهم وما تأخر ، وفي رواية أخرى عن عمر بن يزيد عن الصادق (ع) قال : ما كان له من ذنب ، ولاهم بذنب ، ولكن الله حمله ذنوب شيعته ، ثم غفرها له وهذا الجواب بعيد عن ظاهر الآية فان صح ما رواه المفضل ، وعمر بن يزيد عن الصادق (ع) في تفسيرها ، لزمنا التعبد به وهو أعلم بمراد الله سبحانه .

الثاني ماحكاه في المجمع عن السيد المرتضى ، ان الذنب مصدر أضيف الى المفعول ، والمراد ما تقدم من ذنبهم اليك في منعهم إياك عن مكة ، وصدهم لك عن المسجد الحرام ، وتكون المغفرة في المقام بمعنى الازالة والنسخ لأحكام اعدائه المشركين ، اي يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستر عليك تلك الوصمة ، بما يفتح لك من مكة ولذلك جعله جزاء وغرضاً في الفتح ووجهاً له .

ولو انه أراد مغفرة ذنوبه ، لم يكن لقوله : ( انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ) معنى معقول لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح ، فلا تكون غرضاً فيه ، وهذا الوجه ايضاً كسابقه لا يساعد عليه ظاهر الآية الكريمة ، والذي اراه في هذه الآية الكريمة هو ما يزعمه له المشركون لأنهم يرونه عاقاً ظالماً مسيئاً اليهم ، سفه احلامهم ، ونبذ تقاليدهم ، ودعاهم الى إآله لم يعرفوه ، ثم حاربهم وقتل رجالهم ، وحطم الأوثان ، وحرر العقول من عبادتها ، وانطلق باقصى طاقته يدفع عنهم اثقال الجمود ، وانطلقوا يبالغون في ايذائه وتعذيبه والتنكيل باتباعه وهو المسيئ بحسابهم مهما بالغوا في ايذائه ، لم يكتف بدعوتهم الى الله حتى قتل رجالهم ، وادخل عليهم الخزي والعار .

وحين دخل مكة بجيشه المتحمس حسبوا لذلك الف حساب وحساب ، وظنوا انهم سيلاقون جزاء اعمالهم ، وكانوا منه على وجل ، واول ما بدأ به ان بذر الأمن والطمأنينة في شوارع مكة وشعابها ، واعلن العفو العام ، من دخل داره فهو آمن ، ومن القى سلاحه هو آمن ، وزاد على ذلك أن جعل لابي سفيان مالم يجعل لغيره ، وما يوم حمزة عمه ببعيد عنه ، فكان في ذلك اقصى ما يمكن ان يتصوره الإنسان ، من النبل وكرم الأخلاق ، ومحاربة الغريزة الإنسانية المفطورة على التأمر ولذة الانتقام .

فلم يكن أرحب من صدره ولااروع من انسانيته ، الحنان يغمر قلبه والرحمة تسطع من روحه ، وآي الكتاب الحكيم تدوي في سماء مكة ( خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين )

لمسوا منه عكس ما كانوا يتصورون ، وفوق ما كانوا يأملون ، لو أنهم احسنوا اليه وعاملوه بغير ما كان .

فكان من الطبيعي والحال هذه ان يغفروا ماضيه ويرجعوا اليه نادمين ويستقبلوا ما يكون من امره بعد هذا اليوم باعجاب وارتياح ، فلا ذنب له بعد اليوم ، لقد دلهم هذا الفتح المبين على ما كان يضمره لهم من خير وسعادة .

واضاف المغفرة اليه سبحانه لأنه هو الذي اعانه على هذا الفتح وهيأ له اسبابه ، فكان من آثاره دخولهم في الإسلام مؤمنين بصدق الدعوة وأنها الطريق لسعادة الإنسان . وهذا النوع من التجوّز شائع في لغة العرب ، وآي الكتاب الحكيم ، والذي يساعد على هذا المعنى سياق الآيات الكريمة الواقعة بعد هذه الآية قال سبحانه ( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ) فوقعت المغفرة غاية له وغرضاً منه ( ويتم نعمته عليك ) واي نعمة اعظم من رجوع اولئك الطغاة اليه نادمين ، يقابلون دعوته بكل ارتياح وانشراح . ( وينصرك الله نصراً عزيزاً ) بهذا الفتح الذي دفع عجلة الدعوة بخطى حثيثة ، وقوة جبارة .

# الإمامة

## الامامة بنظر الشيعة

يعتقد الشيعة الإمامية أن نصب الإمام العادل ، واجب على الله سبحانه في كل زمان ، لقاعدة اللطف وغيرها ، وادلةوجوب ارسال الرسل ، تدل على وجوب اختيار الإمام ، للأمة بعد النبيين .
ووجود الشرائع والكتب التي جاء بها أنبياء الله سبحانه ، لاتكفي بدون عالم بها ، خبير باسرارها ، كفيل بتطبيقها ، تطبيقاً يضمن العدالة ، ويحفظ النظام ، ويصون الشريعة من التلاعب والتدهور ويكشف للأمة عن محكمات الكتاب ومتشابهه .

ولقد اعتمد اهل الآراء الفاسدة في كثير من ارائهم على آي الكتاب ، ولم يرجعوا الى العترة الطاهرة في تفهم اسراره فضلوا واخلوا . فالقائلون بالتجسيم يؤيدون فكرتهم بقوله : ( الرحمن على العرش استوى ) وقوله : ( يد الله فوق أيديهم ) ويؤيد المجبرة فكرتهم بقوله : ( يضل من يشاء ويهدي من يشاء ) وامثالها . وكثير من اصحاب المذاهب يرجعون اليه دفاعاً عن عقيدتهم .

فوجود الكتاب بدون مبين يكشف غوامضه ويدلهم على المراد منه ، لايكفي في حمل الناس على الطريق السوي . قال سبحانه :

( هو الذي انزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ولا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ) فلا بد لكل نبي مرسل بشريعة يريد ان ينتهجها الانسان ويتخذها السبيل في معاشه ومعاده ، ان ينصب وصياً وخلفاً من بعده ، يعلم من اسرار النبوة والكتاب والسنة ، ما يضمن للأمة لو اخذت بهداه صلاحها وسعادتها . وادلة الامامة كما تدل على وجوب نصب الإمام ، تدل على وجوب الأصلح من بين افراد الأمة ، وفي بحث الخلافة ذكرنا الأدلة الكافية على اختيار علي (ع) ، وفي المباحث الآتية ذكرنا طائفة من الأدلة لأثبات امامة الأثني عشر .

## عصمة الأئمة بنظر الشيعة

ان الرسول الكريم هو الذي يؤسس المبادئ ، ويفرض قانونه السماوي بواسطة ما يوحى اليه من ربه .

والإمام من بعده بنظر الشيعة يتسلم جميع مهامه ووظائفه عدا التشريع والنبوة وبقية النواحي تكون للامام (ع) .

لذا فانهم يرون العصمة للامام كما يرونها للأنبياء ، وهذه المسئلة تتفرع ، على ان منصب الإمامة منصب إلهي لا رأي للأمة فيه ولا اختيار لهم في تعيينه ، للاسباب المتقدمة ، ولازم ذلك كونه ذا ملكة رفيعة ، يستطيع بواسطتها التغلب على شهواته واهوائه ، وبدون ذلك لا تحصل الغاية من نصب الإمام ولاتتم

الفائدة من نصبه ، وكان كغيره من افراد الأمة يحتاج الى من يرشده ويدله على الصواب ، وتسقط منزلته في النفوس ، ويكون ممن عناهم الله سبحانه بقوله : ( اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ) وقوله سبحانه : ( لما تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون ) وحاشا لله سبحانه ان يختار لأمته من ينهى الناس ولا ينتهي ويأمر غيره بالبر والاحسان وينسى نفسه ، ويقول مالا يعمل . قال سبحانه : ( وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار )قال العلامة الحلي : لو وقع منه الخطأ لوجب الانكار عليه ، وذلك مضاد للأمر باطاعته . قال سبحانه : ( اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم ) والعصمة التي يدعيها الشيعة للأمام عبارة عن العصمة التي يرونها للانبياء ، وقد ذكرناها في البحث السابق وذكرنا اختلاف الآراء بها ، والذي عليه الامامية .

# المِعْراج

## المعراج عند الشيعة الامامية

يعتقد الشيعة الإمامية بمعراج النبي من مكة الى السماء ، ومنها الى المسجد الأقصى ، وقد وقع الخلاف عند غيرهم في أنه كان بالروح وحدها اوبها مع الجسد.ويستند الشيعة الى الكتاب والسنة الصحيحة . قال تعالى ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلامن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ) وظاهر الآية الكريمة هو ما عليه الإمامية لأنه قال اسرى بعبده ، واطلاق لفظ العبد هو الإنسان بهيكله ، واذا جاز ان يكون بالروح خاصة جاز ان يكون بهما معاً ، لأن قدرته لاتحد ، ولا يفوتها شيء ، ما دامت هذه المسئلة من باب الإعجاز . واظهار القدرة الإلهية. كما وان الظاهر من قوله سبحانه ( لنريه من اياتنا) انه رأى ذلك ببصره ، وان ما حدث به قومه كما في حديث المعراج المروي عن ابي عبد الله الصادق (ع) ، وغيره من ائمة المسلمين وعلماء التفسير ، كان بطريق المشاهدة الحسية ، وكون المعراج في حال النوم كما يذهب الى ذلك بعضهم يقتضي ان يكون طيفاً ، وعليه لاخصوصية للنبي في عالم الأطياف لجواز ذلك على

سائر الناس ، مضافاً الى أن الآية الكريمة واردة في مقام الدلالة على عظمة الله سبحانه ، وقدرته البالغة ، وان النبي هو الذي اختص بهذه الكرامة.ولو فرض انالاسراء كان في النوم لايكون بتلك الأهمية والعناية .

ومهما يكن الحال فالمعراج عند الإمامية من الضروريات ، ومنكر الإسراء خارج عن الاسلام لدلالة صريح القرآن عليه ولقول الإمام الصادق (ع) ،ليس منا من انكراربعة: المعراج، وسؤال القبر ، وخلق الجنة والنار ، والشفاعة . واما الكيفيات الموجودة عند الشيعة وغيرهم المتضمنة للمشاهدات والحالات الخاصة ، فما دل عليه الحديث الصحيح عن النبي وعترته ، وجب الإعتقادفيه والإيمان بوقوعه،وبدون ذلك لايجب التصديق بشيء من الكفيات المنقولة، ومنكرها لا يخرج عن التشيع فضلا عن الإسلام .

## رأي الشيعة في سؤال القبر

يعتقد الشيعة الإمامية كغيرهم من الفرق الاسلامية بحساب القبر ، واما كيفية السؤال ومقداره وكيفية العقاب والثواب الناتجين عنه ، فقد وردت بها اخبار كثيرة عن النبي (ص) وعترته (ع) ، والظاهر ان السؤال في القبر مما اجمع عليه المسلمون وان وقع الإختلاف في كيفية السؤال ، وما ينتج عنه من الجزاء .

قال الصدوق في كتابه المسمى ( الاعتقادات ) : اعتقادنا في المسألة في القبر انها حق لابد منها ، فمن اجاب بالصواب

فاز بروح وريحان في قبره ، وبجنة النعيم في الآخرة ، ومن لم يجب بالصواب فله نزل من حميم في قبره ، وتصلية جحيم في الآخرة ، واكثر ما يكون عذاب القبر من النميمة وسوء الخلق . واستدل على ذلك بقوله تعالى ( ربنا امتنا اثنتين ) الآية. وقال المفيد (ره) جاءت الآثار الصحيحة عن النبي (ص) ، انالملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن اديانهم ، والفاظ الأخبار بذلك متقاربة ، منها ان ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت ، فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه ، فان اجاب بالحق سلموه الى ملائكة النعيم وان ارتج عليه سلموه الى ملائكة العذاب . وقال ايضاً وليس ينزل الملكان إلا على حي ولايسألان الا من يفهم المسئلة ،وهذا يدل على ان الله يحيي العبد بعد موته .

فالسؤال عند الشيعة من الضروريات ، ولازمه ان الله يحيي العبد ثم يميته ، ويدل على ذلك الكتاب الكريم ، قال سبحانه : ( ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل). قال في مجمع البيان : ( اختلف في معناها على وجوه : احدهما ان الإماتة الأولى في الدنيا بعد الحساب ، والثانية في القبر قبل البعث ، والإحياء الأول في القبر للمسألة ، والثاني في الحشر للحساب .

الثاني ان الاماتة الأولى حال كونهم نطفاً فاحياهم الله في الدنيا ، ثم اماتهم الموتة الثانية، ثم احياهم للبعث ، فهاتان حياتان وموتتان .

الثالث ان الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر والموتة

الأولى في الدنيا والثانية في القبر ) ذكر هذه الوجوه الثلاثة في المجمع عن المفسرين ، والأول والثالث منهما يشتركان في اثبات المقصود . واما الوجه الثالث فمع انه خلاف ظاهرها ، لاتصدق الإماتة على النطفة قبل اللقاح وصيرورتها بدء إنسان ، وانما هي قبل ان تصل الى هذه المراحل ميتة بدون ان يميتها الله سبحانه . ولايمنع ذلك كونها قابلة للتفاعل اذا اتصلت بغيرها ، وبعبارة ثانية ان الاماتتين في الثانية من نوع واحد ، ولايتم ذلك الا على التفسير الأول والثالث .

ونظيرها في الدلالة على الحياة في القبر للمسألة قوله سبحانه في سورة البقرة ( كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ) قال في مجمع البيان : كنتم نطفاً في اصلاب ابائكم وبطون أمهاتكم فاخرجكم الله الى دار الدنيا احياء ، ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر للمسألة ثم اليه ترجعون اي يبعثكم الله سبحانه يوم الحشر للحساب والمجازاة على الأعمال وقد اشار علي (ع) الى حساب القبر في خطبة ذكرها السيد الرضي في نهج البلاغة . قال (ع) : ( حتى اذا انصرف المشيع ، ورجع المتفجع ، اقعد في حفرته نجياً لبهتة السؤال ، وعثرة الامتحان ، واعظم ما هنالك بلية ، نزول الحميم ، وتصلية الجحيم ، وفورات السعير . )

والظاهر من كلامه (ع) ان حساب القبر يقع بعد الدفن ، وانصراف المشيعين ، وان الميت يقعد في حفرته ، ولازم ذلك عودة الحياة اليه ، وانه يعرف مصيره بعد السؤال ، اما الى جنة ،

واما الى نار ، وقوله (ع) واعظم ما هناك بلية نزول الحميم ، لا يراد منه عذاب جهنم ، لان عذابها انما يكون بعد حشر الناس وحسابهم الأخير ، وانما يراد منه نوع من انواع العذاب ، اعده الله للمنافقين بعد استجوابهم في القبر بعد الدفن ، فيكون هذا الموقف اشبه باستنطاق العبد بواسطة ملائكة اعدهم الله سبحانه لهذه الغاية ، فيعرف العبد مصيره اما الى جنة يبشر بها او الى نار عرف ان نهايته ستكون اليها ويمكن ان يعرض المنافق على النار في المدة التي تقع بين حساب القبر والمحشر ، ويكون هذا العرض عذاباً وعقاباً ، قال سبحانه بالنسبة الى آل فرعون : ( النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة . )

وقد ورد في الدعاء الذي نسبه ابو حمزة الثمالي الى الإمام زين العابدين (ع) ما هو صريح في حساب القبر ، وان الميت تعود اليه الحياة ، وقد ذكر هذا الدعاء الطوسي في مصباحه ، ونسبه الى الإمام (ع) وهو من الأدعية الموثوق بصدورها عن الإمام . قال (ع) مناجياً ربه : ( فمالي لاأبكي ، ابكي لخروج نفسي ، ابكي لظلمة قبري ، ابكي لضيق لحدي ، ابكي لسؤال منكر ونكير اياي ) ومما لاشك فيه ان السؤال المذكور هو سؤال القبر :

# المعاد

## ومن اصول الاسلام المعاد

المعاد من اصول الاسلام،وهو من الأصول المتفق عليها بين جميع المسلمين ، واهل الأديان والشرائع ، وكلهم متفقون على أن لهذه الدنيا نهاية ، وبعد هذه الدار داراً اخرى هي دار الجزاء يلاقي فيها المحسن نتيجة احسانه ، والمسيء يعامله الله بما تقتضي حكمته والطافه ، ولقد وعد الأنبياء جميعهم بما اعده الله فيها لعباده العاملين ، وجميع الأمم على ذلك وان وقعت بعض الاختلافات بينهم ، في كيفية الرجوع والسؤال والثواب والعقاب ، بعد فرض ان المعاد وما يترتب عليه من الجزاء مما لاشبهة فيه .

ولقد تناولت الكتب السماوية هذه الناحية ، واولتها المزيد من الأهتمام ، ولا تخلو سورة من القرآن الكريم من التهديد والتوعيد،والترغيب بما اعده الله في ذاك اليوم للمطيعين والعاصين كي لايتمادى العبد في شهواته ، ويستخف بما اراد الله سبحانه .

ولأن التصديق بما وراء الغيب وبغير المحسوس ، اذا لم يكن نتيجة للبحث العلمي ، يصعب في كثير من الأحيان.لهاتين الغايتين اكثر في كتابه الكريم من التعرض للمعاد ، باساليب مختلفة حسب

اختلاف الشبه وجهات التشكيك . قال سبحانه : ( يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ، كما بدأنا اول خلق نعيده ، وعداً علينا انا كنا فاعلين ) اي نفعل ما وعدناكم به ، وفيها دلالة على قدرته على طي السماء وذهابها عن عالم الحس ، واعادة العالم بعد فنائه كما اوجده ابتداء . وفي سورة مريم : ( يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ) وفي سورة المجادلة ( يوم يبعثهم الله جميعاً ، يوم تقلب وجوهم في النار ) وفي سورة الطور : ( يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ) وفي سورة عبس : ( يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

ولقد تعرض الكتاب الكريم الى ان الإنسان يرجع يوم المحشر كما كان في الدنيا بهيكله لا بروحه ، قال تعالى في سورة النور : ( يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ) وهي صريحة في رجوع الإنسان بجسمه كما كان في الدنيا ، وان أعضاءه التي سخرها في سبيل شهواته ، تشهد عليه في ذلك اليوم وقال سبحانه في سورة ياسين ( اولم يرى الإنسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم ) .

وقد اقام سبحانه في هذه الآية الحجة البالغة على من انكر البعث ، وقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى ، التي هي ادل على قدرته من الثانية ، لأنه خلقه من نطفة ميتة ، ثم جعله علقة ،

ثم مضغة ، ثم عظماً ، وكسى العظم لحماً ، وجعل فيه الروح ، واخرجه من بطن امه ، ونقله من حال الى آخر ، الى ان اصبح ذا عقل وتفكير ، يخاصم ويجادل في آيات ربه . ومن قدر على ايجاد الإنسان ، ومر به في هذه المراحل ، حتى اصبح انساناً سوياً كاملا ، فهو اقدر على اعادته كما كان في دنياه .

ثم ندد سبحانه على المنكر للبعث بعد ان اوجده بتلك المراحل الدقيقة فقال : ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم ) ثم عاد سبحانه الى تأييد النشأة الثانية ، منكراً عليهم جحودها واستعظامها ، فقال : ( الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون ) قال في مجمع البيان : أي جعل لكم من الشجر الرطب المطفيء للنار ناراً محرقة يعني بذلك ( المرخ والعفار ) وهما شجرتان يتخذ الأعراب زنودهما ، ومع مضادة النار للرطوبة فاذا احتاج احدهما الى النار حك بعضهما ببعض فتخرج منهما ناراً ، ومن قدر على ذلك قدر على ان يعيد الإنسان يوم حشره للجزاء . ثم ادلى سبحانه بحجة ثالثة بصورة الاستفهام التقريري فقال : ( اوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ) .

فهذه على عظمته ادل من تينك الحجتين ، لان الإنسان قد تدرج الى مراحل متعددة حتى اصبح انساناً ، والشجر الأخضر تخرج منه النار بعد اتصال الجسمين وهما المرخ والعفار ، ولكن السماوات والأرض ، على عظمتهما وكثرة اجزائهما اوجدهما دفعة

بعد العدم . ومن كانت له تلك القدرة كان على اعادة الانسان الصغير اقدر ،لان مادته لم تذهب.والذي ذهب هو صورته النوعية ، اي مابه يكون الإنسان إنساناً . وقد نبه سبحانه على البعث بهذا النحو من القياس على النشأة الأولى في سورة القيامة . قال تعالى : ( الم يك نطفة من مني يمنى) الى ان قال : (اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتي ) وقوله سبحانه ( افعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد )ولقد سأل ابراهيم ربه ان يريه كيف يحيي الموتى كما حكي ذلك سبحانه بقوله : ( واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ، قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن ياتينك سعياً ، واعلم ان الله عزيز حكيم ) .

فأخذ ابراهيم اربعة من الطير ، وقطعها وفرق اجزاءها ، ومزج بعض اجزائها ببعض ، وفرقها على الجبال العشرة او السبعة على اختلاف التفاسير ، ثم دعاها اليه فميز الله بعضها عن بعض ، واعادها اليه حية كما كانت ، وهكذا يعود الانسان حياً بعد انعدام صورته وتفرق اجزائه .

واما كيفية الحساب بعد المعاد ، ومن الذي يحاسب ، فقد وردت الأخبار الصحيحة عن النبي (ص) وعترته وصحابته الكرام ببيانه ، فالإعتقاد بكفية خاصة للحساب ليس ضرورياً في عقيدة الشيعة ، ولقد تعرض علماء الإمامية في كتبهم الكلامية ، لرد جميع الشبه على المعاد الجسماني فمن اراد ان يتبسط في ذلك فعليه ان يرجع الى تلك الكتب .

# الجنة والنار

## عقيدة الشيعة في الجنة والنار

يعتقد الشيعة الإمامية بأن الجنة والنار دارا الجزاء. قال الشيخ ابو جعفر الكليني في رسالته الاعتقادات : ( اعتقادنا أن الجنة دار البقاء ، لاموت فيها ولا هرم ، ولاسقم ولا مرض ، ولاآفة ولا زوال ، ولاهم ولا فقر ) وقال المفيد (ره) في شرحه لاعتقادات الصدوق : ( الجنة دار النعيم ، جعلها الله سبحانه داراً لمن عرفه وعبده ، ونعيمها دائم لا انقطاع له ) الى ان قال : ( وثواب اهل الجنة الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل اليه ) وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكل ومشرب ، وقول من زعم ان في الجنة بشراً يلتذ بالتسبيح والتقديس من دون الأكل والشرب قول شاذ عن دين الاسلام ، وهو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا ان المطيعين في الدنيا يصيرون ملائكة ، لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون ، ولقد كذبهم الله سبحانه في كتابه بما رغب به العاملين العالمين بالله سبحانه ، قال في سورة الرعد : ( اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين

النار ) وفي سورة محمد : ( فيها انهار من ماء غير آسن ) وفي سورة الرحمن : ( حور مقصورات في الخيام ) وفي الواقعة : ( وحور عين ) وقوله سبحانه( وزوجناهم بحور عين ) وقوله : ( ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم ) ( ولهم فيها ازواج مطهرة ) الى كثير من امثال هذه الآيات الدالة على ان اهل الجنة يتنعمون بما يشتهون ، من انواع الملذات والطيبات .

واما النار فهي مقر العصاة ومن جحد الله وانكر رسله ، قال سبحانه: ( ان الذين كفروا بآياتنا سوف يصليهم ناراً ) وفي اية ثانية : ( ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم )قال المفيد(ره) في شرحه لاعتقادات الصدوق ، وكل آية تتضمن ذكر الخلود في النار فانما هي في الكفار دون اهل المعرفة بالله .

وفي شرح التجريد للعلامة قال اجمع المسلمون كافة على ان عذاب الكافر مؤبد لاينقطع ، واختلفوا في اصحاب الكبائر من المسلمين فالوعيدية على انه كذلك ، والإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة على ان عذابه منقطع . ثم فرق بين الصغائر والكبائر بوجوه لاتخرج عن كونها اموراً اضافية . ثم قال : اذا عرفت ذلك فالحق ان عقاب اصحاب الكبائر منقطع ، واستدل بقوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)والإيمان بالله من أعظم أفعال الخير ،وبأنه لو قلنابان صاحب الكبيرة مخلد في جهنم لزمنا ان نقول ان المطيع لله اذا عصاه بكبيرة ولو في آخر عمره

كان مع المخلدين وذلك قبيح بنظر العقلاء ، وظلم لايجوز نسبته الى الله سبحانه . والاحباط ليس من مذهب الإمامية ، لقوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ) مضافاً الى انه مناف لحكم العقل .

# القرآن

## القرآن عند الشيعة الامامية

تدين الشيعة الإمامية بتعظيم القرآن وتقديسه ، وانه الكتاب المنزل على محمد (ص) ، وهو المرجع الأول عندهم في الفروع والأصول . وكل واقعة لايوجد حكمها في الكتاب ، يرجعون فيها الى سنة رسول الله واحاديث عترته من بعده ، بعد ان صح عندهم انه لا ينطق عن الهوى . وقال (ص) في حديث اجمع المسلمون على صحته اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي . وفي القرآن المحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمبين ، والعام والخاص ، والفرائض والسنن ، والقصص والحكم والمواعظ ، وكثير مما يحتاج اليه الإنسان في معاشه ومعاده . والذي بين ايدي المسلمين ، هو الذي يؤمنون به ويعتقدون نزوله على النبي (ص) ، لازيادة ولا نقصان ، ولا تغيير ولا تبديل ، ومن نسب لهم غير ذلك فقد افترى عليهم الكذب . والأخبار المنسوبة الى ائمة الشيعة ، بأن علياً (ع) جمع القرآن بعد وفاة النبي . وعرضه على المسلمين فرفضوه لما فيه من الزيادة والنقصان ، مكذوبة على ائمة الشيعة ، وهي من

صنع الدساسين المستأجرين للسلطة الحاكمة ليشوهوا سمعة الأئمة الهداة ، ولقد امر الأئمة بالرجوع الى الموجود بين ايدي الناس ومنه اخذ الكثير من احكام الله ، ورغبوا في تلاوته ، واذا تعارض الخبران ولم يمكن الجمع بينهما بنحو التخصيص او التقييد ، يجب الرجوع الى الكتاب وعرضهما عليه والأخذ بماوافقه منهما .

قال الشيخ الصدوق في اعتقاداته : (اعتقادنا ان القرآن الذي انزله الله على نبيه (ص) هو ما بين الدفتين ) وما في ايدي الناس ليس باكثر من ذلك ولا اقل . ومن نسب الينا غير ذلك فهو كاذب . وفي التعليقة على اوائل المقالات للمفيد ، قال العلامة الشهرستاني : ان القرآن المنزل من الله على رسوله انما هو الموجود بين الدفتين ، ونقل عن السيد المرتضى ان القرآن محفوظ من الزيادة والنقصان . وقال المفيد في اوائل المقالات عن جماعة من الإمامية انه لم ينقص منه كلمة ولا حرف ولاسورة ، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف امير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله ، وذلك كان منزلا من الله سبحانه ، وان لم يكن قرآناً . وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً . قال تعالى : (ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ) وعلى ذلك تحمل أحاديث النقصان ان ثبت صدورها عن ائمة اهل البيت (ع )

والأخبار عن ائمة الشيعة في فضل قراءته وحمله ، ووضعه في البيت ، والنظر اليه كثيرة جداً . ففي الوافي عن عبدالله بن سليمان عن ابي جعفر الباقر (ع ) قال من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب الله له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه في صلاته

جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة ، ومن قرأه في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، وفي الوافي عن اسحاق بن عمار عن ابي عبدالله (ع) ، قال قلت له جعلت فداك اني احفظ القرآن عن ظهر قلبي ، فأ قرأه على ظهر قلبي افضل او انظر في المصحف ، قال فقال لي بل اقرأه وانظر في المصحف ، ان النظر في المصحف عبادة ، وكثير غير هذين الخبرين في مقام الترغيب والتقديس للقرآن الموجود بين ايدي المسلمين .

ومع كل ذلك فقد نسب اليهم دعاة التفرقة القول بالتحريف واغرب من ذلك ما جاء في كتاب الأستاذ خالد محمد خالد ( الديمقراطية ) وهو احد المتخرجين من جامعة الأزهر .

قال : وهناك دولة مثل ايران ، ومثل العراق ، اما الأولى فيدين جميع اهلها بمذهب الشيعة الا قليلا منهم ، واما الثانية فتضم من الشيعة عدداً غير قليل ، والشيعة كما نعلم ، لبعض طوائفهم قرآناً غير قرآننا ، وهم لا يعترفون بالسنة وأحاديث الرسول التي يرويها وينقلها ائمة اهل السنة ، مع ان هذا التراث الهائل يمثل المذكرة التفسيرية لمبهم القرآن ومجمله ، واستطرد في حديثه يلصق بالشيعة ما يبرأون منه ، والذي يهمنا الآن ونحن نتحدث عن عقيدة الشيعة في القرآن ، ان نحاسبه على قوله ان لبعض فرقهم قرآناً غير قرآن المسلمين .

ان الشعبين ، الأيراني والعراقي شيعيان بتمامهما ، خلا حفنة قليلة في العراق لا تزيد عن العشرين بالمائة ، لها مذاهبها المختلفة ،

واكثريتها من اخواننا اهل السنة . وايران باجمعها واكثرية العراق الساحقة من الشيعة الإمامية وفي النجف جامعة دينية من اشهر الجامعات ، واقدمها في الشرق ، واليها يهاجر الشيعة من اقطار الدنيا لدراسة العلوم الدينية ، ولم يسمع احد من الشيعة ان لبعض فرق الشيعة في هذين البلدين قرآن غير قرآن المسلمين ، وعندهم ان الشاك في آية من آيات القرآن ، الموجود بين ايديهم خارج عن الاسلام ، فما ندري من اي مصدر يستقي الأستاذ هذه النظرية.

وقد كتب سماحة العلامة رئيس محكمة الاستئناف الجعفرية مقالا في مجلة العرفان حول ما يلصقه الأستاذ خالد بالشيعة ، وحاول سماحته ان يبرر اخطاءه بعدم اطلاعه على معتقدات الشيعة وكتبهم ، ولو كان الأمر كذلك كان من اللازم ان يعتذر الأستاذ خالد لسماحة الشيخ وللشيعة اذا كان في كتابته كما يصفه الشيخ مجرداً عن الدوافع والعوامل النفسية .

وبعد ان نسب الأستاذ خالد الى الشيعة ذلك لانستغرب قوله بعد هذا ، ان الشيعة لايعترفون بالسنة واحاديث الرسول التي يرويها وينقلها أئمة اهل السنة . لان هذه النسبة اقل ضرراً على المسلمين من سابقتها ، وسنتعرض في الفصول الآتية الى مراجع الأحكام عند الشيعة وكيف يقسمون الأحاديث المروية عن النبي (ص) ، وعترته (ع) ، ومنه يعرف الأستاذ خالد وغيره ، ممن لا يتجردون في ابحاثهم لخدمة الحق والواقع . ان الشيعة يعتمدون على حديث اهل السنة كما يعتمدون على حديث غيرهم من الشيعة . ولو رجع الأستاذ خالد الى مجمع البيان وغيره من

تفاسير علماء الشيعة ، لعرف انا نعتمد على آراء جميع المفسرين ، ولا نفرق بين طائفة واخرى ، اذا ساير التفسير اصول الاسلام وفروعه .

## الشفاعة عند الشيعة

يعتقد الشيعة الإمامية ان النبي والائمة وبعض الأولياء ، يشفعون لفريق ممن آمن بالله ، وارتكب بعض الذنوب ، وقد جعل الله ذلك للمؤمن تكريماً له ومكافأة على تفانيه وإخلاصه لدعوة ربه ، فلم يكتف له بما اعده له من الدرجات الرفيعة ، بل جعل له الصلاحية الواسعة ليشفع بمن شاء من المؤمنين .

قال الشيخ ابو جعفر الصدوق : اعتقادنا في الشفاعة انها لمن ارتضى دينه من اهل الكبائر والصغائر ، فاما التائبون من الذنوب فغير محتاجون الى الشفاعة . قال النبي (ص) : من لم يؤمن بشفاعتي فلا اناله الله شفاعتي . وقال (ص) لاشفيع انجح من التوبة ، والشفاعة للانبياء والأوصياء . ولا تكون لأهل الشك والشرك ، ولا لأهل الكفر والجحود ، بل تكون للمذنبين من اهل التوحيد . وقال المجلسي : ويجب ان نؤمن بشفاعة النبي والأئمة ، فان الله لا يخلف وعده بالثواب لمن اطاعه ، ويمكن ان يخلف الوعيد بأن يغفر لمن عصاه من المؤمنين من غير توبة .

وقال المفيد في كتابه اوائل المقالات ، بعد ان ذكر ان النبي وعلي والائمة من ولده ، يشفعون فيشفعهم الله ، قال وعلى هذا القول اجماع الإمامية الا من شذ منهم ، وقد نطق به القرآن

وتظاهرت به الاخبار ، وفي حاشية الكتاب المذكور ، اتفق كافة فرق المسلمين على ثبوت الشفاعة لنبينا (ص) لكنهم اختلفوا في معناها ، فالمعتزلة قالوا بأنه يشفع للمؤمن الطائع ، وينتج من شفاعته زيادة المنافع : وقال غيرهم انها للعصاة والفساق من اهل الإيمان ، وينتج عنها سقوط العقاب عنهم . ومهما يكن فلا شبهة في ثبوتها للنبي والائمة عند الشيعة .

ويمكن ان يستدل على اصل ثبوتها ، بما جاء في الكتاب الكريم قال سبحانه : ( يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ) والمراد من الآية كما في مجمع البيان ، لاتنفع في ذلك اليوم شفاعة احد في غيره ، الا شفاعة من اذن له الله ان يشفع ، ورضي قوله فيها من الانبياء والأولياء والصديقين والشهداء ، وفيها دلالة على انها لا تقبل من اصحاب الذنوب ، لأن المذنب في أمس الحاجة الى من يتوسط في امره فلا يكون وسيطاً لغيره ، والله اشار بقوله ، ورضي له قولا . فتكون على هذا لغير المقترفين للذنوب ، وفي سورة مريم لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، بعد ان حكى عن المجرمين قوله يوم نسوق المجرمين الى جهنم ورداً ، قال لا يملكون الشفاعة ، والمراد بذلك أن الشفاعة لا يملكها الا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، اي من عاهد الله ، والتزم بما عاهد عليه ، واهل الذنوب والكبائر لم يلتزموا بما عاهدوا الله عليه من فعل الطاعات واجتناب السيئات وفي سورة المؤمن (ماللظالمين من حميم ولا شفيع مطاع ) فهي تدل على ان الشفاعة في يوم الحساب ، ولكن الظالم ليس له قريب ينفعه

ولا شفيع يطاع قوله فيه .

وفي سورة سبأ ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له ) ، وانما يأذن سبحانه لمن رضيه وارتضاه من عباده ، وهم الانبياء والاولياء . وفي آية أخرى ( ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) فهذه الآيات الكريمة تكاد ان تكون نصاً في الشفاعة والأخبار الكثيرة عن النبي (ص) وعترته صريحة في ذلك ، ولقد قال الصادق (ع) ليس منا من انكر اربعة : المعراج ، وخلق الجنة والنار ، وسؤال القبر ، والشفاعة .

ويظهر من بعض الأخبار ان الشفاعة تكون لبعض المذنبين دون بعض ، ويظهر ذلك مما رواه في الوافي عن امير المؤمنين (ع) أنه قال الذنوب ثلاثة : ذنب مغفور ، وذنب غير مغفور ، وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه . قال الراوي : فبينها لنا يا امير المؤمنين ! قال : اما الذنب المغفور ، فذنب عاقب الله فاعله في الدنيا ، والله احلم واكرم من ان يعاقب عبده مرتين . واما الذنب الذي لايغفره ، فظلم العباد بعضهم لبعض ، إن الله سبحانه اذا برز للخليقة ، اقسم قسماً على نفسه فقال : وعزتي وجلالي ، لا يجوزني ظلم ظالم ، ولو كفاً بكف . واما الذنب الثالث ، فذنب ستره الله على عبده ، ورزقه التوبة منه ، فاصبح خائفاً من ذنبه ، راجياً لربه ، فنحن له كما هو لنفسه ، نرجو له الرحمة ، ونخاف عليه العقاب . والمراد بقوله فنحن له اي نشفع به الى الله ، ونخاف ان يرد شفاعتنا ، ويعاقبه على ذنبه . وروي صالح بن عقبة عن ابي عبد الله الصادق (ع) قال : قلت لابي عبدالله ،

رجل فجر بجارية أخيه ، فما توبته ؟ قال (ع) : يأتيه فيخبره ، ويسأله ان يجعله في حل ولا يعود . قلت : فان لم يجعله من ذلك في حل ؟ قال : يلقى الله سبحانه زانياً ، خائناً . قلت فالنار مصيره ! قال : شفاعة محمد وشفعاتنا تحيط بذنوبكم يا معشر الشيعة ، فلا تعودوا ، ولا تتكلوا على شفاعتنا ، فوالله ما نال شفاعتنا أحد ، إذا فعل هذا ، حتى يصيبه ألم العذاب ، ويرى هول جهنم ، ويتأكد هذا المعنى في كثير من كلماتهم (ع) . ففي كلام النبي (ص) لفاطمة (ع) اعملي يا فاطمة ، فلن اغني عنك من الله شيئاً . وقولهم : الجنة لمن اطاع الله ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً . وقولهم : لاتنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة ، فما عرف عنهم إلى التخويف من عذاب الله . والترغيب في طاعة الله . وفي مناجاة أمير المؤمنين ، وحفيده الامام زين العابدين (ع) ، خير شاهد على انهم لم يكونوا في وقت من الاوقات ، يمنون احداً بالشفاعة والسلامة من العذاب وارادوا ان ينتهج الانسان سبيلهم القويم وطريقهم الواضح .

وفي رواية صالح بن عقبة وغيرها دلالة على ان الشفاعة في حقوق الله خاصة ، واما ما يكون حقاً للعباد فلا تشمله أدلة الشفاعة ولابد من العقاب عليه إلا اذا ابرأه صاحب الحق . فالشفاعة على هذا النحو لا ينكرها العقل ، واقرها كتاب الله الكريم ، والإيمان بكل ما هو موجود في اخبارها من الكيفيات ومقدار عمومها وثبوتها للمؤمنين ليس ضرورياً في دين الاسلام ولا في مذهب الشيعة .

# الأئمة الاثني عشر

## عند الشيعة

لقد ذكرنا رأي الشيعة الإمامية في الخلافة الإسلامية ، وانها بالنص الآلهي ، ولا رأي للأمة فيها . وقد نص النبي (ص) على إمامة الاثني عشر ، والروايات التي نصت على إمامتهم ، رواها الفريقان باسانيد متعددة ، ومضامين مختلفة . ذكرها الكثير ممن عني بنقل الحديث والسنن ، منهم العلامة في كتابه كشف الحق ونهج الصدق ، ففي الكتاب المذكور عن الزمخشري باسناده الى رسول الله (ص) انه قال : فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي ، وبعلها نور بصري ، والائمة من ولدها امناء ربي ونقل أيضاً في كتابه المذكور عن السدي في تفسيره ، وهو من علماء اهل السنة وثقاتهم ان سارة لما كرهت مكان هاجر ، اوحى الله الى ابراهيم ، ان ينطلق باسماعيل وامه ، حتى ينزله بيت النبي التهامي يعني بذلك مكة المكرمة ، فاني ناشر ذريته وجاعل منهم نبياً عظيما ومظهره على الأديان ، وجاعل من ذريته اثني عشر عظيما . وفي الكتاب المذكور ايضاً عن احمد بن حنبل في مسنده وغيره ، عن النبي (ص) انه قال للحسين (ع) : انت

السيد ابن السيد اخو السيد ابو السادة ، انت الامام ابن الأمام اخو الأمام ابو الائمة ، انت الحجة ابن الحجة اخو الحجة ابو لحجج التسع . من صلبك تاسعهم قائمهم ، وهذا الحديث مروي في الطبري وغيره بتفاوت لا يضر بالمقصود .

وحديث الثقلين المروي في صحاح اهل السنة ، كابن حنبل والثعلبي ،وابي داود في صحيحه ،ومسلم وغيرهم ،وقيل بأن طرقه تزيد على مايتي طريق ، وفي الحديث الشريف امرهم بالتمسك بكتاب الله واهل بيته وكرر قوله : اذكركم الله واهل بيتي ، ثم قال فأن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً . وما تدين به الشيعة من إمامتهم لا يزيد عما اشتمل عليه الحديث الشريف ، وليست الإمامة عند الشيعة إلا الأخذ بقول الإمام ، والرجوع اليه في مشاكل الحياة ، والاقتداء بسيرته المثلى واخذ معالم الدين عنه . ويلزم ذلك كونه افضل اهل زمانه واعلمهم بالله ، واقربهم اليه وابعدهم عن معصيته .

وذكر ابن ابي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج ، عن صاحب حلية الأولياء عن النبي (ص) انه قال : من سره ان يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليوال علياً ويقتد بالأئمة من بعدي فانهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين لهم من امتي ، القاطعين فيهم صلتي ، لا اناالهم الله شفاعتي . وغير هذه الطائفة من الأخبار ، طائفة اخرى تنص على ان خلفاء النبي (ص) اثني عشر خليفة ، ذكرها اصحاب الصحاح في صحاحهم

وغيرهم ، ففي بعضها لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، ويكون عليهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش ، وفي اخر يكون من بعدي اثني عشر خليفة كلهم من قريش ، وغير هاتين كثيراً بهذا المضمون .

ولو قطعنا النظر عن الطائفة الأولى التي نصت على انهم من عترته ، وان الحسين ابو الأئمة التسعة ، وان التاسع من ولد الحسين قائمهم ، وعن الأحاديث التي صرحت باسمائهم واحداً بعد آخر ، ورجعنا الى الطائفة الثانية التي نصت بان خلفاءه اثني عشر قرشياً ، فلا يساعدنا المنطق على القول بأن هذه الأحاديث جاءت لتخبرنا عن مستقبل الخلافة الاسلامية ، وأنها لا تكون إلا في قريش ، بحيث لا يكون هذا الإمتياز الا للقرشيين ، ولا حظ لغيرهم في ذلك ، لان هذا يتناقض مع المبدأ الاسلامي ، القاضي بالغاء كل تفوق يكون من غير طريق الدين والأعمال الصالحة ، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم . فلا بد وان تكون هذه الأحاديث مشيرة لاشخاص معروفين عنده مميزين عن غيرهم جمعوا افضل الصفات وبلغوا الكمال المطلق في الانسان ، قد اخذوا باهداب الرسول وترسموا خطواته ونهجوا على سنته . فنظر اليهم من وراء السنين البعيدة بواسطة الوحي من ربه ، والأرض تشرق بانوارهم ، وتتعطر من طيبهم ، فنص عليهم كما أمره ربه بهذه النصوص العامة والخاصة . ولو اغمضنا النظر عن ذلك ، فمن البعيد ان يراد بهذه الأخبار من تداول الخلافة الإسلامية ، لأن

عددهم يزيد عما اشتملت عليه هذه الروايات . اضعافاً مضاعفة . وأبعد منه ان يكون المراد بهم خلفاء بني أمية ، كيزيد بن معاوية وامثاله ، ممن تعاقبوا على الحكم وتداولوه بينهم . وابعد منهما ان يكون المراد من تلك الأحاديث الصلحاء من الخلفاء البالغين اثني عشر خليفة ، كما ذكر ذلك بعض الشراح لهذه الأحاديث . فلوفرضنا ان الصلحاء منهم يبلغون هذا العدد، فظاهر الأخبار لايساعد على ذلك،وليس النبي في مقام بيان الصلحاء وتمييزهم عن غيرهم،وانما الذي يظهرمنها انه في مقام بيان من يخلفه في حفظ دينه ، واداء رسالته ، والسير على نهجه وسنته ، ولم تتوفر هذه الصفات بغير الأئمة الإثني عشر من ذريته وعترته .

واغتصاب حقهم وحدهم عن القيام بشؤون الأمة لا يخرجهم عن كونهم الخلفاء الشرعيين ، كما لا يخرج النبي عن النبوة لو فرض ان الناس لم يؤمنوا برسالته . وقد حكى الله سبحانه ما كان من قصة نوح مع قومه ، وأنه الح في دعوتهم للايمان به والجوا في عنادهم . قال سبحانه : ( واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ) . فكان امرهم ان دعا عليهم ، فاغرقهم الله ، ولم يبق معه الا حفنة من المخلوقات ، ولم يخرج بذلك عن النبوة ، ولقد قال النبي (ص) في حديث أجمع علماء الحديث على صحته في الحسن والحسين (ع) : ولدي هذين إمامين قاما او قعدا ، ولا شك ان المراد بالقيام والقعود ، هو القيام بأمر الأمة ،والقعود عنه . والشيعة كما يعتمدون على هذه النصوص في اثبات إمامة

الاثني عشر ، يعتمدون أيضاً على النصوص الخاصة الواردة عن طريق العترة الطاهرة على إمامتهم . ولم ينتقل احد من الائمة الى ربه الا بعد ان ينص على إمامة خلفه من بعده .

ولقد كانت الظروف السياسية ، تفرض عليهم احياناً عدم الإعلان العام ، والتكتم في امر الخلف الجديد ، ويتم النص على إمامة الخلف لبعض الثقات ، العارفين بالارشاد اليه ، بتكتم وحرص شديدين كما كان الحال بعد وفاة الإمام جعفر ، ولده موسى عليهما السلام . وكان لذلك أثره في انتشار المذاهب وتعددها في تلك الفترة من الزمن .

# عَلي بن أبي طَالِب

اولهم عند الشيعة الإمامية علي بن ابي طالب . ولد في مكة المعظمة بعد عام الفيل بثلاثين سنة . وعند جمهور من الشيعة الإمامية انه ولد في الكعبة المشرفة ، وكان للنبي من العمر سنة ولادته ثمان وعشرون سنة . وفي المجلد الأول من شرح النهج ان النبي (ص) كان يتيمن بتلك السنة ، لولادة علي (ع) فيها ، ويسميها سنة الخير والبركة ، وشاهد فيها من الكرامات والقدرة الإلهية مالم يكن شاهده من قبل . وقال لاهله لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا بولادته ، ابواباً كثيرة من النعمة والرحمة . وكان كما قال (ص) ناصره والمحامي عنه ، وكاشف الغم عن وجهه ، وبسيفه ثبت دين الإسلام ، وارست دعائمه ، وتمهدت قواعده . وهو اول من اسلم مع النبي (ص) على رواية اكثر المؤرخين واصحاب السير ، بعد خديجة زوجة النبي ، وفي شرح النهج روايات كثيرة تنص على انه اول من آمن بالرسول ، وفيه عن انس بن مالك : استنبأ النبي (ص) يوم الإثنين ، وصلى علي يوم الثلاثاء . وفي الشرح عن اسماعيل بن أياس بن حفيف الكندي ، عن ابيه عن جده قال : كنت امرءاً تاجراً ،

فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة ، وكان امرءاً تاجراً ، فوالله اني لعنده بمنى ، إذ خرج رجل من خباء له قريب منه ، فنظر الى الشمس ، فلما رآها قد مالت قام يصلي ، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلي ، ثم خرج غلام راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي ، فقلت للعباس : ما هذا يا عباس ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ابن اخي . قلت : من هذه المرأة ؟ قال : هذه امرأته خديجة بنت خويلد ! قلت من هذا الفتى ؟ قال علي بن أبي طالب ابن عمه ! قلت : ما هذا الذي يصنع ؟ قال يصلي وهو يزعم انه نبي ! ولم يتبعه على امره الا امرأته وابن عمه هذا الغلام ، ويزعم انه سيفتح على أمته كنوز كسرى وقيصر.ولقد اختلفت الروايات في سنه يوم إسلامه

ففي بعضها انه كان له من العمر ثلاث عشرة سنة ، وفي بعضها الآخر اثنتي عشرة سنة ، وقيل اكثر من ذلك واقل . ومهما يكن الحال فسواء كان اول المسلمين او ثالثهم ، فقد استقبل الإسلام في صباه ، لم تدنسه آثام الجاهلية ، وافتتح حياته بالجهاد بايمان راسخ ، واخلاص يقوده الى التفاني والتضحية في سبيل الرسول ، ودعوته الميمونة . رافق جميع التطورات التي مرت بها الدعوة .فكانت الغزوات والحروب وهوفي طليعة المجاهدين بلا منازع في ذلك . وتم للنبي الانتصار وحقق الله على يده ويد الرسول عزاً للاسلام والمسلمين ونص النبي (ص) على استخلافه من بعده في كثير من المناسبات ، وفي سنة وفاته بعد رجوعه من

حجة الوداع كان النص العام على حشد من المسلمين لم يتفق أن تيسر له قبل ذلك .

ولم يكن احد من المسلمين يحتمل ان الخلافة ستكون الى غيره ، الى ان كانت وفاة الرسول الأعظم . . وجرى بين المهاجرين والأنصار ما نقله الينا التاريخ ، من تنافس على الخلافة ادى الى تغلب المهاجرين واتفاق الكثير منهم على ابي بكر .

هذا والنبي في البيت الذي توفي فيه وعلي منصرف بكله الى تجهيزه واستقبال المعزين له بمصابه بالراحل العظيم . قد شغله أمر النبي (ص) عن دنياهم بما فيها من منافع واعراض ، فلم تشأ له نفسه الكبيرة ان يترك النبي جنازة ، ويذهب حيث اجتمع الفريقان لاثبات حقه الشرعي في الخلافة الاسلامية ، ولما دعي الى بيعتهم تنكر لتلك الدعوة وادلى بحجته البالغة ، فالتف حوله جمع ليس بالقليل من اهل البصائر والإيمان الثابت ، ومضى زمن وهو يجادل القوم ويذكرهم مواقف النبي ( ص ) ويعيد الى ذاكرتهم ما غاب عنها من النصوص التي تؤيد دعواه ، والكثير منهم احس بالمسؤولية وتجسمت له الأخطار ، إن هو مضى مع التيار الإسلامي الذي غير وبدل :

وفي تلك الفترة القصيرة كانت ردة جماعة من مسلمي العرب في الجزيرة ، وكانت نبوءة مسيلمة الكذاب واستغلاله الموقف الراهن بعد وفاة النبي (ص) ، وتفشي امر النزاع على الخلافة الى خارج العاصمة الإسلامية ، فبدأ العصيان والتمرد على مبادئ الاسلام ، واتسعت حلقاتها بين العرب ، فخشي علي (ع) إن

هو استمر على نزاعه مع القوم ان تبدد جهود محمد (ص) في اكثر من عشرين عاماً ، ورجع الى ماضيه اللامع الحافل بالخدمات الجليلة في سبيل توطيد دعائم الدين ، ونشر تعاليم الاسلام . فمصلحة الاسلام بنظره قبل كل شيء ، واذا كان يطالب بحقه في الخلافة فذاك لكي يعمل على بعث الدين قوياً في نفوسهم ، والخلافة لاتساوي بحسابه شيئاً اذا لم تكن طريقاً الى هذه الغاية . وهو القائل لأبن عباس وهو يخصف له نعله ، والله ان امرتكم لاهون عندي من هذه النعل ، إلا ان أحق حقاً وابطل باطلا .

اما وقد توالت الأحداث ووقع مالم يكن وانتشرت دعوة المرتدين ونبوءة مسيلمة واساليبه المغرية ، والدين جديد لم يأخذ سبيله في النفوس ، آثر عند ذلك ان ينخرط في صف المسلمين ، ويعمل واياهم على صعيد واحد ، بالرغم مما سلف منهم مع زوجته الطاهرة فاطمة بنت النبي (ص) كما اجمع على ذلك التاريخ . ولما وصل الى حقه بعد نهاية الخليفة الثالث عثمان رافقت الحوادث سني خلافته فكانت واقعة البصرة على يد طلحة والزبير ، والسيدة عائشة زوجة النبي (ص) ، وتلاها حادثة صفين بقيادة معاوية ابن ابي سفيان وكان من نتائجها حادثة النهروان بعد الفشل الذي لحق جيشه من آثار دعوة معاوية وابن العاص الى السلم ورفع المصاحف ، حتى ظهرت الغلبة لاصحابه ، وكاد الفتح أن يتم .

فكانت كل أيامه محناً وحياته عذاباً مراً ، الى ان انتقل الى ربه على يد عبد الرحمن الخارجي لعنه الله ، ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان بعد أن مضي على وفاة النبي (ص) ثلاثون سنة . وله من العمر خمس وستون سنة ، وقيل اقل من ذلك .

# الحسن بن علي

## الامام الثاني من أئمة الشيعة

ولد الحسن بن علي في السنة الثانية من هجرة النبي (ص) من مكة الى المدينة ، وروى الصدوق في الأمالي عن علي بن الحسين (ع) ، انه لما ولد الحسن قالت فاطمة لعلي سمه ، فقال ما كنت لاسبق باسمه رسول الله (ص) ، فجاء رسول الله ، فاخرج اليه في خرقة صفراء ، فقال الم انهكم ان تلفوه في خرقة صفراء ، ثم رمى بها واخذ خرقة بيضاء فلفه فيها . ثم قال لعلي هل سميته ؟ فقال : ما كنت لاسبقك باسمه . فسماه رسول الله حسناً ، ولقد بقي مع جده نحواً من سبع سنين او ثمانية ، وكان يقول فيه وفي اخيه الحسين : انهما سيدا شباب اهل الجنة ، وانهما ابناي ، وابنا ابنتي ، اللهم انك تعلم اني احبهما ، فاحبهما ، يكرر ذلك مراراً ، وروى جابر قال : دخلت على النبي (ص) وعلى ظهره الحسن والحسين ، وهو يقول نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان انتما . وعن البراء قال : رأيت النبي حاملا الحسن ويقول : اللهم اني احبه فاحبه ، وقال ابو هريرة رأيت النبي

(ص) يمص لعاب الحسن كما يمص الرجل التمر . الى كثير من امثال هذه الروايات .

وقد نص على امامته ، وامامة اخيه الحسين عليهما السلام ، فقال : هما امامان قاما او قعدا . وهو واخوه الحسين وامهما فاطمة عليهم السلام ، المعنيين في آية المباهلة بقوله ابناءنا وابناءكم ، كما ذكر ذلك جمع من المفسرين ، ورواه الفريقان ، وادعي العلامة في كتابه كشف الحق اجماع المفسرين على ذلك . وفي الكتاب المذكور ان آية التطهير نزلت في علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام . وروي ذلك عن احمد بن حنبل ، وغيره من مشاهير اخواننا اهل السنة ، واكثر المفسرين لكتاب الله ، ونقل عن ابي عبد الله محمد بن عمران ، عن ابي الحمراء قال : خدمت النبي نحواً من تسعة اشهر او عشرة ، عند كل فجر لايخرج من بيته حتى يأخذ بعضادتي باب علي (ع) فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فتقول فاطمة وعلي والحسنان وعليك السلام يا رسول الله . ثم يقول : الصلاة رحمكم الله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، ويطهركم تطهيرا . وكانت السنين السبع او الثمانية ، التي قضاها مع جده الأعظم ، حافلة بالتدليل على فضله وحبه ، والإعلان عن مستقبله اللامع الحافل بالمآثر والفضائل ، وورثه الرسول اشياء كثيرة لا يعادلها شيء في الدنيا ، وغرس في نفسه الزكية تعاليمه المقدسة ، وآي الكتاب الكريم ، لتجني أمته اطيب الأثمار واشهاها ، وينطق الوحي والتنزيل على لسانه ما دام في هذه الدنيا ، وكان هو المربي

والموجه له ولاخيه الحسين، وبعد وفاته رجعا الى احضان علي عليه السلام ، فكان يرقهما من علمه الواسع الذي اخذه عن الرسول ، ويرعاهما كما ينبغي لأب مثله ان يرعى وديعة رسول الله في امته . فكان مثالا للقداسة في نفوس المسلمين ، ولم يغب عنهم ما كان يصنع معه الرسول ويحيطه به من العطف والحنان ، ولم ينس أحد منهم قوله فيه وفي اخيه الحسين : من احبني فليحب حسناً ، حسن مني وانا من حسن ، هذان امامان قاما او قعدا . وقد شاهداه بالأمس يمص من لعابهما، ويقول نعم الجمل جملكما ونعم العدلان انتما . لذلك كان من الطبيعي ان يحتل المقام الاسمى من نفوس المسلمين ، بعد ان شاهدوا صنع النبي معه ، وسمعوا قوله فيه ، بالاضافة الى تلك المجموعة الهائلة من الفضائل التي كانت تحتشد في نفسه الكريمة . ولم تكن خلافته القصيرة ، بعد ان انتقل والده الامام الى جوار ربه ضريبة على المسلمين استجابوا لها تحت تأثير القوة،والاغراء بالأموال ، وانما كانت بنظرهم رحمة تتصل حلقاتها من علي (ع) الى نبيهم الذي اختار لهم واحسن الإختيار ، يوم قال : الحسن والحسين امامان قاما او قعدا . ولكن النفوس الشرهة والأرواح الشريرة ، التي اشتراها معاوية بالاموال ، والنفوس الضعيفة التي سلبها الأمن والقرار ، استجابت لأمانية ففقد الحسن (ع) قوته التي كان قد اعدها لحرب معاوية بعد وفاة ابيه باشهر قليلة ، وللرغبة والرهبة ، اثرهما الفعال في ذلك ، ولم يبق مع الحسن (ع) الا حفنة قليلة من ذوي البصائر والنيات الصادقة ، لا تستطيع القيام بهذا العبء

الثقيل .

ولم يغب عنه تخاذل اهل الكوفة عن أبيه من قبل ، حتى تمنى فراقهم بالموت او القتل . فاختار اصلح الطريقين لنفسه ولأمة جده ، فسلم امر الخلافة الى معاوية على كره منه ، بعد شروط وعهود اهمها الإحسان الى شيعتهم ومساواتهم لسائر افراد الأمة ، ورجوع الأمر من بعده الى الحسن عليه السلام ، ولكن معاوية الماكر ، لم يف للحسن بشيء مما عاهد الله عليه ، واعلن سوء نواياه يوم دخل الكوفة وخطب الناس ، فقال : اني ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ، ولكن لأتامر عليكم ، ثم تناول شروط الهدنة بينه وبين الحسن (ع) ، فقال الا وإن كل شرط اعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي له بشيء منه .

ليس بغريب ان يصدر من معاوية ذلك ، وانما الغريب ان يقول غيره ، فالنزاع بين امية وهاشم ، من قبل لم يقع إلا لأن امية اراد ان يحتكر السيادة لنفسه ، وقد رأى الناس من هاشم الرجل الذي استطاع بحسن نواياه ان يمتلك القلوب والألباب . ولم تكن ثورة ابي سفيان على النبي من قبل ، الا لأن الاسلام قد حطم الجبابرة واعز المؤمنين ، وفضل جبيراً الحبشي الصالح على ابي سفيان القرشي الجبار ، ولم يكن معاوية باطهر نفساً من أبيه وهو القائل يوم انتهت الخلافة الاسلامية الى سليل امية عثمان ، وقد دخل ابو سفيان مسجد النبي وهو يحسب ان ليس في المسجد الا الخليفة وحاشيته ، تلقفوها يا بني امية تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به ابو سفيان مامن جنة ولا نار ، اذن ليس بالغريب ان

يقول معاوية على حشد من اهل الكوفة ، ضم اعيانهم ورؤساءهم اني قاتلتكم لاتأمر عليكم ، وكل شرط اعطيته للحسن لا أفي له فيه ؛ وبالفعل قال ذلك وشرع في تنفيذ مقالته ، فتتبع الشيعة باشد انواع الأذى والعذاب ، على يد الجبابرة من ولاته ، بالقتل تارة والتشريد والحبس اخرى . ونظراً لتلك الأزمة العظيمة التي اجتاحت الشيعة ، قال الناس : اول ذل دخل الكوفة يوم سلم الحسن الأمر الى معاوية ، وقال له جمع من شيعته الخائفين المشردين : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، وغير ذلك مما كان يضطرهم سوء صنيع معاوية وولاته الى مفاجأة الحسن به ، وهو مع كل ذلك صابر على ما نزل به منتظر وعد ربه .

يذهب الى بيت الله ماشياً في كل عام والنجائب تقاد بين يديه ويتفقد الأيتام والمساكين ، فيحمل اليهم الطعام وينفق عليهم من امواله .

واخيراً فلما احب معاوية ان يذهب من دنياه بدون ان يكون له خلف يتولى امر المسلمين ليشاركه في اوزاره ، فجعل ولاية العهد لولده المعروف عند الناس بالأستهتار بمقدسات الاسلام ، والسكر والفحشاء ، ولما علم ان وجود الحسن (ع) سيقف في طريق انجاز هذه الفكرة بدأ يعمل جهده للتخلص من الحسن (ع) واخيراً تم له ما اراد ، بواسطة جعدة بنت الأشعث زوجة الحسن بعد ان اغراها بالأموال ، والزواج من ولده الذي سيلي أمر الأمة في القريب العاجل ، وبعد ان نفذت له ارادته ، وفى لها بالأموال الطائلة واما امر الزواج فلم يفِ لها به وحين طالبته

بذلك تنكر لهذا الطلب ، وجال في خاطره ان من يقدم على قتل ابن رسول الله لخليق به ان يقدم على قتل ابن معاوية .

وفي المجلد الأول من شرح النهج عن عمران بن اسحق قال : كنت مع الحسن والحسين (ع) في الدار ، فدخل الحسن المخرج ، وبعد ان خرج قال : لقد سقيت السم مراراً ما سقيت مثل هذه المرة ، لقد لفظت كبدي فجعلت اقلبها بعود معي ، فقال الحسين ومن سقاك السم ؟ قال وما تريد منه ؟ أتريد ان تقتله إن يكن هو هو ! فالله اشد نقمة منك ، وان لم يكن هو فما احب ان يؤخذ لي بريء .

وانتقل الى جوار ربه الكريم في شهر صفر سنة احدى وخمسين للهجرة ، وكان سنه سبعاً واربعين سنة ، ودفن الى جانب امه الصديقة الزهراء (ع) في البقيع ، بعد ان عارضت السيدة عائشة في دفنه مع جده رسول الله (ص) .

# الحسين بن علي[1]

## الامام الثالث من أئمة الشيعة

الحسين بن علي ، شهيد الإباء والتضحية ، وبطل التاريخ ، الثائر على الظلم والباطل، كانه بركان انفجر يقذفهم بالحمم ، ويندفع عليهم كالسيل ، وان كان في ذلك هلاكه ، مادام قد اراح ضميره ، وارضى ربه،ومات دون مبدئه وغايته . ولد الحسين في شعبان في السنة الرابعة من الهجرة ، وسماه رسول الله حسيناً كما سمى اخاه حسناً من قبل ، تولى النبي حسيناً من حين ولادته الى يوم وفاته ، فكانت روحه الطاهرة كالعدسة اللاقطة ، ترسم ما تقع عليه من وحي النبوة ، الذي اهدى الانسانية بنوره ، وزودها من ضيائه . ما عرف احداً قبل جده الأعظم وما احس بعطف انسان قبل عطفه ، ولا غذاه احد قبل لسانه الكريم ، فارتسمت روح النبوة في طبيعته وملأت نفسه الكبيرة ، فكان انساناً حين دبت به الحياة ، لم تسيطر عليه الطبيعة بل سيطر عليها فانقادت اليه كما يريد . ولا غرابة في ذلك بعد ان تعهدته النبوة ، وغمرته بروحانيتها وحبها ، وقال فيه جده : حسين مني وانا من حسين . ولقد روى الرواة عن طريق البراء بن عازب قال

رأيت النبي يحمل الحسين على عاتقه وهو يقول اللهم اني أحبه فاحبه . وروي عن أسامة بن زيد قال : طرقت النبي (ص) ذات ليلة في حاجة لي ، فخرج النبي وهو مشتمل على شيء لادري ما هو ، فلما فرغت من حاجتي ، قلت ما هذا الذي انت مشتمل عليه ؟ فكشف فاذا حسن وحسين على وركيه ، فقال : هذان ابناي وابنا ابنتي ، اللهم إني احبهما فاحبهما وأحب من يحبهما ، وكان يرشف ثناياه تارة ، ويمتص من لعابه اخرى . وانتقل بعد وفاة جده الى احضان أبيه علي (ع) ، فنشأ كما تشاء له تلك التربية العالية ، مخلصاً لرسالة جده متنكراً للباطل شديداً على الظالم : لا تغريه الدنيا بنعيمها ومغرياتها ، ينشطه الجور ويوقظه الظلم ويثيره أنين الضعفاء وعويل المنكوبين ، يرسل صوته قوياً ينفذ الى الأعماق فتلتهب له ضمائر المظلومين ، الا واني لا أرى الموت الاسعادة ، والحياة مع الظالمين الا برماً .

فشق الطريق لكل من ينشد الإصلاح ، ويحب المعروف وينكر المنكر ، فزلزل دولة الظالم وحطم سلطان اهل البغي :

ولرب نصر عاد شر هزيمة تركت بيوت الظالمين طلولا

نص على امامته وامامة اخيه الحسن من قبله ، جده الرسول (ص) بحديث مشهور بين الرواة . الحسن والحسين امامان قاما او قعدا. ونص على امامته وإمامة اخيه الحسن علي(ع) في آخر ايام حياته ، كما روي ذلك في الوافي ، عن حماد بن عيسى عن اليماني وابن اذينه ، عن ابان عن سليم بن قيس ، قال : شهدت وصية امير المؤمنين (ع) حين اوصى الى ابنه الحسن (ع) وأشهد على

وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده، ورؤساء شيعته واهل بيته . ثم دفع اليه الكتاب والسلاح ، وقال لابنه الحسن (ع) : يا بني امرني رسول الله ان اوصي اليك ، وادفع اليك كتبي وسلاحي كما اوصى إلي رسول الله ودفع الي كتبه وسلاحه . وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين . ثم اقبل علي ولده الحسين وقال له : وامرك رسول الله ان تدفعها الى ابنك هذا . ثم اخذ بيد علي ابن الحسين (ع) وقال له : وامرك رسول الله ان تدفعها الى ابنك محمد بن علي وأقرئه من رسول الله ومني السلام . وفي رواية الوافي عن المفضل بن عمر في حديث طويل ، أن الحسن (ع) استدعى محمد بن الحنيفة وقال له : يا محمد بن علي ان الحسين بعد وفاتي إمام من بعدي ، الى ان قال ان الله قد اصطفى محمداً ، فاختار محمد علياً ، واختارني علي للإمامة ، واخترت انا الحسين. وغير هاتين كثير ، وكلها صريحة في امامته وامامة اخيه الحسن (ع) . وقد ذكرنا فيما سبق قسماً من الروايات الصريحة في امامة الإثني عشر ، وانه ابو الائمة التسعة . ولقد بقي بعد أخيه الحسن عشر سنين قضاها في خلافة معاوية ابن ابي سفيان ، وحين جعل معاوية امر الخلافة الاسلامية لولده يزيد من بعده ، كان (ع) لايدع فرصة إلا ويعلن للملأ الإسلامي عن رأيه في تلك البيعة وعن مصير المسلمين إن استقام الأمر ليزيد بعد أبيه . ولما مات معاوية اضطربت أعصاب يزيد من الحسين (ع) ، لعلمه بما له في نفوس المسلمين من العظمة والقداسة ، وانهم لا يعدلون به احداً إن هو تعرض لأمر الخلافة

فكان كل همه ان يستلب منه البيعة، ليستغلها في إخماد كل ما يتصوره من ثورة على هذا السلطان ، الذي استجاب له الكثير من المسلمين بتأثير السيف والدينار ، وفي نفس الوقت يخدع بها الملايين من المسلمين . لذلك فقد ارسل الى امير المدينة يأمره بأخذ البيعة من الحسين خاصة ومن الناس عامة ، وكان من الطبيعي ان لايتم له ذلك ، وان لا ينزل الحسين عند طلبه .

وبعد جدال دار بينه وبين امير المدينة وحاشيته ، أعلن لهم الحسين (ع) عن رأيه في خلافة يزيد بقوله : انا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ويزيد رجل فاسق معلن بالفجور ، ومثلي لا يبايع مثله . وخرج من المدينة قاصداً مكة حيث يجتمع المسلمون فيها لاداء فريضة الحج . وفي تلك السنة كان الحج اكثر منه في غيرها ، وكثرت الوفود لتعرف ما يؤول اليه امر الأمة ، في عهدها الجديد المظلم: وانعكفوا على الحسين يجددون عهداً برسول الله . وفيهم الكثير ممن وعى حديث الرسول فيه وفي أخيه الحسن ولم يغب عنهم قوله : حسين مني وانا من حسين . وكانت الكوفة اشد الأقطار الإسلامية نقمة على الأوضاع ، وتحفزاً للثورة . وقد اذاقهم معاوية من قبل الواناً من العذاب ، وهو المعروف عند الكثير من اتباعه بالحلم ، فماذا يكون حالهم اذا كان اميرهم هذا الأرعن الجبار الأحمق ؟ فاستغاثوا بالحسين ، وكتب اليه اكثرهم ، حتى اجتمعت عنده الآف الكتب ، وفي جميعها يقولون ليس لنا امام غيرك ، ولا سلطان علينا لسواك ، فرأى نفسه بازاء أمر لا مفر منه ، ولا محيد عنه ، وملايين المسلمين يستغيثون

به ، ويرونه المنقذ الوحيد من هذا السلطان الجائر . فظن انهم رجعوا عن ماضيهم الأسود مع ابيه وأخيه ، الى الطريق الواضح وتابوا لله سبحانه من سوء صنيعهم ، ومع ذلك لم يقذف بنفسه في ذلك التيار الهائج ، ولم يكن لتلك الكتب ولا لأصواتهم المتعالية بالاستغاثة ، ما يكفي بحسابه للركون اليهم والاطمئنان بصدقهم ، فارسل اليهم ابن عمه مسلماً ،وهومن خيرة قومه ،العارفين بتدبير الأمور وقيادة الجماهير ، ليستعلم له الحال ويستطلع له القلوب ، وزوده برسالة الى اهلها يعلمهم فيها بقدومه عليهم ، ان كتب له سفيره بصدق نياتهم ، ومضاء عزيمتهم ، ورجوعهم عما سبق منهم مع ابيه واخيه من قبل . فاحتفوا بمسلم ورحبوا بقدومه ، وبايعه الرؤساء والأتباع على الموت ، وبدأوا يجمعون الاموال والسلاح استعداداً للوثبة على سلطان يزيد الجائر ، فلم ير مسلم بداً ، وقد رأى منهم الإيمان بهذه الدعوة ، والعزم على التضحية في سبيلها مهما كلفهم ذلك ، إلا ان يكتب الى الحسين يعلمه عن نتائج رحلته ، وتماسك اهل الكوفة في أمرهم ، وعظيم ولائهم لاهل هذا البيت . فاستجاب عند ذلك حسين (ع) دعوتهم ، وخطب في مكة المكرمة على حشد من المسلمين فقال : اني لم اخرج بطراً ، ولا اشراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي ، اريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ، ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين ، وتوجه على اسم الله وفي سبيل الله ، وهو يتلو قول

ربه : ( ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ) . ومنذ وصل الى مقره الأخير من ارض العراق ، فوجئ بغدر اهل الكوفة وخيانتهم مسلماً ، وقتله مع نفر من وجوه شيعته ، فحاول ان يرجع الى مدينة الرسول ، او الى جهة أخرى من بلاد الله الواسعة ، فلم يتم له ذلك ، واصبح بين امرين إما ان يقاتل بتلك الحفنة القليلة من صحبه وولده وبني عمه ، واما ان يستسلم لهم ويبايع ابن زياد ليزيد . اما البيعة فقد اعلن عن رأيه فيها يوم استدعاه الوليد حاكم المدينة ليلا بقوله : ان يزيداً معلن بالفجور ومثلي لا يبايع مثله ، واشار بذلك الى شروط الخلافة الاسلامية ، وان الخليفة حامي القرآن ، ونائب الرسول ، والمعني بقوله تعالى : ( اطيعوا الله والرسول واولي الأمر منكم ) فلا بد وان يكون رمز الدين لتجب اطاعته على الأمة ، اما اذا كان فحاشاً فاسقاً ظالماً ، كانت مبايعته ضلالا وكفراً ، فكان من المحتم ان يرفضها اليوم ، كما رفضها بالأمس ، فاختار القتال وهو يردد لا أرى الموت إلا سعادة ،والحياة مع الظالمين الا برما.

واذا لم يكن من الموت بد      فمن العار ان تموت جباناً

وهو يعلم ان يزيداً لا يتركه حياً ، ما دام يفكر ان في بقائه خطراً على عرشه ، وقد اشار في خطبته التي القاها في البيت قبل خروجه من مكة الى ما سيكون من حاله ، فقال : كأني باوصالي تقطعها عسلان الفلوات ، بين النواويس وكربلا فيملأن مني اكراشاً جوفاً واجربة سغبا .

مضى هو وصحبه وهو يقول والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ، ولا اقر لكم اقرار العبيد ، فماتوا ميتة الكرام ، واستقبلوا الله بوجوههم المشرقة ، وكان النصر في النهاية لهم . فكانت شهادة الحسين (ع) من اشهر الحوادث في تاريخ الاسلام وافجعها واشرفها ، واعظمها أثراً في التاريخ ، سنة احدى وستين من الهجرة ، في العاشر من المحرم ، ولا يعنينا في هذا الموضوع ان نتوسع في تاريخ ائمة الشيعة اكثر من ذلك .

# عليّ بن الحسين

## الامام الرابع من أئمة الشيعة

علي بن الحسن الملقب بزين العابدين والسجاد ، والمشهور بين الرواة ان أمه من اشراف السبيّ الذي استولى عليه المسلمون في حربهم مع الفرس زمن الفتح الأسلامي . تزوجها الحسين (ع) فاولدت له علياً سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في اواخر ايام جده علي (ع) في الكوفة . فنشأ علي في بيت ابيه ، بيت النبوة ومهبط الوحي بيت تحمل اقسى ما يتصور من الألم والمحن في سبيل الله وفي سبيل القرآن فقاسى ماقاساه آباؤه من قبله ، واستقبل في صباه محنة جده الأعظم ، وهو صريع في محرابه ، ومحنة عمه الحسن وهو يلفظ كبده بين يديه من السم الذي دسه اليه خليفة المسلمين معاوية ابن هند ، وجاءت بعد ذلك أيام أبيه ، والإسلام يستغيث بمن ينقذه من الأخطار المخيفة التي أحدقت به من جميع نواحيه ، فكانت ثورة الحسين (ع) مفروضة عليه بحكم الظرف الذي وجد فيه ، فكان لها احسن الأثر وابلغه في تاريخ الإسلام واتساع التشيّع ، كما نتج منها انهيار العرش الذي بناه معاوية لولده من بعده . واسفرت تلك الثورة المباركة عن قتله وقتل اسرته وبنيه وصحبه

الكرام . ولولا مشيئة الله سبحانه لكان السجاد في عداد القتلى .
كل ذلك شاهده الإمام زين العابدين ، وشاهد ما هو امر على النفس من جميع ذلك رأس أبيه على الرماح ، من كربلا الى الكوفة ، ومنها الى الشام وجسده يداس في حوافر الخيول ، وعماته واخواته ونساء المسلمين تساق بالقوة والعنف الى عبيد الله ابن مرجانة ، والى يزيد في الشام . وكان القيد في ساقيه ، والحبل من عنقه الى عنق عماته واخواته ، ومع كل تلك المصائب يرى ان ذلك في طاعة الله قليل . فلا الموت عاراً عندهم ، ولا القتل مهانة في حسابهم ، وانما الحياة مع الظالمين هي العار . ارادوا الله فاجتباهم اليه وانكروا الباطل فهان كل شيء في سبيل الحق والحرية والعدالة . خفق الحسين (ع) وهو في طريقه الى العراق ، فسمع من يقول ، القوم يسيرون والمنايا تسير في اثرهم فقال : انا لله وانا اليه راجعون ، فقال ولده علي مما استرجعت فقص عليه رؤياه . فقال اولسنا على الحق يا ابتاه ؟ قال الحسين (ع) نعم ! والذي اليه مرجع العباد ، قال اذن لا نبالي بالموت ما دمنا على الحق .

ولقد نص على امامته جده علي (ع) كما نص عليه ابوه الحسين وفي بعض الروايات ان الحسين (ع) اودع وصيته ام سلمة زوجة النبي (ص) وفيها عهده الى الإمام زين العابدين .

وعاش بعد أبيه ما يزيد على الثلاثين عاماً ، والكآبة تبدو عليه ، والحزن باد في وجهه ، وكلما اجتمع اليه وفود من وفود الأقطار الاسلامية يردد عليهم تلك المأساة ويقص عليهم من

اخبار ها ما يلهب النفس ، ويحز فيها اقسى ما يتصور من الألم ، فكان لذلك اثره البالغ ، الكوفة تعلن الثورة وتظهر الندم ، واهل المدينة يحسون بتلك الصدمة التي اصابت الاسلام في الصميم ، فانكروا امر يزيد وطغيانه ، ونتج عن هذا الإنكار ان اتم رسالته الإصلاحية ، فسرح جيشه لحرب صحابة النبي وابنائهم ، وامر قائده ان يأخذ البيعة من اهلها على انهم عبيد يزيد بن معاوية ، وكان له ما اراد ، بعد قتال ذهب ضحيته آلاف الصلحاء والابرياء وأباح قائده مسلم مدينة الرسول لجيشه الظافر ، واستعرض الصلحاء والعلماء فبايعوا على انهم عبيد أذلاء ، إلا الامام زين العابدين ، فلقد انجاه الله من شره ودفع عنه بأسه وكيده .

قال المسعودي في مروج الذهب : بايع الناس على انهم عبيد ليزيد ، ومن أبى أمره مسرف (١) على السيف ، غير علي ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب ، وقد لاذ بالقبر وهو يدعو ، فأتي به الى مسرف وهو مغتاظ عليه . فتبرأ منه ومن ابائه فلما رآه وقد أشرف عليه ، ارتعد وقام له وأقعده الى جانبه ، وقال له سلني حوائجك ! فلم يسأله في أحد ممن قدم الى السيف إلا شفعه فيه ، ثم انصرف عنه . فقيل لعلي (ع) رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت ؟ قال قلت اللهم رب السموات السبع وما اظللن ، والأرضين السبع وما اقللن ، رب العرش العظيم ، رب محمد وآله ، اعوذ بك من شره ، وادرأ بك في نحره ، اسألك ان تؤتيني خيره ، وتكفيني شره . وقيل لمسلم رأيناك تسب هذا

---

(١) هو مسلم بن عقبة .

الغلام وسلفه ، فلما أتي به إليك رفعت منزلته فقال : ما كان ذلك لرأي مني لقد ملىء قلبي منه رعباً .

وفي مروج الذهب ان المختار الثقفي كتب الى علي ابن الحسين السجاد ، يريده على ان يبايع له ويقول بامامته ويظهر دعوته . وانفذ اليه مالا كثيراً فابى ان يقبل ذلك منه ، وسبه على رؤوس الملأ في مسجد النبي . وهكذا بقي الإمام زين العابدين في الاعوام الثلاثين التي قضاها بعد أبيه (ع) معرضاً عن الدنيا وبهجتها لا تستغويه أبهة السلطة ولا بلهنية الحياة ، وانقطع الى عبادة ربه ونشر تعاليم الاسلام . فاذا جاء الليل ونامت العيون ، قام هو وغلمانه يحمل الطعام والأموال الى بيوت الأيتام والمساكين ، ثم يرجع الى مناجاة ربه ، يدعو لنفسه تارة وللمسلمين أخرى ، وللمرابطين في الثغور ثالثة بابلغ منطق واروع بيان واعذب الكلمات . يشتري الرقاب ويعتقها بالغاً ثمنها ما بلغ ابتغاء مرضات ربه . وفي تذكرة الخواص عن طبقات ابن سعد ان علي ابن الحسين كان كثير الحديث عالياً رفيعاً خائفاً ورعاً عابداً . وفي الكتاب المذكور كان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه ، واذا قام الى الصلاة اخذته رعدة ، فيقال له مالك ؟ فيقول ما تدرون لمن أريد ان اناجي ! ولقد وقع حريق في داره وهو ساجد فقال الناس : النار ! النار ! يا ابن رسول الله فما رفع رأسه حتى أطفئت . فقيل له ما الذي الهاك عنها ؟ قال النار الكبرى .

وكان اذا اتاه سائل يقول : مرحباً بمن يحمل زادي الى الآخرة وفي التذكرة عن احمد بن حنبل ان علي ابن الحسين كان يعول مائة

بيت في المدينة ، وكان يبعث اليهم ما يكفيهم ليلا ، فقال اهل المدينة بعد موته ،ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي ابن الحسين .
وكان يقول : عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ، وهو غداً جيفة ، وعجبت لمن شك في الله وهو يرى عجائب مخلوقاته وعجبت لمن شك في النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت ممن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء .
وفي طبقات ابن سعد كان علي ابن الحسين يقول ايها الناس ! احبونا حب الاسلام ، فوالله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً . وفي رواية حتى بغضتمونا الى الناس . وروى الرواة ان علي ابن الحسين خرج من المسجد يوماً فاعترضه رجل وسبه ، فلحقه جماعة من المسلمين وهموا به شراً ، فقال (ع) دعوه ! ثم قال للرجل ما ستر الله عنك من امرنا اكثر مما ذكرته ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل منه ، ثم خلع عليه خميصة كانت عليه واعطاه الف درهم . فكان الرجل بعد ذلك اذا رآه يقول : اشهد أنك ابن رسول الله . وفي التذكرة عن جماعة من الرواة ان ضيوفاً طرقوا الإمام زين العابدين ، فاستعجل خادماً له فاخرج شواء من التنور واقبل عجلا وبيده ( السفود ) وبين يدي علي (ع) غلام صغير ، فسقط السفود على الصغير فنش ومات فبهت الخادم واضطرب فنظر اليه علي (ع) وقال : انك لم تتعمد ذلك انت حر لوجه الله .
وكان مما اوصى به ولده الإمام محمد الباقر : يا بني لاتصحبن خمسة ، ولا توافقهم في طريق ابداً : لا تصحبن فاسقاً فانه يبيعك

باكلة ، فما دونها ، ولا بخيلا فانه يقطع بك عن ماله احوج ما كنت اليه ، ولا كذاباً فأنه بمنزلة السراب ، يبعد منك القريب ، ويقرب منك البعيد . ولا احمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك . ولا قاطع رحم فاني وجدته ملعوناً في مواضع من كتاب الله .

ولقد اجمع المؤرخون على اختلاف نزعاتهم ، على أنه وحيد زمانه في كل نواحيه . وانتقل الى ربه سنة خمس وتسعين من الهجرة وعاش سبعاً وخمسين عاماً . وقيل اكثر من ذلك . ودفن في المدينة مع عمه الحسن وجدته فاطمة عليهم السلام .

# محمد الباقر

## الامام الخامس من أئمة الشيعة

الإمام ابو جعفر محمد بن علي الملقب بالباقر ، ولد (ع) في المدينة سنة سبع وخمسين من هجرة النبي (ص) ، وعاش مع جده الحسين (ع) ثلاث سنين ، وختمت سنيه الثلاث التي قضاها مع جده الحسين (ع) باعظم محنة مرت على اهل البيت . وفي طفولته شاهد اعظم الرزايا والمصائب ، التي توالت على أبيه من حكام ذلك العصر ، الذي انغمس فيه الحكام بالشهوات ، وابتعدوا عن مفاهيم الرسالة السماوية ، رسالة القرآن الكريم ، واستهتروا إلى أبعد حدود الاستهتار بمقدسات الإسلام . تعج قصورهم بالفسق والفجور ، وتقوم دعائمها على الظلم والجور وجميع أنواع الرذيلة والمنكرات . وقد غمر هذا التيار الذي استولى على قصور الخلفاء والحكام ، الكثير من المسلمين . والسلطة لها أثرها في توجيه الشعوب ، لا سيما وأن للخلافة الإسلامية طابعها الديني . والناس على دين ملوكهم ، فمارس المسلمون لذائذ العيش ومغريات الدنيا ، وجميع المنكرات . عاش الإمام الباقر (ع) في تلك الظروف مع هشام ابن عبد الملك وغيره من الجبابرة ،

واستدعاه هشام إلى الشام وهو يلتهب غيظاً عليه ، فأنجاه الله من شره . والبقية الصالحة من المسلمين تئن وتضج من تلك الأوضاع الفاسدة ، وتستغيث به للتخلص من سلطان أمية الذي أوشك أن يأتي على تعاليم الإسلام ، وجهود صحابة النبي وسيرة خلفائه من بعده. وأحس الكثير منهم بالمسؤولية الملقاة على عاتق كل من مسلم . ولكن الإمام الباقر وقد رأى من قبل خذلان الناس لآبائه وتركهم في ساعات المحنة ، وشاهد في أيام أبيه ، كيف بالغ الحكام في تعذيب الشيعة والتنكيل بالأبرياء . وفي شرح النهج المجلد الثالث ، نقل حديثاً طويلا عن الإمام الباقر صور فيه الإمام حالة الشيعة ، وسوء صنيع الولاة معهم ، وكثرة الدس في أخبار أهل البيت ، مما يشين في سمعتهم ، ويفسد علاقتهم بالناس . وقال ( ع ) في الحديث : ثم جاء دور الحجاج فقتلهم كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعة علي ( ع ) . لذلك ولما شاهده بنفسه آثر أن يعيش منعزلا عن السياسة ، منصرفاً إلى التعليم والإرشاد ونشر الأحاديث ، فكانت مدرسته تضم آلاف الرواة ، ومجالسه لا تخلو من المناظرة في التوحيد والإمامة وغيرهما من الأصول الإسلامية ، حتى غلب عليه اسم الباقر . وروى الرواة أن النبي سماه بهذا الاسم يوم أخبر جابراً بأنه سيبقى إلى أن يدرك رجلا من ولد فاطمة سميّ رسول الله يبقر العلم بقراً .

وقال الجوهري في الصحاح والتبقر هو التوسع في العلم ، وكان يقال لمحمد بن علي ابن الحسين الباقر لتبقره في العلم .

ووصفه ابن سعد في طبقاته كما في التذكرة ، أنه كان عالماً عابداً ، ثقة ، روى عنه أبو حنيفة وغيره من أعلام الأمة . وقال أبو يوسف قلت لأبي حنيفة لقيت محمد بن علي ؟ قال نعم ! وسألته يوماً فقلت له : أراد الله المعاصي ؟ فقال : أفيعصى الله قهراً ؟ قال أبو حنيفة : فما رأيت جواباً أفخم منه . وقال عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أحقر علماً منهم عند أبي جعفر ، لقد رأيت الحكم بن عيينة عنده كأنه عصفور مغلوب وقد كان الحكم عالماً نبيلا جليلا في زمانه .

ويظهر من التاريخ أن سني إمامته بعد أبيه البالغة تسع عشرة سنة تهيأ له فيها ما لم يتهيأ لأبيه من قبل فلقد كثر الرواة عنه ، واتسع له المجال ، فنشر الحديث في مختلف الجهات ، وأصبح هو وولده الصادق (ع) من أعظم المصادر الإسلامية في التشريع وروى عنه جابر الجعفي ، وهو من ثقات الرواة وأعاظم نقلة الحديث ، أكثر من خمسين ألف حديث. وروى عنه محمد بن مسلم وكان من أعيان أصحابه وأصحاب ولده الصادق ثلاثين ألف حديث ، وكثير غير هذين كزرارة وحمران ابني أعين ، وابن أبي يعفور والصيرفي والأعمش . وقد أدرك هؤلاء الصادق ورووا عنه أيضاً ، وكانوا عنده من المقربين. ولعل الذي هيأ هذا الجو للامام الباقر هو عدم تعرضه لأمر الخلافة واطمأن الحكام منه بذلك وأيقنوا أنه لم يساهم في ثورة أخيه زيد وولده يحيى وعرفوا منه أنه كان يشير على أخيه وغيره من العلويين بالخلود والسكينة .

وقد بدأ المسلمون في عصره يدرسون الدين عن طريق المنطق والمحاكمة العقلية ، فكثرت الشبه فيما يرجع إلى أصول الإسلام ، في التوحيد والقضاء والقدر والجبر والتفويض . وأراد الخلفاء أيضاً أن تروج تلك البضاعة ، وتكون الشاغل للمفكرين عن الخلافة وسوء تصرفات الخلفاء .

وكان للإمام الباقر السهم الوافر في الدفاع عن العقيدة الإسلامية . وفي الوافي بسند طويل ، أن نافع بن عبدالله الأزرق كان يقول : لو علمت أن بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا ، يخصمني أن علياً ( ع ) قتل أهل النهروان ، وهو غير ظالم لهم لرحلت إليه . فقيل له ولا ولده ؟ فقال : أفي ولده عالم ؟ فقيل له : هذا أول جهلك ! وهم يخلون من عالم . قال : فمن عالمهم اليوم ؟ قيل محمد بن علي ، فرحل إليه في جمع من أصحابه ، حتى أتى المدينة ، فاستأذن على أبي جعفر ( ع ) ، فقيل له هذا عبد الله بن نافع ! فقال : وما يصنع بي وهو يبرأ مني ومن آبائي ؟ ثم قال الإمام لغلامه : أخرج إليه ، وقل له إذا كان الغد فأتينا . فلما أصبح دخل عليه عبد الله في أصحابه ، وقد جمع الإمام أبناء المهاجرين والأنصار وقال : فمن كانت عنده منقبة لعلي ( ع ) الا ذكرها . فتحدث جماعة منهم بما اشتهر من فضله ومناقبه ، فلم ينكر عبد الله الأزرق شيئاً مما ذكروه . ونسب له الكفر بعد تحكيم الحكمين في صفين ، فذكر الإمام ( ع ) ومن معه حديث خيبر ، وقول النبي لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ثم استنطق الإمام خصمه فاعترف

بصدق الحديث . فقال له أبو جعفر أخبرني عن الله سبحانه ، أحب علياً يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لا يعلم ؟ وهنا أخذته الحجة من جميع نواحيه فان قال لا يعلم فقد نسب الجهل إلى الله ، وإن قال انه يعلم ، فاذا لم يستحقوا القتل كان علي مجرماً بقتالهم ، والله لا يحب المجرمين فكيف أحبه الله . فقام الخارجي من مجلسه مخصوماً . وفي توحيد الصدوق عن عبد الله بن سنان عن أبيه قال : حضرت أبا جعفر ( ع ) ، فدخل عليه رجل من الخوارج ، فقال له يا أبا جعفر أي شيء تعبد ؟ قال اعبد الله ! قال رأيته ؟ قال لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يشبهالناس ، موصوف بالآياتلا يجور فيحكم ذلك الله لا إله إلا هو . فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته . وفي توحيد الصدوق عن محمد بن مسلمقال سألت أبا جعفر ( ع ) فقلت قوله عز وجل : يا ابليس ، ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ؟ فقال (ع) اليد في كلام العرب القوة والعظمة . قال سبحانه : واذكر عبدنا داود ذا الأيدي . وقال سبحانه : والسماء بنيناها بايد ، اي بقوة . وقال : وأيدهم بروح منه ، اي قواهم . ويقال لفلان عندي ايادي كثيرة اي فواضل واحسان ، وله عندي يد بيضاء اي نعمة .

وسأله عمر بن عبيد عن قوله سبحانه : (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى)ما ذلك الغضب ؟ فقال ابو جعفر هو العقاب يا عمر ! انه من زعم ان الله عز وجل زال من شيء الى شيء ، فقد وصفه صفة المخلوقين ، ان الله لا يستفزه شيء ولا يغيره. وكثير من

الروايات في مقام المناظرة مع اهل الشبه والآراء الفاسدة . وكان يقول ما انعم الله على عبد نعمة فشكرها الا استوجب المزيد قبل ان يظهر شكره على لسانه، وقال ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر الا نقص من عقله مثل ما دخل او اكثر ، وقال والله لموت عالم احب الى ابليس من موت سبعين عابداً ، وروي عنه بعض اصحابه فقال : قال لنا محمد بن علي: أيدخل احدكم يده جيب صاحبه فيأخذ منها ما يريد ؟ قلنا لا يا ابن رسول الله ! فقال اذهبوا فلستم اخواننا كما تزعمون .

وكان لايمل من مجالسة الإخوان ويقول : بئس الأخ اخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً . ولقد نص على امامته ابوه علي ابن الحسين (ع) بحضور نفر من خلص الشيعة ، كما ذكر في الكافي وغيره من كتب الحديث . وانتقل الى جوار ربه وهو ابن سبع وخمسين سنة في ايام هشام ، وقيل في ايام يزيد ابن عبد الملك سنة ١١٤ وقيل غير ذلك ، ودفن في البقيع مع ابيه وعمه الحسن وجدته الصديقة عليهم السلام .

# جعفر الصادق

## الامام السادس من أئمة الشيعة

جعفر بن محمد الملقب بالصادق ، ولد سنة ثلاث وثمانين للهجرة ، وانتقل الى ربه سنة مائة وثمان واربعين ، فمدة امامته خمس وثلاثون سنة ، او اقل من ذلك حسب اختلاف الروايات . في سنة وفاته وولادته . وعاش مع ابيه الباقر وجده زين العابدين اكثر من ثلاثين سنة ، قضى شطراً منها مع جده وابيه الباقر ، في بيت لاعهد له الا بالمصائب والمحن والنوازل ، جديد عهد بمأساة الدهر وكارثة الأيام والليالي فاجعة كربلا ، وفي صباه شاهد كارثة عمه زيد وولده يحيى ، وسمع انين المظلومين من شيعة آبائه الأطهار وعويل الأيتام ، فاستقبل في طفولته النكبات والأصوات المتعالية من الظلم والجور والتنكيل بالصلحاء من عباد الله .

وعاش مع ابيه زمناً ليس بالقصير ، يلقنه فيه علوم الدين وشؤون الدنيا ، حتى بلغ فوق ما تبلغه طاقة الانسان . واجمع المؤرخون على انه كان اعلم اهل زمانه واورعهم وانصحهم لله ولأمة جده رسول الله ، وملأت آثاره دنيا العرب والإسلام .

قال الشهرستاني : وابو عبد الله الصادق ذو علم غزير في الدين وادب كامل في الحكمة ، وزهد في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع احداً في الخلافة ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شطط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط ، ومن أنس بالله استوحش من الناس . الى ان قال : وبرىء من القول بالرجعة والبداء والتناسخ والغلو والحلول والتشبيه ولا يحتاج الإمام الصادق الى قول كاتب ، او عالم او مؤرخ ، فهو غني عن كل ذلك ، وفي سيرته الطيبة وجهاده المتواصل في سبيل نشر رسالة الاسلام خير شاهد على ما ندعيه ، وكل أئمة الشيعة هم الصفوة من الناس ، والخيرة من البشر ، لم تعثر بهم قدم ، ولا وجد لهم اخصامهم ما يشين ، بالرغم من حرصهم على ذلك وعدائهم السافر . ولكن الظروف التي تهيأت للامام الصادق لم تتهيأ لغيره ، فمنذ بزغ فجره ، وابتدأ بنشر رسالته ، بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الأموية ، واشتعلت فيها الفتن ، فاستغل اخصامهم هذه الظروف ، فأعلنت الثورة على حساب العلويين ، تضليلا للرأي العام الإسلامي الذي كان يتحرق لما نزل باهل هذا البيت من الكوارث والنوائب .

في هذا الظرف وجد الامام بين الأمويين وأخصامهم ، وكلاهما في امس الحاجة الى سكوته ورضاه . فالحزب الأموي قد احس بنتيجة ما سلف منهم مع آبائه ، والحزب الآخر قد اتخذ من حادثة الطف وما تلاها من الحوادث على هذا البيت ، سلاحاً

امضى من السيف لتكتل المسلمين ضد العهد الأموي الجائر ، ففي اواخر ايام تلك الدولة وأوائل ايام الدولة الجديدة استطاع الإمام الصادق ان يملأ الدنيا باثاره ، ويحيي امة ما كان لها وجود في تاريخ الاسلام ، لولا جهاده المتواصل في سبيل رسالةالاسلام الاف المستمعين لتعاليمه ، واربعة الاف راوٍ لحديثه . واني اتجهت تسمع من يقول حدثني جعفر بن محمد وهكذا كان الى ان انتهى عهد السفاح العباسي ، وجاء عهد المنصور الدوانيقي ورسالته تزداد اتساعاً ، واسمه يسير في ارجاء دنيا الاسلام العريضة باسرع ما يكون من الخطى ، فخافه المنصور واستدعاه اليه مرات عديدة ، وهو حاقد عليه . ولكن لم يجد السبيل الى قتله ، لأن الملايين من المسلمين يأخذون عنه معالم الدنيا ، وكلهم يشهدون بأنه لم يفكر يوماً من ايامه بأمر الخلافة ، فماذا يعتذر اليهم ان قتله ؟ كما كان يصنع بالاقربين من اسرته الثائرين عليه . والامام لم يخلع طاعة ، ولم يفارق جماعة المسلمين ، ولا حدث نفسه بأمر الخلافة ، لذلك فان ما رواه بعض الرواة من انه مات مسموماً ، لاتؤيده النصوص القطعية ،وان امكن ان يكون ذلك . حدث صاحب التذكرة ان المنصور حج سنة سبع واربعين ، وبعد انتهاء الحج قدم مدينة الرسول ، فامر وزيره الفضل ابن الربيع ان يأتيه بجعفر بن محمد (ع) وكان حاقداً عليه ، قال الفضل فتغافلت عن ذلك ، طمعاً أن ينسى المنصور وتهدأ نفسه ، فاعاد علي القول ثانياً وثالثاً ، فلم أر بداً من ان استدعيه فلما جاءنا الإمام ، قلت له لقد ارسل اليك لأمر عظيم ، وما اظنك بناج

منه ، فلم يكن من الإمام الا ان قال : لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ثم دخل على المنصور فسلم عليه ، فلم يرد السلام ، وقابله بما شاء له الحقد والحسد والطغيان والجبروت ، وقال له : اتخذك أهل الأمصار إماماً يجبون إليك الزكاة ، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل ، قتلني الله ان لم اقتلك . فقال الامام (ع) : يا أمير المؤمنين ، ان سليمان النبي أعطي فشكر ، وان ايوب ابتلي فصبر ، وان يوسف ظُلم فغفر ، فاقتدِ بأيهم شئت! ان جواب الامام لين في المقام وهو الى الموعظة اشبه واقرب ، يريد الامام (ع) بذلك ان الله اذا انعم على عباده استحق شكرهم ، وانت في اعظم نعم الله ، وليس من الشكر التنكيل بالأبرياء على الظنة والتهمة ، واذا كنت تراني بلاء عليك فالله سبحانه اذا ابتلى عبداً من عباده لزمه الصبر لينال اجر الصابرين ، واذا ظلم العبد فالعفو اقرب للتقوى والله مع المحسنين . ولم يكن الامام (ع) في هذا الاسلوب اللين يخافه على نفسه فحسب ، وانما كان يعظه حياناً بمثل هذا الاسلوب او أشد منه خوفاً منه على شيعته وبني عمه .

فاطرق المنصور ملياً ، ثم رفع رأسه ، وأدناه اليه وطيب نفسه ، ودعا له بالخير، واجلسه على سريره ، ومسح على لحيته بالغالية ، واجازه بالأموال والهدايا النفيسة ، ثم ودعه بكل اجلال واكبار ، وهكذا كان يصنع كلما استدعاه اليه .

وذكر ابو نعيم في الحلية ان المنصور استدعى الامام الصادق اليه يوماً ، فاجلسه الى جانبه فوقع الذباب على وجه المنصور ،

ولم يزل يقع عليه حتى ضجر المنصور منه ، فقال يا ابا عبد الله وكانت كنية الأمام الصادق ، لم خلق الله الذباب ؟ فقال الصادق ليذل به انف الجبابرة ! فوجم المنصور واصابه انقباض . ويروي الرواة ان المنصور استدعاه اليه يوماً فعاتبه على قطيعته له ، لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟فاجاب (ع) ليس لنامن امر الدنيا مانخافك عليه ! ولا عندك من امر الآخرة ، ما نرجوه منك ، ولا انت في نعمة نهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك .

فقال المنصور : « تصحبنا لتصلحنا ! »فقال له الإمام: «ان من يريد الدنيا لاينصحك ، ومن يريد الآخرة لا يصحبك » فلم يكن في عظة الإمام هذه من اللين ما كان في سابقتها. كان في عظته هذه كأنه صاعقة على اهل الباطل والظالمين ، واهل الدنيا ، وكشف له في جوابه عن ان دنياه هذه ليس لنا فيها من نصيب ، لأنها تقطع الصلة بينك وبين اهل الآخرة واوضح له في هذا الجواب بأن من يريد الآخرة لا يصحبك ، لأن ابوابها مغلقة دونك ، ولا سبيل لك اليها ، ما دام الجور سبيلك والباطل منهجك ، والحق من وراء ظهرك .

وقال لولده موسى (ع) يابني ان من مد عينه الى مال غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، ومن كشف حجاب عورة غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغي قتل فيه ، ومن احتفر لاخيه بئراً اوقعه الله فيها ، يا بني قل الحق وان كان مراً لك وعليك .

وفي مجالس المفيد عن كثير بن علقمة قال قلت لابي عبد الله (ع) اوصني ! فقال اوصيك بتقوى الله ، والورع والعبادة وطول السجود ، واداء الأمانة وصدق الحديث ، وحسن الجوار فبهذا جاءنا محمد (ص) ، صلوا في عشائركم ، وعودوا مرضاكم واحضروا جنائزكم وكونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا لنا شيناً ، حببونا الى الناس ولا تبغضونا اليهم ، جروا لنا كل مودة ، وادفعوا عنا كل شر ، فما قيل فينا من خير فنحن اهله ، وما قيل فينا من شر فوالله ما نحن كذلك ، لنا حق في كتاب الله ، وقرابة من رسول الله ، وولادة طيبة ، هكذا قولوا الى الناس .

ووعظ رجلا فقال : لا يفقدك الله حيث امرك ، ولا يجدك حيث نهاك ! فقال له الرجل زدني ! قال لا اجد .

وفي مجالس المفيد عن خيثمة قال : دخلت على ابي عبد الله اودعه ، وانا اريد الشخوص الى المدينة ، فقال : ابلغ موالينا السلام ، واوصهم بتقوى الله والعمل الصالح ، وان يعود صحيحهم مريضهم ، وليعد غنيهم على فقيرهم وان يشهد حيهم جنازة ميتهم ، وان يتلاقوا في بيوتهم ويتفاوضوا علم الدين ، فأن في ذلك حياة لامرنا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا ، واعلمهم انه لا يغني عنهم من الله شيئاً إلا العمل الصالح ، فأن ولايتنا لاتنال الا بالورع ، وان اشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره .

وقال (ع) الاخوان ثلاثة : مواس بنفسه ، وآخر بماله ، وهما الصادقان في الإخاء . والآخر يأخذ منك البلغة ، ويريدك

لبعض اللذة ، فلا تعده من اهل الثقة .

ولست بصدد ذكر آثاره (ع) ، ولقد كتب الكتاب واكثروا في الإمام الصادق ، وقل من استطاع ان يحيط بنواحي عظمته . واخيراً ظهر كتاب للأستاذ الشيخ احمد مغنية ، استعرض الكثير من نواحيه ودرسها على ضوء المنطق ، والتجرد عن كل مايسوق الكتاب الى المغالطة ، وتشويه الحقائق باسلوب رائع وبيان يعطيك النتائج باسرع ما يكون من الانتباه .

ولقد نص على إمامته ابوه الإمام الباقر كما ذكر في الكافي وغيره ، كما نص على امامة ولده موسى بن جعفر (ع) ومات سنة ثمان واربعين ومائة ، وله من العمر خمس وستون سنة ، وامه بنت القاسم بن محمد ابن ابي بكر الخليفة الأول ، ودفن في البقيع مع جده وابيه وجدتهم فاطمة عليهم السلام .

# موسى الكاظم

## الامام السابع من ائمة الشيعة

موسى بن جعفر الملقب بالكاظم (ع) ولد بالمدينة سنة مائة وثمان وعشرين، وذكر الرواة ان الإمام جعفر، ترك من الأولاد موسى، ومحمد المعروف بالديباج لحسنه، واسحق، وعلي بن جعفر، وعبد الله الأفلح، واسماعيل واليه تنتسب الطائفة الاسماعيلية، ويحيي والعباس وغير هؤلاء من الأناث. وكانت وفاة الصادق. بعد ان مضى على خلافة المنصور عشر سنين.

وكان للامام موسى يوم ذاك من العمر عشرون سنة قضاها مع أبيه: ورافق جميع الأدوار التي مر بها والده الامام (ع) ورأى المنزلة الرفيعة التي كان يحتلها بين المسلمين، وكثرة الملتفين حوله ليأخذوا عنه معالم الدين، ومن المعلوم ان المنصور لم يكن يعجبه ان يرى رجلا في سلطانه له مثل هذا الظهور، لا سيما وانه من بيت علي (ع) صاحب الحق الشرعي، ولكنه لم يربداً من الابقاء عليه والإحتفاظ بحياته، تحت الرقابة الشديدة، والإمام يعلم ذلك، ويعلم ان الظروف التي وجد فيها الإمام، هي التي حالت بينه وبين ما كان ينويه. كذلك كان ولا بد ان يتكتم

لإمام (ع ) في امر خلفه الجديد من بعده ، فأوصى وصية عامة ظهرت لسائر الناس ، وبلغ أمرها المنصور ، ودل الخاصة من أصحابه على إمامهم الجديد لعلمه ان المنصور سيبذل قسماً من امكانيته للقضاء على ائمة هذا البيت. ويؤيد ذلك ما رواه ابو ايوب الجوزي ، قال : بعث إلي ابو جعفر المنصور في جوف الليل ، فدخلت عليه ، وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب : فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلي وهو يبكي ، وقال هذا كتاب محمد بن سليمان والي المدينة ، يخبرني ان جعفراً قد مات ، فانا لله وانا اليه راجعون ثلاثاً ، واين مثل جعفر ، ثم قال لي اكتب فكتبت صدر الكتاب ، ثم قال اكتب ان كان اوصى الى رجل بعينه فقدمه وأضرب عنقه ، فيرجع الجواب اليه انه اوصى الى خمسة احدهم ابو جعفر المنصور ، ومحمد بن سليمان وعبد الله وحميد وموسى ، فقال المنصور ليس الى قتل هؤلاء سبيل .

تدل هذه الرواية على النوايا السيئة التي اضمرها المنصور لخليفة الإمام الصادق (ع) وانه سيتبع خلفه ويضيق عليه ، لئلا يكون له من الصيت الواسع ما كان لأبيه من قبل . وهذا أمر لمسه الإمام الصادق ولذا ادخل المنصور وحاكم المدينة في وصيته ، وارشد الخواص من اصحابه الى الامام موسى كما اودع علم ذلك عند البعض من بنيه كعلي بن جعفر واخيه اسحق ، وكلاهما يرويان عن اخيهما موسى (ع ) وما ينسب اليهما بعد من القسم الصحيح .

وفي الارشاد للمفيد عن المفضل بن عمر ، قال كنت عند ابي عبد الله الصادق (ع ) : فدخل ابو ابراهيم ولده موسى (ع )

وهو غلام فقال ابو عبد الله استوصِ به وضع امره عند من تثق به من أصحابك .

وفي الارشاد عن عبد الرحمن بن الحجاج ، قال دخلت على جعفر بن محمد في منزله فاذا هو في مسجد له في داره وهو يدعو ، وعلى يمينه موسى بن جعفر يؤمن على دعائه ، فقلت جعلني الله فداك قد عرفت انقطاعي اليك وخدمتي لك ، فمن ولي الأمر من بعدك ؟ فقال يا عبد الرحمن ان موسى قد لبس الدرع واستوت عليه : وكثير غير هاتين الروايتين . وفي اكثرها يبدو على الامام التخوف من اعلان هذا الأمر ، ومن هنا نعرف السبب في انتشار المذاهب في تلك الفترة .

فالاعلان عن الإمام الجديد لم يكن عاماً ، وأولاد الإمام الصادق كثيرون ، والشيعة ينتظرون خليفة الإمام ليأخذوا عنه معالم الدين ، والإمام (ع) لم يرشد الناس الى خليفته موسى بشكل يرفع الالتباس ويقطع امل اهل الأطماع ، وإنما ارشد اليه الخواص من شيعته وبنيه ، وأوصاهم بالتكتم الشديد . فكان من المنتظر في مثل هذه الأحوال ان يرجع الشيعة لكل من يدعي الأمر من اولاد الإمام الصادق وفيهم من له البروز والظهور ، فرجع جماعة الى عبدالله الأفطح ، وآخرون الى اسماعيل ، وبلغ من تشتت امر الشيعة ان افترقوا خمس فرق ، كما ذكر ذلك النوبختي في كتابه فرق الشيعة .

ولكن القائلين بامامة موسى (ع) هم خلص الشيعة واعيانهم وذوي البصائر والدرجات الرفيعة منهم ، وأهل العلوم والفقه والنظر ، ورجع إلى مقالتهم الكثير من الشيعة ممن كان قد رجع الى اخويه عبد

الله واسماعيل كما ذكر النوبختي في كتابه .

تدلنا الحوادث والروايات ان حياة الائمة (ع) كانت بلون واحد ، آلام ومصائب ، فلا دلال في طفولة كما تشاء الطفولة ؛ ولا نعيم في عيش ، ولا راحة في شيخوخة .

استقبل الأمام موسى إمامته خائفاً هو وشيعته العارفين بأمره وبقية الشيعة من اصحاب ابيه ينشدون الحق ويطلبون إمامهم فلا يصلون اليه ولا يستطيع ان يدلهم على نفسه خوفاً من اولئك الطغاة الجبارين .

روى المفيد في ارشاده عن هشام بن سالم : قال : كنا بالمدينة بعد وفاة ابي عبد الله (ع) انا ومحمد ابن النعمان صاحب الطاق ، والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر ، انه صاحب الأمر بعد أبيه ، فدخلنا عليه والناس عنده ، فسألناه عن الزكاة في كم تجب ، فقال في مائتي درهم خمسة دراهم . فقلنا له ففي مائة ! قال درهمان ونصف ، قلنا والله ما تقول المرجئة هذا ! فقال والله ما أدري ما تقول المرجئة . قال فخرجنا ضلالا ما ندري الى اين نتوجه ، والى من نقصد فنحن كذلك إذ رأيت رجلا شيخاً لا اعرفه يومي الي بيده ، فخفت ان يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور ، وكان له بالمدينة جواسيس ، ليعرف على من يجتمع اليه الناس ، فيؤخذ وتضرب عنقه . فخفت ان يكون ذاك منهم ، فقلت للأحول تنحَّ فاني خائف على نفسي وعليك ، وانما يريدني ليس يريدك ، فتنحى الاحول عني بعيداً ، وتبعت الشيخ وقد ظننت اني لا اقدر

على التخلص منه . فما زلت اتبعه ، وقد عزمت على الموت ، حتى ورد بي باب ابي الحسن موسى ، ثم خلاني ومضى ، فاذا خادم على الباب فقال لي ادخل رحمك الله ، فدخلت فاذا ابو الحسن موسى (ع) ومضى الراوي في روايته الى ان قال فقلت افأنت الإمام بعد أبيك ؟ قال لا اقول ذلك ! فقلت في نفسي لم أصب طريق المسألة ، ثم قلت له أعليك امام ؟ قال لا ! قال فدخلني شيء لا يعلمه الا الله عظاماً وهيبة ؛ ثم قال اسألك كما كنت اسأل أباك ، قال سل ولا تذع فأن أذعت فهو الذبح ، وبعد ان سأله عما يريد قال له ان شيعة أبيك ضُلال ، فالق اليهم هذا الأمر وادعهم اليك ، فقد اخذت علي الكتمان . قال من انست منهم رشداً فالق اليهم وخذ عليهم الكتمان .

فمن هذه الرواية نعرف مقدار اهتمام المنصور ليتعرف على خليفة الإمام الصادق ، ونعرف ما للصادق من العظمة التي حالت بين المنصور وبين الفتك به. ومن يحمل مثل هذه النوايا على خلفه ويملك البلاد للتجسس عليه يحمل مثلها على الامام الصادق ، ويمكن ان تكون هذه الظاهرة منه من آثار ما كان في نفسه على أبيه .

ومهما يكن الحال ، فقد عاش بقية ايام المنصور وموسى الهادي والمهدي العباسيين الى ان كانت خلافة هارون الرشيد . ومضى في هذه المدة ينشر رسالته ويجتمع عليه رواة الشيعة ممن كان مع أبيه وغيرهم . وفي أيام الرشيد ظهر من امره ما كان يخفى من قبل ، فانتشر صيته واتسع امره وكثر الرواة عنه وناظر اهل العقائد

الفاسدة في اصول الدين وفروعه ، وكاد ان يتم له ما كان لأبيه فوشى به ابن أخيه علي بن اسماعيل الى الرشيد فحبسه في البصرة وبغداد .

وكان يقول في دعائه اللهم انك تعلم اني كنت اسألك ان تفرغني لعبادتك وقد فعلت فلك الحمد على ذلك ، وانقطع (ع) الى عبادة ربه ، وأخيراً دس اليه الرشيد السم بواسطة امير الحبس السندي ابن شاهك .

وكانت وفاته سنة مائة وثمانية وثمانين ، وله من العمر خمس خمسون سنة ، وقيل اكثر من ذلك ودفن في مقابر قريش حيث مشهده الآن .

# عليّ الرّضا

## الامام الثامن من أئمة الشيعة

علي بن موسى الرضا (ع) وذكر المسعودي في مروج الذهب ان الامام موسى (ع) قضى سنة ست وثمانين بعد المائة ، وكان قد مضى على خلافة الرشيد اربع عشرة سنة او أكثر من ذلك ، وان امامة الرضا بعد ابيه عشرون سنة وسنه يوم وفاته خمس وخمسون سنة كما روى ذلك المفيد .

عاش مع ابيه خمساً وثلاثين سنة ، القسم الوافر منها كان في خلافة هارون والإمام موسى (ع) في حبسه بين البصرة وبغداد مكبوت المشاعر لا يستطيع أن يجهر بالحق ويقوم باداء رسالته يبرز للناس كخلف يكون في المستقبل القريب بعد أبيه ، وظل في تلك المدة تحت غطاء من الأحزان والألم ، لم تثر له ثائرة ولم يجهر بالخلاف على احد من الحكام ، تجتمع اليه الحفنة بعد الحفنة من اصحاب ابيه ، تحت ستار من التقية ، ويشاهد ما يحز من نفسه الألم : مصارع الأقربين من بني عمه وآل أبي طالب ، والشك يعترض الكثير من شيعة آبائه فيرجع الى غير الامام الشرعي ، والحكام واعوانهم البرامكة يضللون الرأي العام الشيعي في أمر

الامام موسى (ع) ليرجعوا عن امامته ، والامام الرضا يشاهد كل ذلك ولكنه لا يملك ان يفصح عما في نفسه ليسترشد به الضال ويهتدي اليه الحائر فليلتزم جانب الهدوء والتستر خوفاً من سلطان الرشيد ، فما اشبه ايامه هذه بأيام من تقدمه من آبائه ، تاريخ يشبه بعضه بعضاً ، وسلسلة من الكوارث يتصل طرف منها بعلي (ع) وطرفها الآخر بآخر أئمة هذا البيت . وهكذا بقي الامام الثامن الى ان كانت فاجعة ابيه وهو على اكتاف اربعة من الحمالين من السجن الى الشوارع التي تحتشد فيها المارة الى الجسر الذي يربط كلي من طرفي المدينة بالآخر ، والحمالون ينادون بموته حتى لا يبقى لأحد من الشيعة المتسترين أمل في حياة امامهم وخروجه من سجنه .

وعاش الإمام بعد ابيه عشرين سنة ، قضى شطراً منها فيما بقي من ايام الرشيد ، وهو الإمام بعد ابيه ، وضل كثير من الشيعة في آرائهم ، وكثرت المذاهب وتعددت الفرق ، فبين من رجع في الامامة الى غيره من اخوته ، وبين من قال بأن الامام غائب وسيظهر بعد حين الى الناس ، وفرقة من الشيعة قالت بامامته وهم الخواص الذين سمعوا من ابيه النص عليه ، وبدأ اصحابه يتصلون به ويدعون الشيعة الى امامته فرجع اليه جماعة من الشيعة وظهر أمره بين أصحاب ابيه ، وقام بأداء رسالته ، ينشر تعاليم الاسلام ويناضل اهل الشبه والعقائد الفاسدة على خوف ووجل شديدين ، وعاش السنين الثمانية بعد إمامته حتى تقلص ظل الرشيد ، وكانت ايام ولديه وما وقع فيها من احداث ادت الى خلافة المأمون العباسي .

وفي هذا الظرف تهيأ له الجو المناسب لأداء رسالته كما يريد ، وقد جاء المأمون في هذه الدولة كما جاء قبله عمر بن عبد العزيز في ايام بني امية ، ولم يكن المأمون في سيرته يشبه احداً ممن تقدمه من البيت العباسي ، الذي أنسى الناس ظلم الأمويين ، وأصبح يجري على كل لسان قول القائل :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

فعلي عنده افضل الخلق بعد الرسول ، وابناؤه الصفوة من بعده لهم حق في كتاب الله ، وقرابة من رسول الله ، وولادة طيبة ، ولقد صاهر علياً « ع » وولده محمداً بعد موت ابيه الرضا « ع » وكان يدعو الناس اليه ويجتمع اليه العلماء للمناظرة ، فانبسط التشيع في ايامه ورجع الى إمامة الرضا اكثر الضالين بعد وفاة أبيه وجده « ع » ، وامتدت جذور التشيع الى اعضاء الدولة فكان الفضل بن سهل وزير المأمون شيعياً وقائده طاهر ابن الحسين يميل الى التشيع ، وغيرهما كثير من أعيان الدولة . وكثر الموالون لأهل البيت وحقنت دماء الشيعة ، وكان « ع » شديداً على بني عمه وأخوته الذين استغلوا لين المأمون وحسن صنيعه مع الإمام ، فوثب محمد بن ابراهيم من اولاد الحسن « ع » في الكوفة واستفحل امره ، ووثب في مكة الحسين بن الحسن الأفطح ، ولم يبق قطر إلا وفيه علوي يمني نفسه الأمارة ويمنيه الناس بالوثبة . وكان من جملة الثائرين اخوه زيد ، فظفر به المأمون وبعث به الى أخيه علي من غير ان يمسه بأذى ، فوبخه الامام ، وأنكر عليه هذا الأمر وكان مما قال له سوأة لك يا زيد ! ما انت قائل لرسول الله

اذا سفكت الدماء وأخفت السبل ، وأخذت المال من غير حله ! غرك حمقاء اهل الكوفة ! وقول رسول الله إن فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، ان هـذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين لا لي ولك ، والله ما نالوا ذلك الا بطاعة الله ، فان اردت ان تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله انك اذن لأكرم على الله منهم .

ويروي بعض الرواة ان المأمون لما رأى الامام يعظم في اعين الناس ، والشيعة يزدادون انتشاراً واتساعاً ، حتى دب التشيع في اركان الدولة ، أحس ان الخطر قد أحدق به ان هو مضى مع الرضا كما كان ، ورأى في الوقت نفسه ان الأقربين اليه من اسرته قداعلنوا التمردوالعصيان عليه مخافة ان ينتقل الأمر من ايديهم الى ولد علي ( ع ) فاستدعى الامام إلى مقر ملكه خراسان ، واظهر انه سيوليه الأمر من بعده ليكون الامام تحت رقابته في العاصمة التي اتخذها مقراً لعرشه .

فانتقل الامام اليها وكانت ولاية العهد على كره من الامام(ع) وكان موته مسموماً بعد ذلك كما تزعم هذه الطائفة من الأخبار ، وليس في التاريخ ما يؤيد هذا الرأي ، وانه استدعاه اليه نتيجة لتلك المؤثرات التي اشرنا اليها ، فيمكن وليس بالبعيد ان يكون ذلك نتيجة لحسن نواياه ، ولأنـــه عرف الحق لأهله وتنكر لسيرة الماضين من آبائه الذين امعنوا في ظلم اهل البيت قتلا وسماً وتشريداً .

وكما لم يثبت التاريخ ان المأمون كان يتصنع في تقريب الامام لم يثبت كونه مات بعنب مسموم اهداه اياه المأمون وكانت به نهايته .

وقد نص على امامته الامام موسى (ع) ودل عليه الأعيان من شيعته واوصاهم كما ذكرنا بالتكتم خوفاً عليه من الرشيد .

روى المفيد في ارشاده عن داود الرقي قال قلت لأبي ابراهيم (ع) جعلت فداك اني قد كبرت سني فخذ بيدي وانقذني من النار ، من صاحبنا بعدك ؟ قال فأشار الى ابنه ابي الحسن الرضا فقال هذا صاحبكم بعدي وفي الارشاد عن داود بن سليمان قال قلت لأبي ابراهيم اني اخاف ان يحدث حدث ولا القاك فاخبرني من الامام بعدك ؟ فقال ابني فلان يعني ابا الحسن الرضا (ع) وغيرها كثير كما ذكره في الكافي وغيره .

وكانت وفاته بطوس من ارض خراسان حيث قبره الآن يقصده الشيعة من جميع الأقطار وامه يقال لها ام البنين .

# مُحَمَّد الجَوَاد

## الامام التاسع من أئمة الشيعة

الإمام محمد بن علي الجواد ( ع ) ، قال النوبختي في كتابه فرق الشيعة : ولد محمد بن علي الجواد سنة خمس وتسعين ومائة ، أشخصه المعتصم في خلافته إلى بغداد لليلتين بقيتا من المحرم ، سنة عشرين ومايتين ، وتوفي بها في آخر ذي القعدة ، ودفن في مقبرة قريش عند جده الإمام موسى بن جعفر (ع) وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وكانت امامته سبع عشرة سنة.

قد يختلج الشك اذهان البعض من الناس في امامة هذا الشاب الذي فقد والده واستقبل في صباه أمر الإمامة ، في عصر كان الساسة فيه يبذلون قسماً من امكانياتهم للحط من مقام اهل البيت ، لانهم يرون في بيت علي وحده المنافس الوحيد لسلطانهم ولم تجتمع العناصر التي تؤهل للخلافة في بيت من بيوت المسلمين كما اجتمعت لأهل هذا البيت . نسب رفيع وجهاد في سبيل الله متواصل ، واعراض عن الدنيا ومغرياتها ، ووصية من رسول الله وعتها أجيال وأجيال ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، وعلم يتدفق كالسيل صغيرهم وكبيرهم

فيه سواء . بهذه الخصائص ملكوا القلوب ، واستولوا على الألباب رغم الصعاب التي اعترضتهم ؛ والستار الحديدي الذي بنته السلطات بينهم وبين الناس : ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره المشركون .

عناصر لم تكن إلا في بيت محمد ( ص ) ، بيت الالهام والحكمة والقرآن والمعجزة . بيت كان وحده ينافس الجبابرة وعباد الشهوات ، فلا غرابة اذا كان سليل هذا البيت ، وهو لم يتجاوز العقد الأول من عمره إماماً للشيعة بمشيئة الله ؛ كما كان عيسى حين ولادته نبياً باذن الله . لقد كان محل تفكير الاسرة الحاكمة في زمانه فسلبهم وجوده الأمن والقرار، فثارت اثرتهم على المأمون الذي احسن صحبته كما احسن لأبيه من قبل ، يريدون بذلك اقصاءه والحط من مقامه الرفيع في نفس المأمون ، مخافة ان يكون له من ولاية العهد ما كان لأبيه . محتجين عليه بالخروج على سيرة آبائه وأسلافه مع أبناء علي(ع) فرد عليهم بقوله ان ما كان يفعله آبائي مع اهل هذا البيت، فقد كانوا به قاطعين للرحم واعوذ بالله من ذلك .

والله ما ندمت على استخلاف الرضا ، ولقد سألته ان يقوم بالأمر وانزعه عن نفسي ، فأبى وكان امر الله قدراً مقدوراً ، أما ابو جعفر محمد بن علي ( ع ) فقد اخترته لبروزه على كافة اهل الفضل في علمه وفضله مع صغر سنه والأعجوبة فيه ذلك ، وانا ارجو ان يظهر للناس ما قد عرفته من فضله فيعلموا ان الرأي ما رأيت . والحت اسرة الخليفة على اقصاء الامام

الجواد (ع) واخيراً وبعد جميع محاولاتهم الفاشلة، استقر رايهم ان يجمعوا له العلماء للمناظرة أملا منهم ان يسأل فلا يجيب، وبذلك يتم لهم ما يريدون، فأجابهم المأمون الى ذلك بكل انطلاق. ومذ استقر المجلس الحافل بالعلماء واعيان الدولة ومختلف الطبقات، تقدم يحيي بن اكثم الى الإمام وسأله عمن قتل الصيد في الحرم فظن ان الجواب سيستعصي على الإمام، فاستوضح الإمام سؤاله بشكل يتضمن عشرات الأسئلة، فلم يدر كيف يجيب. ثم سأله الإمام ثانياً فوجم حائراً، فكانوا في اقتراحهم هذا قد ضاعفوا منزلة الإمام في نفس المأمون. وبقي الإمام (ع) مدة خلافة المأمون ينشر احكام الله بين عباده، ويروي للناس الفرائض والسنن، ويناضل اهل الآراء الفاسدة الى ان رجع الى امامته الكثير من الشيعة.

واتسعت سمعته في دنيا المسلمين وزوجه المأمون من ابنته، وبعد انتقال الخلافة الى المعتصم العباسي استدعاه من المدينة الى بغداد واقام بها نحواً من سنة، وانتقل الى ربه وقد نص على امامته الإمام الرضا (ع)، روى المفيد في ارشاده عن صفوان ابن يحيي قال: قلت للرضا (ع) قد كنا نسألك قبل ان يهب الله لك ابا جعفر، فكنت تقول ليهب الله لي غلاماً، وقد وهبه لك واقر عيوننا به، فلا ارانا الله يومك، فان كان كون فالى من؟ فأشار بيده الى ابي جعفر (ع) وهو قائم بين يديه، فقلت جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين، قال وما يضره من

ذلك ؟ قد قام عيسى بالحجة وهو ابن اقل من ثلاث سنين !
وفي الكافي والإرشاد والوافي روايات كثيرة عن ابيه الرضا
تنص على امامته .

# عليّ الهادي

## الامام العاشر من أئمة الشيعة

علي بن محمد الملقب بالهادي ، ولد الامام الهادي في المدينة سنة مايتين واثنتي عشرة للهجرة ، وكان له من العمر يوم توفي ابوه ثمان سنوات ، واشخصه المتوكل الى سامراء سنة ثلاث وثلاثين ، وكان له من العمر احدى وعشرين سنة. وبقي في سامرا الى اربع وخمسين ومائتين ، فيكون عمره يوم توفي اثنين وأربعين سنة اواقل من ذلك ، كما ذكر النوبختي والمفيد وغيرهما .

وقد نص على امامته ابوه قبل وفاته ، وفي الارشاد عن اسماعيل بن مهران قال : لما خرج ابو جعفر من المدينة الى بغداد في المرة الأولى ، قلت له جعلت فداك ، اني اخاف عليك من هذا الوجه ، فالى من الأمر بعدك ، فرجع إلي بوجهه ضاحكاً وقال ليس كما ظننت في هذه السنة .

فلما استدعاه المعتصم في الثانية سرت اليه فقلت له جعلت فداك ، انت خارج فالى من هذا الأمر من بعدك ؟ فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم التفت إلي فقال عند هذه تخاف علي .. الأمر بعدي الى ابني علي ، ورواه الكليني في اصول الكافي ، وقال

المفيد في ارشاده .

والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً ان اثبتناها هنا ضاق بها الكتاب . وفي اجتماع العصابة على امامة ابي الحسن (ع) وعدم من يدعيها سواه في وقته ممن يلتبس فيه الأمر ، اغنانا عن ايراد الأخبار على التفصيل . وفي فرق الشيعة للنوبختي : ان اصحاب محمد بن علي (ع) قالوا بامامة ابنه علي بن محمد فلم يزالوا على ذلك سوى نفر منهم يسير عدلوا الى القول بامامة اخيه موسى بن محمد ، ثم رفضوا امامة موسى ورجعوا الى امامة علي بن محمد الهادي (ع) ولم يزالوا على ذلك حتى كانت وفاته بسر من رأى..

فاستقبل الإمامة قبل ان يبلغ العاشرة من عمره كما استقبلها ابوه من قبل، وبقي في المدينة الى ان بلغ العشرين او اكثر منهلا عذباً لرواد العلم، وموئلا لشيعة آبائه الكرام يأخذون عنه احكام الدين ، حتى اتسعت شهرته في ايران والعراق ، وسائر البلاد الاسلامية يرجع اليه القريب منه ، ويكتب اليه البعيد عنه في مشاكلهم ، وعاش زمناً على هذه الحالة .

ورواية التذكرة تدلنا على مقدار عظمته في النفوس ، قال ان المتوكل بعد ان عرف ميل الناس اليه خاف منه ، فدعا يحيى ابن هرثمه ، وقال اذهب الى المدينة وانظر حاله واشخصه الينا ، قال يحيى فذهبت المدينة فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجاً عظيما ، ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي الهادي ، وقامت الدنيا على ساق لأنه كان كثير الاحسان الى الناس ، معرضاً عن الدنيا ، فجعلت اسكتهم وأحلف لهم اني لم اؤمر فيه بمكروه ، وانه لا

بأس عليه حتى هدأت الحالة ، وكان المتوكل معروفاً بالعداء لاهل البيت ، وبلغ به العداء كما ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٢٣٦ ، وابن جرير الطبري ، انه حرث قبر الحسين ، ومنع الشيعة من زيارته ونكل بهم وفرض عليهم الضرائب إن هم استمروا على زيارة الحسين ( ع ) .

قال ابن السكيت :

| | |
|---|---|
| تالله إن كانت أمية قد أتت | قتل ابن بنت نبيها مظلوما |
| فلقد اتته بنو ابيــه بمثله | فغدا لعمرك قبره مهدوما |
| اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا | في قتلــه فتتبعوه رميما |

وقيل ان هذه الأبيات للبسامي ، وأي كان قائلها فهي تعطينا صورة صادقة عن مبلغ ما كان يضمره خليفة المسلمين لاهل بيت النبي من العداء والنصب فلا غرابة اذا تحامل على الامام الهادي وهو معاصر له وقد يتخوف منه على سلطانه ..

والشيعة في ايامه اكثر منهم في الأدوار السالفة وكلهم قال بامامته ، وكانت الحاشية المحيطة بالمتوكل تدين بالنصب والعداء لأهل البيت ، كعلي بن الجهم ، ومحمد بن داود الهاشمي ، وابو السمط ، فزينوا له الوقيعة بالامام ، وخوفوه من كثرة الشيعة واتساع سمعته ، وما زالوا له حتى استدعاه الى سامراء سنة ثلاث وثلاثين ، فكان الامام تحت رقابته ، ومنع الناس من الاتصال به . خلا نفر من اصحابه يأتونه متسترين ، فيأخذون عنه ، ويبلغون من لا يقدر على الوصول اليه ، ويكتبون بما يأخذون

لأهل الأمصار النائية ، وفي المجلد الثاني من مروج الذهب :

ان جماعة من حاشية المتوكل سعوا بأبي الحسن علي بن محمد الى المتوكل : وقالوا له ان في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها ، فوجه اليه ليلا من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على حين غفلة ، فوجده في بيت وحده مغلق عليه ، وعليه مدرعة من الشعر ، ولا بساط في البيت الا الرمل والجص ، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجهاً الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه ، وحمل الى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديـــه والمتوكل يشرب وفي يده الكأس ...

فلما رآه اعظمه وأجلسه الى جنبه ، ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعلل بها عليه ، فناوله المتوكل الكأس الذي بيده ، فقال الامام يا أمير المؤمنين ماخامر لحمي ودمي قط ،فاعفني منه فعفاه . ثم قال له انشدني شعراً استحسنه فاعتذر الامام بقلة روايته للشعر وخصوصاً اذا كان من النوع الذي يستحسنه المتوكل في وصف الغلمان والخمر والجواري ، ولكن الجبار الح في طلبه ، فانشده الامام ( ع ) :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزمن معاقلهم فاودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود ينتقل

واستمر الإمام ينشد المتوكل شعراً من هذا النوع ، حتى

خاف عليه الحاضرون من بطشه .

لقد فشل الساعون بدسيستهم على الإمام ( ع ) ، ولم يرَ المتوكل مجالا للتنكيل به . فأراد ان يحقره في مجلس يضم حاشيته وندماءه السكارى ، فناوله كاساً كان قد اعدها لنفسه ، وهو يعلم ان الإمام يحارب الخمر كما يحارب جميع المنكرات، ويرى ان شارب الخمر كعابد الوثن ، كما روى ذلك عن آبائه واحداً بعد واحد ، عن النبي عن ربه . وبعد ان يئس منه عدل في تحديه الى لون آخر ، فاستنشده الشعر الذي يلتذ بسماعه ، ولم يكن يحسب ان الإمام سينزل عليه تلك الصواعق ، ويصفعه بتلك العظات البالغات ، ويلمسه بكلتا يديه ما يكون من امره وأمر غيره من الجبابرة العاتين ، عبيد الشهوات والأهواء ، اراد المتوكل ان يصغر من امر الإمام فأكبر في نفوس الملايين من الناس ، فصور له الإمام حالة الجبابرة والسلاطين بعد قليل من الزمن ، يسألون فلا يجيبون، فيفصح القبر عن سوء حالهم،وقبح مصيرهم . التيجان يرثها قوم آخرون،والوجوه الناعمة تعبث فيها الدود والحشرات ، والأموال تنتقل الى اعدائهم ، والقصور العالية عبرة للأجيال .

تلك عظة من عظات القرآن قصها الله على نبيه لتكون عبرة لاهل الدنيا ، صاغها الإمام شعراً ، نزولا عند رغبة المتوكل فأبكاه بها وأبكى حاشيته، وانصرف الإمام من مجلسه مشيعاً بكل حفاوة واكرام ، وما زال الامام الهادي في ايام المتوكل عرضة للأذى والإساءة ، قضى الأعوام في السجون بين حين وآخر ،

وانتقل الى ربه الكريم راضياً مرضياً في عهد المعتز العباسي سنة مائتين واربع وخمسين ، وقيل اثنين وخمسين ونص على إمامة ولده الحسن العسكري ..

# الحسن العسكري

## الامام الحادي عشر من ائمة الشيعة

الحسن بن علي الملقب بالعسكري (ع) ، قال النونختي والمفيد وغيرهما ،ان الحسن بن علي (ع) ولد سنة اثنين وثلاثين ومايتين ، وتوفي سنة ستين ومايتين ، وإذا رجعنا الى وفاة ابيه (ع) سنة اربع وخمسين ، تكون امامته ست سنين ، ولعل السبب فيما غلب عليه من اللقب ، هو ان الدار التي كان يسكنها مع ابيه في سرمن رأى تقع في محلة اسمها العسكر .

عاش مع ابيه اثنين وعشرين سنة ، كان القسم الوافر منها في سامراء مع المتوكل والمعتز العباسيين ولحقه من الأذى ما لحق بأبيه في جوار المتوكل ، وبعد وفاة ابيه قام بأعباء الإمامة ،وقال بامامته اكثر الشيعة ورجع اليه عامتهم سوى نفر يسير قالوا بامامة اخيه جعفراً ، المعروف عند الشيعة بالكذاب ، ويصفه التاريخ بالاستهتار في دينه ، وكانت دعايته عن طريق السلطة الحاكمة في زمانه . ومع ذلك لم يرجع اليه ولا اطمأن به احد من الشيعة سوى من ذكرنا ، وفي الارشاد عن الحسن بن محمد ومحمد بن يحيي وغيرهما قالوا : جرى في مجلس احمد بن عبيد الله ابن

الخاقان يوماً ذكر العلوية ومذهبهم ، وكان احمد بن عبيد الله شديد التعصب والإنحراف عن اهل البيت ، فقال ما رأيت وما عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد في هديه وسكونه ونبله وكبرته عند اهل بيته ، وبني هاشم كافة وتقديمهم اياه على ذوي السن والخطر ، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس، ثم ذكر حديثاً طويلا حكاه احمد بن عبيد الله عن ابيه ، استعرض فيه ما كان لأبي محمد العسكري من مكانة عالية عند العلماء والوزراء وجميع الطبقات .
واستعرض ايضاً ما كان عليه أخوه جعفر من الفسق والخلاعة، وذكر في الحديث نفسه ما كان يبذله جعفر لحاشية الخليفة من الأموال العظيمة وكيف كان يتملق للسلطان ، كي يحمل الشيعة على القول بامامته . وأن أبا عبيد الله قال له يوماً وقد جاء يستعين به على الدعاية له : يا أحمق ! ان السلطان جرد سيفه في الذين زعموا ان أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يتهيأ له ، فان كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك الى السلطان وغيره ، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بالسلطان وغيره ، والحديث طويل نقلنا منه اليسير لبيان ما كان للإمام (ع) عند جميع الطبقات من المنزلة الرفيعة ، ولأجل ذلك كان تحت الرقابة الشديدة وحالوا بينه وبين الاتصال بشيعة آبائه ، ومع كل هذه المحاولات التي كانت تقوم بها السلطة كان التشيع في عصره قد اتسع وامتد الى اكثر المدن والعواصم ، وكانت مدينة قم في عهده وعهد ابيه من العواصم الشيعية الكبرى ، وفي

سامراء وبغداد والمدائن والكوفة وغيرها عدد كبير من الشيعة ، يشكل مجموعة تتجاوز الملايين من الشيعة الإمامية وكانوا على اتصال دائم بالإمام العسكري. وقد نص على امامته ابوه قبل وفاته . روى في اصول الكافي عن علي بن عمر النوفلي ، قال : كنت مع أبي الحسن في صحن داره فمر بنا محمد ابنه ، فقلت له جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك ؟ فقال لا ! صاحبكم بعدي الحسن . وفي الكافي عن علي بن مهزيار قال : قلت لأبي الحسن (ع) اذا كان كون واعوذ بالله فالى من ؟ قال عهدي الى الأكبر من ولدي ! وكان الحسن اكبر ولده . والأخبار في اصول الكافي وغيره كثيرة ، وكلها تفيد بصراحة تامة ان الإمام بعد علي ابي الحسن الهادي ولده الحسن العسكري (ع) وقد انتقل الى ربه في خلافة المعتمد العباسي سنة ستين ومايتين ودفن مع ابيه في سرمن رأى .

# المهدي محمد بن الحسن

## الامام الثاني عشر من ائمة الشيعة

محمد بن الحسن الملقب بالمهدي ، ولد في النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومايتين وعاش مع ابيه خمس سنين ، وقد أخفى ابوه امره إلا عن نفر يسير من خاصته ، ولذا لم يكن العامة يعرفون ان له ولداً ، وافترق الشيعة بعده فرقاً كثيرة والسلطة الحاكمة يوم ذاك هاجمت دار ابي محمد الحسن (ع) ووضعت عليه الرقابة وفتشته تفتيشاً دقيقاً للقبض على خليفته الجديد ، وأخيراً أصدرت المراسيم بان إمام الشيعة قد مات ولا خلف له، انحصر ارثه بنظر السلطة الحاكمة باخيه جعفر ، وهو صنيعة الحكام، وحاولت السلطة إرجاع الشيعة إلى إمامته ليتم لها القضاء على عقيدة التشيع لاهل البيت، ولكن الخواص من الشيعة الذين سمعوا النص عليه من ابيه وشاهدوه باعينهم بين يدي ابيه في خلواته ، ظلوا متمسكين بولائه وعملوا تحت ستار من التقية لارجاع الشيعة اليه . وساعدهم ما هو المعروف عن أئمة الشيعة من امامة الثاني عشر ، وانه ابن الإمام العسكري . ولم تتوفر شروط الإمامة في جعفر بن علي المستهتر الخليع صنيعة الحكام

في عصره . لهذا ولما هو المعروف من اصول الشيعة المأخوذة عن النبي ( ص ) والأئمة من بعده ، ان الإمام المعصوم الحافظ للشريعة لا بد من وجوده في كل عصر ولا تخلو منه الأرض ، وانه خاتمة خلفاء النبي الاثني عشر كما روي ذلك بالطرق الصحيحة ، لجميع هذه الاعتبارات بقي العدد الأكبر من الشيعة متمسكاً بهذه الفكرة ، حتى رجع جمهورهم إليها وقالوا بامامته ، وبامامته تنتهي سلسلة الخلفاء الاثني عشر من ذرية النبي كما نص على ذلك مرات عديدة .

وقد اصبح اسم الشيعة الإمامية مختصاً بمن قال بامامتهم على الترتيب الذي ذكرناه . فمن زاد واحداً او نقص لا يصدق عليه هذا الاسم .

كما وان الفرق التي كانت تفرضها السياسة ، والضغط الشديد على الأئمة حتى اضطرهم الى التستر وأدى تسترهم الى رجوع ضعفاء الشيعة الى غير الامام الشرعي لا يدخلون في اسم الشيعة اليوم وإذا تحدثنا عن عقائد الشيعة او تحدث غيرنا عن ذلك فانما يراد الشيعة الإمامية .

وأعداء الشيعة قد كانوا ولم يزالوا يدسون على الشيعة بسبب ما يرونه من الشذوذ في معتقدات الفرق التي كانت تدين بولاء اهل البيت وانتحلت لنفسها مذهباً لا يتفق مع قواعد الاسلام ، ولم يكتفوا بذلك حتى اتخذوا من عقيدة الشيعة بامامة الثاني عشر سلاحاً يطعنون به عقيدة الامامية ، مع أن حديث المهدي ليس من مختصات الإمامية وانما هو متواتر عند جميع فرق المسلمين ودونها طوائف كثيرة من ائمة نقلة الحديث

ودونها الكثير في كتبهم حتى اصبحت عقيـدة لطوائف من المسلمين من ايام محمد ابن الحنفية الى زمن متأخر عن الامام الثاني عشر كما يظهر ذلك من الكتب التي عنت بالفرق الاسلامية.

وان من رجع الى عقيده الشيعة في الامامة ، وكيف انتهت الى الثاني عشر لوجد ما يكفي لرد هـذا العدوان ، ان النبي الكريم الذي لا ينطق عن هوى في نفسه ولا يقول الا ما يوحى اليه من ربه ، نص على الأئمة الاثني عشر بأحاديث كثيرة بعضها صريح فيما تدعيه الامامية ، وبعضها الآخر وان كان مطلقاً ، إلا انه لا ينطبق إلا على مـا يقول به الشيعة . والمتتبع يرى ارتباكاً شديداً من شراح السنة في الخلفاء الاثني عشر المعنيين بهـذه الأحاديث ، لو قلنا بعدم إرادة الأئمة من الخلفاء ، وهل يساعدنا المنطق السليم على تفسير خلفائه الاثني عشر بخلفاء بني أمية وفيهم يزيد بن معاويه ، والوليد الذي جعل القرآن غرضاً لنبـاله ، وامثال هذين ممن يشهد التاريخ باستهتاره وخروجه على مبادىء الاسلام ومقدساته ، ومهما يكن الحال فالشيعة على اصولهم في الخلافة الإسلامية مرتاحون من كل هذه الاعتبارات .

انهم يقولون بعصمة الأوصياء والأنبياء ، والقرآن الكريم يقول : ( ما اتاكم الرسول فخذوه ) وقد نص الرسول على الأئمة بعددهم واسمائهم كما اوحي اليه من ربه ، ونص كل واحد منهم على إمامة من يليه . فمن النصوص الخاصة على إمامته ما رواه الصدوق وغيره عن ابي هاشم الجعفري ، قال : قلت لأبي محمد (ع) جلالتك تمنعني من مسألتك فتأذن لي ان اسألك .

فقال: سل . قلت سيدي هل لك ولد ؟ فقال نعم ! قال فان حدث بك حدث فأين اسأل عنه قال بالمدينة ! وفي الكافي عن عمر الأهوازي ، قال أراني ابو محمد ابنه وقال هذا صاحبكم بعدي .

وذكر الشيخ الطوسي في كتابه المسمى بالغيبة ، المئات من الأحاديث الصريحة بامامته وتجد في غير الكتاب المذكور الروايات الكثيرة التي تنص على ان الإمام الثاني عشر هو محمد ابن الحسن العسكري : وانه هو المهدي الذي عنته احاديث المهدي المتواترة.

وكما نصت الروايات عن النبي وأوصيائه الأحد عشر على امامته بعد ابيه كذلك نصت على حياته الطويلة وخروجه في الظرف المناسب ، ليميت الباطل ويحيي الحق ، وتلك آية من آيات الله وقع نظيرها من قبل كما حكى الله سبحانه من امر نوح وانه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ولقد كذّب الله سبحانه اليهود فيما ادعوه من صلب المسيح، فقال : ( وما قتلوه وما صلبوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما ) ( وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بهٔ قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) فموته لم يقع بمقتضى هذه الآية ، ولم يقتل بمقتضى الآية السابقة. وقوله سبحانه ( أني متوفيك ورافعك الي ) لا يراد من الوفاة هنا الموت وعلى تقديره فلا ظهور فيها على انه وقع ، فلعله سيقع فيما بعد ذلك ، والعطف بالواو لا يفيد الترتيب . ولو اغمضنا النظر عن حياة عيسى ، ففيما حكاه الله سبحانه من قصة نوح مع قومه خير شاهد على وقوع ما يخالف المألوف من حياة الانسان . وليس في طبيعة الانسان ما يمنع من طول حياته ، وفي

الأحاديث والتاريخ قصص للمعمرين ذكرها اكثر المؤرخين ، واعتمدها الكثير من الأعلام في كتبهم .

منهم لقمان بن عاد وقد عاش ما يزيد على خمسماية سنة على اقل التقادير ، وادرك سبعة أنسر في حياته واسم آخرها ( لبد ) وفي المثل السائر ( طال الأمد على لبد ) وقال فيه الأعشى :

لنفسك إذ تختار سبعة أنسر اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
وقال لأدناهن اذ حل ريشه هلكت واهلكت ابن عاد وما تدري

وذكر الرواة ان قس بن ساعدة الأيادي عاش سبعماية سنة وقيل اقل من ذلك وكثير غير هذين عاش بين الثلاثمائة والأربع منهم عمر بن ربيعة بن كعب المعروف بالمستوغر .

قال اصحاب الأنساب انه عاش ثلاثمائة وعشرين سنة ؛ وقاربت وفاته ظهور الاسلام . وهو القائل :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي الا كما قد فاتنا يومٌ يَكرّ وليلة تحدونا

وينقل له التاريخ قصصاً كثيرة .

ومنهم زهير بن حبّاب او خبّاب عاش مائتين وعشرين سنة وهو من الشعراء ، ذكره المرتضى في أماليه . ومنهم ذو الاصبع العدواني وهو حرثان بن حرث ؛ عاش ثلاثمائة ، وقيل اقل من ذلك وهو القائل :

لا يبعدن عهد الشباب ولا لذاته ونباته النضر

ومنهم الربيع بن ضبع الفزاري ، ولقد قال عن نفسه انه

عاش مائتين في فترة عيسى ، واكثر من مائة في الجاهلية ، وقد ادرك عبد الملك ابن مروان وانشده :

اذا عاش الفتى مائتين عاماً    فقد ذهب اللذاذة والفتاءُ

وقد دون له التاريخ حديثاً طويلا مع عبد الملك يوم دخل عليــه .

ومنهم حنظلة ابن الشرقي عاش مأتي سنة .

وهو القائل :

احنتني حانيات الدهر حتى    كأني خاتل يدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني    ولست مقيداً اني بقيد

ومنهم عبد المسيح بن بقيلة الغساني، عاش اكثر من ثلاثمائة وخمسين عاماً ، وذكر التاريخ غير هؤلاء ، وحديث الدجال مثبت في صحاح اخواننا المسلمين ، وللخضر احاديث كثيرة تنص على حياته مشهورة بين المسلمين ، وبعد هذا لا يبقى مجال للشك في ان الانسان قد يعيش المئات من الاعوام ، وإن كان ذلك شذوذاً بالنظر الى غالب افراد الانسان .

والشيعة لا يقولون بأن حياته الطويلة على وفق المألوف من حياة البشر ، وإنما يرون ذلك لأمر اقتضته مشيئة الله سبحانه واحتجابه لا يمنع من إمامته بعد ان كان لمصلحة تقتضيه ، كما قد يحتجب النبي عن قومه خوفاً منهم على حياته ، كما وقع ذلك بالنسبة الى موسى ويونس ومحمد ( ص ) ولا يتفاوت الحال في طول المدة وقصرها ، فكما يكون الاحتجاب في مدة قصيرة لمصلحة تقتضيه ، كذلك قد تقتضي المصلحة غيبة اكبر وأطول

والمسؤولية في ذلك تقع على عاتق الأمة التي اضطرته لهذا الإحتجاب ، كما اضطرت آباءه من قبل للتستر في دعوتهم وعدم الإعلان بها في كثير من الأوقات. ولقد كانت الأمم السابقة تقتل الأنبياء وتشردهم ، ولا يضر ذلك في نبوتهم وصدق دعوتهم.

ولا اريد ان اتبسط في الموضوع فالمجال اوسع من ذلك ، والشيعة حوله ليست وليدة العصر الحاضر ، بل تساير حياته الشريفة ، وعلماء الشيعة المنتشرون في اقطار الدنيا الواسعة ما زالوا يكتبون ويدفعون شبه اهل الباطل بالبراهين والأخبار الصحيحة من التاريخ الذي وجد فيه واحتجب عن الناس ، ولو اردنا ان نحصي ما كتبه علماء الشيعة حول هذا الموضوع ، لتجاوز العشرات من الكتب.

# عقيدة الشيعة في الأئمة الاثني عشر

ان الشيعة الإمامية يرون ان الامامة بما لها من صلاحيات واسعة من الضرورات التي تقتضيها الحياة حفظاً للنظام ، وتطبيقاً للعدل العام . وقد كانت النبوة قبل ان تكون الإمامة ، فكانت السلطة للدين ، والأعمال تقاس بميزان العقيدة ، وجاء القرآن الكريم يهدف الى ذلك بجميع مواده وفصوله ، معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مستمر بلون واحد يستمده من وحي السماء لا من تفكيره واختباراته .

وما ثبت للإمام من بعده هو عين ما كان للنبي ، فلا بد وان يكون عالماً بخفايا تلك الشريعة محيطاً بمحتويات ذلك النظام إحاطة كاملة لا عن طريق الاجتهاد الناشئ عن التفكير والاستنتاج لان ذلك لا يمنع الخطأ في كثير من الأحيان .

فلا بد وان يكون عالماً ، ولا أقول بضرورة كونه عن طريق الالهام ، وان جاز على اصحاب النفوس الصافية المجردة عن المادة ان يدركوا الواقع احياناً ، وإنما اقول ان الرئيس الثاني يأخذ العلم من الأول ولا نصيب لكليهما في امر الغيب ، وهو من مختصاته سبحانه ، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً

إلا من ارتضى من رسول . فالرسول لا يعلم إلا ما علمه اياه ربه : ( قل انما انا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ) ولقد قال (ص) مالي ولهم يسألوني عما لا أعلم ، وانما انا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي ، فلقد اودع فيه الله قوة كاملة تؤهله ان يكون اميناً على وحيه وحافظاً لأمانته ، والإمام الذي يخلفه بعد ان تثبت ان امر تعيينه لا يرجع الى الأمة ، لا بد وان يكون عنده ما يؤهله للقيام بالمهمة التي القيت على عاتقه ويعينه على إدائها ولا يكون ذلك عن طريق الوحي ، لأنه من مختصات الأنبياء ، فلا بد وان يكون عن طريق تعليم النبي له ، فالنبي الكريم بعد ان اوحي اليه امر المختار للامامة اعده لهذه المهمة اعداداً كاملا ، وافاض عليه ما اوحاه ربه حتّى ملك شعاب نفسه وجوانب روحه لينقطع العذر ، ويزول الريب من نفوس المرتابين ، ولزمته ملكة العصمة الحاصلة من سيطرة العقل على جميع القوى الموجودة في الإنسان ليمتنع عن ارتكاب الجرائم ويرتفع عن الوقوع في الخطأ ؛ ليسهل التصديق به وليستظهر على جميع الصعاب ، ويبلغ للناس عهد الله كاملا لا نقصان فيه ولا زيادة .

فنسبته علم الغيب لغير الله ؛ تكذيب لنصوص القرآن ، ومخالفة لصريح آياته ، والذي ندعيه وندين به هو ان النبي (ص) علمه الله سبحانه بطريق الوحي تارة والالهام اخرى ما يتعلق بامور الدين ، وشيئاً مما يتعلق بامور الدنيا ، ولقد قال (ص) لا علم لي الا ما علمني ربي . ولقد كان يسأل أحياناً عن بعض

اسرار الكون فلا يجيب ، وينتظر امر الوحي فيما سئل عنه ، وما عند الإمام من معلومات تتعلق بامور الدين وبعض الشؤون الاخرى ، كانت عن طريق النبي لا غير ، وقد كاشفه بعض الحوادث التي مرت عليه في حياته واخبر عنها الإمام (ع) قبل وقوعها بعشرات السنين ، كما اخبر بقتله وقتل ولديه وما جرى عليهما ، وقيام الدولتين الأموية والعباسية ، وجرائم الحجاج الثقفي واخباره عن التتر والزنج ؛ وفي شرح النهج للمعتزلي فصول حول هذه المواضيع ، وذكرها غيره من المؤرخين كاليعقوبي وغيره. وهذا لا يعني انه يعلم ما وراء المستقبل ، انما هو عن طريق وحي الله الى رسوله .

ولقد ورد في بعض الروايات ان الإمام الصادق وغيره كانوا يعرفون ضمائر بعض الأفراد ويخبرون بما في النفوس ، والشيعة لا تمنع من ذلك ، ولا تراه مستحيلا ، لجواز كونه عن طريق الفراسة وصفاء النفس ، او عن طريق الإلهام من الله سبحانه ، وليس الإلهام من مختصات الانبياء ، فقد حكى القرآن الكريم ما كان من قصة ام موسى ، لما اشتد فرعون في طلب الحوامل : (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) وعن اي طريق كان فليس ذلك من شروط التشيع ، ولا من شروط القول بامامتهم . قال المفيد في كتابه اوائل المقالات :

ان الائمة من آل محمد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون ما يكون قبل كونه . . وليس ذلك

بواجب في صفاتهم ، ولا شرط في امامتهم ، وإنما اكرمهم الله به وأعلمهم للطف في طاعتهم والتمسك بامامتهم ، وليس ذلك بواجب عقلاً ، ولكنه وجب لهم من جهة السماع ، واما اطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب ، فهو منكر بيّن الفساد ، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد ، ولا يكون هذا لغير الله سبحانه ، وقال رشيد الدين محمد بن شهراشوب كما نقل عنه في التعليقة على الكتاب المذكور : النبي والأئمة يجب ان يعلما علوم الدين والشريعة ، ولا يجب ان يعلما الغيب ، وما كان وما يكون ، لأن ذلك يؤدي الى انهما مشاركان للقديم تعالى في جميع معلوماته ، الى ان قال : ويجوز ان يعلما الغائبات والكائنات الماضيات او المستقبلات باعلام الله تعالى لهما ..

فالإمام عند الشيعة افضل اهل زمانه ويبرأون من كل من ينسب الى ائمتهم اكثر من ذلك، ويقفون عند المنزلة التي وضع الأئمة انفسهم عندها ، وحددها الامام الرضا (ع) في دعائه : اللهم اني ابرأ اليك من الحول والقوة ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اني ابرأ اليك من الذين قالوا فينا ما لم نعلمه في انفسنا، اللهم لك الخلق ، ومنك الأمر وإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم انت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين ، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك، اللهم انا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، اللهم ان من زعم ان لنا الخلق وعلينا الرزق فنحن

اليك منه برئاء ، اللهم انا لم ندعهم الى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون ، واغفر لنا ما يزعمون .

وفي منهج المقال عن عبد الرحمن بن كثير ، قال ابو عبد الله الصادق (ع) يوماً لأصحابه : لعن الله المغيرة ابن سعيد ، لعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق ، ان المغيرة كذب على ابي وان قوماً كذبوا علي مالهم ، اذاقهم الله صر الحديد ، فوالله ما نحن إلا عبيد خلقنا الله واصطفانا ، ما نقدر على ضر ولا نفع ، إن رحمنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا . لعن الله من قال فينا ما لم نقله في انفسنا ، ولعن الله من ازالنا عن العبودية لله الذي خلقنا ، واليه مآبنـا ومعادنا وبيده نواصينا .

وما رواه المفيد في ارشاده، والصدوق في الكافي ، وغيره من رواة الحديث ، من احاديث الجفر الكبير ومصحف فاطمه (ع) وغير ذلك ، فلا تمنع منه الشيعة ، ولا تقول بانه من علم الغيب . فمن الجائز القريب أن النبي (ص) املى على علي (ع) بعض ما نزل عليه من الوحي ، مما يرجع الى عالم التشريع وغيره من الحوادث ، ودونها علي (ع) ، وبقيت عند ابنائه في جملة ما ورثوه من العلم ، ويؤيد ذلك ما ذكره المفيد في ارشاده عن أبي بصير عن الصادق (ع) : اما الجفر الأحمر فوعاء من أدُم فيه سلاح رسول الله ولن يخرج حتى يقوم قائمنا اهل البيت . وما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى ، وانجيل عيسى ، وزبور داود ، وكتب الله الأولى . واما مصحف فاطمه ففيه

ما يكون من حوادث ، واما الجامعة فهي كتاب باملاء رسول الله وخط علي (ع) ، فيها والله ما يحتاج الناس الى يوم القيامة من حلال وحرام، حين ان فيها ارش الخوش والجلدة، فليس في شيئ من الروايات ما فيه ظهور انهم يعلمون شيئاً عن غير طريق النبي (ص) .

ومما لا شك فيه عند جميع الرواة ، ان النبي قال : انا مدينة العلم وعلي بابها ، وقول علي ( ع ) مشهور عند اهل السير ومروي في جميع كتب الاخبار : علمني رسول الله الف باب من العلم ، يفتح لي في كل باب الف باب . وكلامه صريح في أن ما اخبر به من الحوادث التي وقعت بعده بعشرات السنين انما كان عن طريق الرسول الأعظم .

ومع ذلك فهذا النوع من العلم ، لا تتوقف عليه امامتهم ، ولا يزيدهم فضلا وشرفاً . ففي سيرتهم وحياتهم ، ما يكفي لكونهم أفضل ما انجبته الإنسانية وانبل ما يمكن ان تبلغه امكانيات المخلوق ، لذا فان من ينفي عنهم هذا النوع من العلم لا يخرج عن كونه إمامياً موالياً صحيح العمل والعقيدة إذا لم يؤد الى مخالفة الكتاب الكريم، او تكذيب رواية معلومة الصدور، عن النبي او احد خلفائه الطيبين .

## اليقين بأصول الدين والمذهب

ان الشيعة يرون انه لا بد من اليقين الجازم باصول الدين والمذهب ، والمراد باصول الدين التوحيد ، وما يتبعه من صفاته

الثبوتية والسلبية ، والنبوة وتتبعها العصمة ، والمعاد ويتبعه الجنة والنار ، وما كان من الاصول راجعاً للمذهب فهو الإمامة وتتبعها إمامة الاثني عشر . ولا بد من اليقين الجازم بهذه الامور للآيات الكريمة الدالة على عدم كفاية الظن ، وعدم جواز التعويل عليه مطلقاً في الأصول والفروع .

ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ، ان يتبعون إلا الظن ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، وغيرها من الآيات الكريمة . وهي باطلاقها تفيد عدم جواز الأعتماد على الظن في اثبات الواقع ، ولكن قام الدليل على جواز الاعتماد على الأدلة الظنية في الفروع ، فيبقى الآيات في الأصول على حالها ، وحيث كان مفادها عدم التعويل على الظن ، فلا بد من اليقين الجازم الموجب لسكون النفس واطمئنانها ، والظاهر من الشهيد الثاني في رسالته حقائق الإيمان وغيره من العلماء ، وجوب معرفة الله سبحانه وبقية الأصول بالنظر والدليل ، ولا يكفي فيها التقليد . وخالف في ذلك جماعة من أعلام المسلمين فجوزوا التقليد في العقائد الأصولية.

ثم ان القائلين بوجوب المعرفة بالنظر ، بين قائل بوجوبها بالعقل ، وآخر بكفاية الأدلة النقلية المؤدية الى اليقين الجازم ، وصريح كلام الشهيد الثاني وجوب المعرفة بالأدلة العقلية عند الامامية والمعتزلة ، لأن شكر المنعم يتوقف على الاعتراف بنعمه والاعتراف بها يتوقف على معرفتها ، ولا تحصل معرفتها في الغالب بالطرق الظنية ولا بالتقليد لجواز الخطأ في الامارات ، وكذب المخبر في اخباره ، وقال العلامة في كتابه الحادي عشر :

اجمع العلماء على وجوب معرفة الله وصفاته الثبوتية ، وما يصح عليه ويمتنع منه .

والنبوة والامامة والمعاد بالدليل لا بالتقليد ، قال العلامة الأنصاري في فرائد الأصول وقد ذكر العلامة في الباب الحادي عشر ، فيما يجب معرفته على كل مكلف من تفاصيل التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد ، اموراً لا دليل على وجوبها ، مدعياً ان الجاهل بها عن نظر واستدلال خارج عن ربقة الإيمان مستحق للعذاب ، وهو في غاية الاشكال .

نعم يمكن ان يقال ان مقتضى عموم وجوب المعرفة مثل قوله : ( وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ) اي ليعرفون . وقول النبي ( ص ) ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس ، وكذا عمومات وجوب التفقه في الدين الشامل للمعارف ، بقرينة استشهاد الإمام بها لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق ، وعمومات طلب العلم ، فمقتضى جميع ذلك هو وجوب معرفة الله جل ذكره ، ومعرفة ما جاء به النبي على كل قادر يتمكن من تحصيل العلم ، فيجب حين يحصل اليائس ، فان حصل العلم لشيء من هذه التفاصيل اعتقد وتدين ، وإلا توقف ولم يتدين بالظن . إلى أن قال : هذا حال وجوب المعرفة مستقلا ، وأما اعتبار ذلك شرطاً في الإسلام والإيمان فلا دليل عليه . بل تدل على خلافه ، الأخبار الكثيرة المفسرة لمعنى الاسلام والايمان . ففي رواية محمد بن سالم عن ابي جعفر ( ع ) المروية في الكافي ان الله بعث محمداً ( ص )

وهو بمكة عشر سنين ، فلم يمت بمكة احد في تلك العشر سنين يشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله إلا دخل الجنة باقراره، ولم يعتبر في الإيمان أزيد من التوحيد والتصديق بالنبي وبكونه رسولا صادقاً فيما بلغ ، وليس المراد معرفة تفاصيل ذلك ، وإلا لزم ان يكون حقيقة الإيمان بعد انتشار الشريعة غيره في صدر الإسلام .

وهناك روايات كثيرة تدل على ان الاسلام والايمان هما الإقرار والاعتقاد بهذه الأصول ، من غير تعرض فيها الى ناحية الدليل ، كصحيحة ابن اليسع قال قلت لأبي عبد الله (ع) اخبرني عن دعائم الإسلام التي لا يسع احداً التقصير في معرفة شيء منها،ومن قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه ولم يقبل منه عمله ، ومن عرفها وعمل بها صلح دينه وقبل عمله فقال (ع) شهادة ان لا إله إلا الله، والإيمان بان محمداً رسول الله، والاقرار بما جاء به من عند الله، وحق في الأموال، والولاية التي أمر الله بها وهي ولاية آل محمد (ص) . وقال الشيخ الأنصاري بعد ان بنى على اعتبار الجزم والتصديق في الأصول .

وكيف كان فالأقوى كفاية الجزم الحاصل من التقليد لعدم الدليل على اعتبار الزائد على المعرفة والتصديق والأعتقاد ، وتقييدها بطريق خاص لا دليل عليه ، مع ان الانصاف ان النظر والاستدلال بالبراهين العقلية للشخص المتفطن لوجوب النظر في الأصول ، لا يفيد بنفسه الجزم لكثرة الشبه الحادثة في النفس والمدونة في الكتب ، ويمكن ان يقال ان المراد

من الأعتقاد الحاصل عن الدليل هو الدليل الإجمالي نظير استدلال الاعرابي ، البعرة تدل على البعير ، وأثر الاقدام على المسير ، وسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج يدلان على اللطيف الخبير ، وهذا المقدار من الدليل ميسور لدى اغلب الناس بمجرد الإنتباه والإلتفات ولذا كان الاسلام مقبولا بمجرد الإقرار الكاشف عن الاعتقاد ، واما الاستدلال التفصيلي فلا يتسنى الا للقليل من الناس ، ولازم اعتباره نفي الإيمان عن اكثر المسلمين ، ولا يمكن الإلتزام بذلك فلا بد من القول بكفاية الجزم الحاصل من التقليد فيما يتعذر حصوله عن الدليل التفصيلي بالنظر لنوع الإنسان .

# أدلة الأحكام عند الشيعة الإمامية

يرجع الشيعة الامامية في اصول الدين وفروعه وجميع احكام الدين الى الأدلة الأربعة : الكتاب والسنة والاجماع والعقل . وكل واقعة من الوقائع النظرية لا يخلو حكمها من احـد هذه الأدلة الأربعة .

# الكتاب

المرجع الأول هو الكتاب الكريم . وهم من اشد الناس تمسكاً فيه ، ومحافظة عليه ، وتمشياً وراء نظمه وقوانينه ، وعليه يعولون في دفع شبه المبطلين والملحدين ، ويرونه المقياس الصحيح للحق والهداية ، وهو معجزة النبي (ص) الخالدة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا تحريف فيه ولا تبديل فهو كما نزل على النبي (ص) ، قد اعجز الفصحاء والبلغاء في اسلوبه ونظمه ، وأخباره عما كان وسيكون من حوادث الامم ومعتقداتها ، واحوال الأنبياء وما جرى لهم في ايامهم . وقص علينا قصصاً لولاه لما كان لها وجود في تاريخ الأمم ، وتناول الكثير مما يرجع الى عالم التشريع في المواريث والوصايا والمعاملات والعبادات والصدقات وغيرها ، فاحصيت آيات الأحكام فيه بما يبلغ خمسماية آية ، والف علماء الشيعة الامامية كتباً في آيات الأحكام منهم الجزائري والمقدادي ، واسم كل من الكتابين آيات الأحكام .

والمهم الآن هو ان القرآن ، هو المرجع الأول في احكام الدين اصولا وفروعاً ، في كل واقعة يعرض الاشتباه في حكمها . وقد امر النبي (ص) كما في الحديث المشهور المتفق عليه بين

جميع المسلمين بالرجوع اليه ، ( اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ) . وفي الوافي عن ابي عبد الله الصادق (ع) انه قال : القرآن هدى من الضلالة ، وتبيان من العمى ، واستقالة من العثرة ، وضياء من الأجداث ، وعصمة من الهلكة ، ورشد من الغواية ، وبيان من الفتن ، وبلاغ من الدنيا الى الآخرة ، وفيه كمال دينكم ، وما عدل احد عن القرآن إلا الى النار ، وفي الوافي عن جابر قال ، قال رسول الله : يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله تعالى فيما حملكم من كتابه ، فاني مسؤول وانكم مسؤولون ، اني مسؤول عن تبليغ الرسالة ، واما انتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي ، وفي القرآن العام والخاص : والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ، والمحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ .

فالعام والخاص فيه مثل قوله سبحانه : ( أحل الله البيع وحرم الربا ) وقوله : ( أوفوا بالعقود ) وأمثالها . والمجمل هو الكلام الذي ليس له ظاهر ، بنحو يكون بحسب متفاهم العرف قالباً لمعنى خاص . والمبين على خلافه ، ومن ذلك قوله : ( والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ) والاجمال في الآية اما لأن اليد تستعمل في الأنامل والأصابع ونفس الكف ، واما لأن تعليق القطع باليد لا ظهور له في محل القطع ، نظير قول القائل قطعت الحبل ، من حيث عدم ظهوره في محل القطع .

ومنه قوله سبحانه : ( حرمت عليكم امهاتكم ، واحلت لكم بهيمة الأنعام ) حيث يمتنع تعلقها بالأعيان فلا بد من تقدير محل صالح لذلك ، والصالح لذلك متعدد وليس بعضه معيناً من

اللفظ بدون قرينة تدل عليه. واما المحكم والمتشابه ، فقد ذكر في مجمع البيان لهما معان متعددة ، منها ان المحكم ، ما علم المراد من ظاهره من غير قرينة تقترن به نحو قوله ان الله لا يظلم الناس شيئاً ، ولا يظلم مثقال ذرة ، والمتشابه ما لم يعلم المراد من ظاهره حيث يقترن به ما يدل على المراد منه نحو قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) فهو بحسب المعنى اللغوي محتمل لأن يكون كاستواء الجالس على السرير ، وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء ، فكل من المعنيين يمكن دلالة اللفظ عليه ، ولكن الأول منهما ليس بمراد قطعاً ، لانه يؤدي لما لا يجوز عليه سبحانه ، فيتعين الثاني ولكن ليس من ظاهر اللفظ.

واما النسخ فيدل على اصل وقوعه قوله في سورة البقره : (ما ننسخ من آية او ننسها) اي نؤخرها ، فلا ننزلها وننزل بدلا منها مما يقوم مقامها في المصلحة، وذكر هذا المعنى في مجمع البيان في جملة ما ذكره من معاني هذه الكلمة ، وهو موافق لما ذكره اهل اللغة في المراد من قول العرب : نسأت الناقة اي تأخرت في المرعى حتى سمنت ، ويدل عليه ايضاً ان التكليف الشرعي تابع للمصلحة في الفعل المكلف به ، ولولاها لما اوجبه الشارع ، فمن الايجاب الشرعي نستكشف وجود المصلحة في الفعل ، وإذا كان وجوب الافعال لأجل المصالح القائمة بها ، فكما يجوز ان تكون المصلحة مستمرة لا تتفاوت بحسب الأزمنة كذلك يمكن ان تكون المصلحة في وقت دون آخر . او يكون في المماثل مصلحة اقوى منها ، ولا يلزم من ذلك البداء المستلزم لجهل الآمر تعالى عن ذلك

علواً كبيراً . وذلك لعدم كون النسخ راجعاً الى تغيير ارادته او ظهور ما كان قد خفي عليه ، بل معناه ان المصلحة الداعية الى التشريع كانت الى زمان وجود الحكم المماثل ، فلا يكون دليل الناسخ رافعاً لدليل المنسوخ بل يفيد اثبات حكم جديد في محل قد انتهى امد الحكم الأول فيه لانتهاء مصلحته ، ومهما يكن الحال فلا خلاف في جواز نسخ الكتاب بالكتاب ، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة البقرة : ( والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم ) ومفاد هذه الآية كما في مجمع البيان وغيره وجوب الايصاء للأزواج بما ينتفعن به حولاً كاملا من النفقة والكسوة والسكن . قال ابو عبد الله الصادق (ع) كان الرجل اذا مات انفق على امرأته من صلب المال حولاً ، ثم اخرجت بلا ميراث .

وقد نسخت هذه الآية بقوله تعالى من سورة البقرة : (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً ) . وبقوله تعالى : ( ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ) . فالآية الاولى نسخت الاعتداد حولاً بالاعتداد اربعة اشهر وعشراً ، والآية الثانية نسخت عدم استحقاقها للميراث بعد الحول ، ومنها آية تغيير القبلة الى المسجد الحرام بعد ان كانت الى بيت المقدس ، ومنها قوله سبحانه : ( وإذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي

نجواكم صدقة ) فامتنع المسلمون عن مناجاته غير علي (ع) فتصدق وناجاه، ثم نسخت بقوله تعالى : ( أءشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ) .

فالنسخ واقع بلا شبهة في ذلك ولست الآن بصدد التوسع في هذا الموضوع . وإنما المهم في المقام ان المرجع الأول في استنباط الأحكام هو الكتاب الكريم . وليس لكل احد ان يرجع اليه في الأحكام وإنما يرجع اليه من درس اللغة العربية وعلم الأصول والفقه والحديث ووقف على اسباب النزول .

# السُّنَّة

## ( المرجع الثاني )

المصدر الثاني من المصادر التي يستمدون منها احكام الله الأحاديث المروية عن النبي وأئمة المسلمين من بعده ، وعليها يعتمدون في جميع ابواب الفقه الاسلامي واصوله بعد القرآن الكريم ..

وقد عنوا بها العناية الكاملة للتنقيب على الأحاديث التي تركن اليها النفس ودونوا الحديث في كتبهم وأشهر الكتب المعدة لتدوين الحديث الكتب الأربعة : الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني ، ومن لا يحضره الفقيه لمحمد بن بابويه الصدوق ، وكتابي التهذيب والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي ، والوافي لمحسن الفيض والوسائل للحر العاملي ، والفوا كتباً غيرها تشتمل على اسماء الرواة كل باسمه وصفاته وسيرته ، وعلى القواعد والأسس التي يمكن التوصل بها الى معرفة الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن غيرها وقسموا الحديث الى اقسام اربعة او اكثر ، والكتب التي تناولت هذه المواضيع توجد في جميع المكاتب الاسلامية في ايران والعراق وغيرهما من الأقطار . وتلك الجهود الجبارة التي قام

بها فريق من علماء الطائفة الشيعية ، كانت من النتائج الطبيعية للظروف القاسية التي اجتاحت الشيعة في عهد الدولتين الأموية والعباسية وكانت من اقسى الأدوار التي مرت في تاريخ الطوائف الاسلامية ونتج عنها آلاف الأحاديث المكذوبة على اهل البيت، واول من غرس نواتها معاوية بن ابي سفيان يوم صالح الحسن بن علي (ع) على شروط لم يف له بشيء منها ، وانصرف بعد ذلك بكل اتجاهاته يغذي نواته بالأضطهاد والعسف والجور والمطاردة حتى ضيق على الشيعة الخناق ، وأخذ عليهم منافذ الحياة ، الى كثير من الوسائل التي استعملها في محاربة الشيعة ، حتى بلغ الأمر ان نسبة التشيع لعلي كانت جريمة تجر من ورائها ألواناً من العذاب وأحب شيء للرجل ان يقال له زنديق او كافر ، ولا يقال له من شيعة علي وابنائه (ع) وفي شرح النهج كتب معاوية نسخة واحدة بعد عام الجماعة ، ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب وأهل بيته ، فقام الخطباء، في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً (ع) ويبرأون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته ، وكانت الكوفة من اشد الناس بلاءً يومئذ لكثرة من فيها من الشيعة ، وقد استعمل عليها زياد بن سميه وضم اليه البصرة ، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل ، وشردهم عن العراق ، فلم يبق فيها معروف منهم ، وكتب معاوية الى جميع عماله في جميع الآفاق ، ان لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة . ثم

كتب نسخة الى جميع عماله قال فيها انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته ، الذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم ، واكتبوا بكل ما يروي رجل منهم باسمه واسم أبيه وعشيرته ، ففعلوا ذلك ، حتى اكثر المرتزقة في فضائل عثمان .

ولما كثر ذلك كتب الى عماله يأمرهم ان يحملوا الناس على الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ، ليكون له ولأبيه وأقاربه نصيب من ذلك، لأنهم عاصروا النبي مع من صحبه ، ثم أمر عماله ان لا يتركوا منبقبة يرويها احد في فضل أبي تراب الا ويأتوا بناقض لها في الصحابة . ومشى على منهاجه من جاء بعده من الخلفاء الأمويين .

فهيأت هذه الفرصة مجالا واسعاً لعدد غير قليل من الزنادقة والمنافقين والمتزلفين من أهل الأطماع والمنافع ، الذين يريدون ان يعيشوا على حساب رعية السلطان فنشطوا يدسون الحديث على لسان ائمة الشيعة . ولقد روى ابو هريرة اكثر سن ستة آلاف حديث مع انه ولد قبل وفاة الرسول بثلاث سنين، وغيره من الصحابة الذين صحبوا الرسول طيلة حياته لم يرووا عنه نصف هذا العدد ، وليس من البعيد ان يكون قد نتج من هذا الاتجاه المعاكس لأهل البيت من يدس الأحاديث عن الأئمة (ع) في الطعن على الخلفاء والصحابة ، ثم جاء عهد العباسيين أشبه ما يكون بعهد من مضى فأنسى الشيعة ما لاقوه في العصر الاموي المرهق بجميع انواع الظلم والأذى والطغيان ووضع الحديث الذي

تحط من شأن علي وبنيه (ع).

ولقد كثر الدس في ايام المنصور يوم كان الصادق (ع) يبلغ رسالة الاسلام والاف الرواة تنقل الملايين من احاديثه، والمنصور يأكله حقده وعداوته، فكان يشتري ضمائر الزنادقة ليدسوا في احاديث جعفر وابيه (ع)، فمن هؤلاء عبد الكريم بن ابي العوجا، والمغيرة بن سعيد، وروي عن هشام بن الحكم انه سمع ابا عبد الله الصادق (ع) يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً إلا اذا وافق القرآن والسنة وتجدون معه شاهداً من احاديثنا المتقدمة، فان المغيرة بن سعيد لعنه الله، قد دس في كتب اصحاب ابي احاديث كثيرة لم يحدث بها ابي، فاتقوا الله ولا تقبلوا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا، وفي منهج المقال عن ابي عبد الله (ع) قال انا اهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا عند الناس ان يريد يسقط صدقنا بكذبه علينا. ثم ذكر المغيرة وبزيغ الحائك والسري وابا الخطاب ومعمر وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي، وقال لعنهم الله أجمع وكفانا مؤونة كل كذاب، والأحاديث عن الصادقين حول هذه الفرقة الضالة المستأجرة من الدساسين تنص على انهم خلقوا مجموعة من الأحاديث اضافوها الى التراث الاسلامي النبوي ليخلطوا الحق بالباطل والصحيح بالفاسد، لذا فان علماء الطائفة بذلوا قسماً من امكانياتهم فصنفوا الحديث؛ ووضعوا الكتب في علمي الرجال والرواية، لتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها. ثم قسموا الحديث الى متواتر وآحاد، ويعنون بالتواتر ان ينقله جماعة بلغوا من

الكثرة حداً يمنع من اتفاقهم على الكذب ، ولا إشكال عندهم بحجية هذا النوع من الأخبار ، والآحاد هو الذي لا ينتهي الى حد التواتر سواء كان الراوي واحداً او اكثر . وقد اتفق الاكثر على جواز العمل باخبار الاحاد واستدلوا على ذلك بادلة كثيرة ، ذكرها الشيخ الأنصاري في فرائد الأصول وذكرها غيره ممن تقدم عليه وتأخر عنه . وهذا النوع من الأخبار على انواع ثلاثة : صحيح وحسن وموثق . فان كان رواته إماميين ممدوحين بالوثاقة سموه صحيحاً ، وان كانوا إماميين ممدوحين ولكن لم يعرفوا بالوثاقة اوكان الممدوح بعضهم مع توثيق الباقي سموه حسناً .

وان كانوا كلاً اوبعضاً غير اماميين وكانوا معروفين بالوثاقة سموه موثقاً . وهذه الأنواع الثلاثة كلها تشترك في جواز العمل بها ، وان كان بعضها اعلى من بعض ، ويقدم على غيره في مقام التعارض. وذكر في الوافي ان هذا الاصطلاح حدث في زمان العلامة الحلي ، وتبعه عليه جمع ممن تأخر عنه ، ولم يكن معروفاً عند المتقدمين : وانما المتعارف عندهم اطلاق الصحيح على كل حديث اعتضد بما يقتضي الإعتماد عليه ،واقترن بما يوجب الوثوق به والركون اليه ، كوجوده في الأصول الأربعمائة المشهورة بينهم المنقولة عن مشايخهم بطرقهم المتصلة باصحاب العصمة ، اووجوده في اصل معروف الانتساب الى احد الجماعة الذين اجمعوا على تصديقهم : كزرارة ومحمد بن مسلم ، والفضيل بن يسار ، او وجوده في اصل من الأصول المنسوبة الى احد الجماعة الذين

اجمعوا على تصحيح ما يصح عنهم كصفوان بن يحيى ، ويونس ابن عبد الرحمن وغيرهما ، او يكون مأخوذاً من احد الكتب التي شاع بين سلفهم الوثوق بها والاعتماد عليها ، سواء كان مؤلفها من الإمامية ككتاب الصلاة لحريز بن عبد الله، وكتب ابن سعد، وعلي بن مهزيار او من غير الإمامية ككتاب حفص بن غياث القاضي والحسين بن عبد الله السعدي وغيرهما ، وقال الصدوق في كتابه الفقيه : ان كل ما اذكره في هذا الكتاب ، هو ما افتي فيه واحكم بصحته ، واعتقد انه الحجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره او ما يرويه في كتابه فيه الامامي وغيره ، وفي الوافي قال : وسلك على هذا المنوال كثير من علماء الرجال فحكموا بصحة حديث بعض الرواة كعلي بن محمد بن رياح مع انه ليس إمامياً .
والمقصود من هذا التبسط هو رد عدوان بعض الكتاب القائلين بان الشيعة لا يعملون باخبار اخوانهم اهل السنة ، ويدعون انهم يتجردون في دراستهم لخدمة الحق والواقع ويتحررون عن النزعات القديمة . قال الأستاذ خالد محمد خالد في كتابه الديموقراطية : والشيعة في ايران والعراق لا يعترفون بالسنة ، وأحاديث الرسول ، التي يرويها وينقلها أئمة اهل السنة ، مع ان هذا التراث الهائل يمثل المذكرة التفسيرية لمبهم القرآن ومجمله .

ان من يكتب عن الشيعة وينسب اليهم هذه الأراجيف لا عذر له في زماننا هذا ، وقد ملأت كتب الشيعة الدنيا الواسعة ، ومكاتب العالم مشحونة بكتبهم ، نعم ان هؤلاء يكتبون بما توحيه اليهم تلك العصور المظلمة ، التي شاعت فيها الأراجيف ، وفتكت بالمسلمين ، وتركتهم شعوباً وقبائل لا يتعارفون .

# الإجماع

## ( المرجع الثالث )

ان الإجماع الذي يرجع اليه الشيعة ، عند عدم وجود الدليل المعتبر من كتاب او سنة ، هو اجماع العلماء في عصر واحد او عصور متعددة بحيث يكشف عن دخول المعصوم في المجمعين ، ولولاه لا فائدة في الاجماع ، والأمة لا تجتمع على الخطأ إذ لا يوجد عصر يخلو من الإمام المعصوم ، ومدعي الإجماع يكون حاكياً لقول المعصوم بلا واسطة، فالدليل الدال على حجية خبر الواحد ، يدل على حجية الاجماع ،كما هوظاهر الاكثر .

وخالف بذلك الشيخ الأنصاري في فرائده، مدعياً انالأدلة على حجية اخبار الآحاد انما تدل علىحجيتها عن حس ، باعتبار ان الراوي ينقل ما سمعه من الإمام (ع) والاجماع ليس كذلك ولا يهمنا ان نتوسع في هذه الناحية، وإنما المقصود هو ان الإجماع لا دليل علىاعتباره دليلا في الأحكام الشرعية اذا لم يكن المعصوم احد المجمعين . وعلى هذا تنحصر فائدة الاجماع فيما اذا لم يتعين قول الامام كما يكون ذلك في اكثر الأوقات خصوصاً زمن الغيبة فبواسطة الاجماع نعلم قول الامام ، ولو فرض ان علمنا بقول

المعصوم بعينه بين المجمعين فلا تبقى للاجماع فائدة ، ومهما يكن فان الشرط في حجية الاجماع كون المعصوم احدهم ، ولا يضر خروج الواحد والاثنين والأكثر اذا عرفوا باسمائهم ونسبهم ، للعلم ببقاء الامام مع الباقين ، بل لو كان الإمام احد ثلاثة ولم يعرف بعينه كان قولهم حجة بالغاً المخالف ما بلغ ، قال العلامة :

وكل جماعة قلت او كثرت ، وكان قول الإمام في جملة اقوالها ، فاجماعها حجة لأجله لا لأجل الاجماع فيكون المدعي للاجماع يحكي قول الامام بلا واسطة ..

والعلم بدخول الامام مع المجمعين ، إما ان يكون عن طريق الحس كما اذا سمع قول الامام في جملة جماعة لا يعرف اعيانهم ، فيعلم بقول الامام وان لم يعرفه بعينه ، واما ان يكون لقاعدة اللطف كما يذهب الى ذلك الشيخ الطوسي ، قال : اذا كان على القول الذي انفرد به الامام دليل من كتاب او سنة ، فلا يجب اظهار قوله لإمكان معرفته عن طريق الدليل ، وإلا وجب عليه اظهار من يبين الحق في تلك المسألة لأن وظيفته ذلك ، لان وجود الإمام لطف من الله سبحانه بعباده ليدلهم على ما يقربهم من مرضاته ، وقد يكون انكشاف قول الامام للمدعي الاجماع عن طريق الحدس وهذا قد يكون منشؤه اخبار جماعة اتفق له العلم بعدم اجتماعهم على الخطأ بحيث لو حصل لغيره كما حصل له ، لعلم بالمطابقة لقول الامام ، وقد يكون منشؤه اجتهاد المخبر خاصة بان يكون قد اعتمد على اصل او قاعده او رأى بعض من يحسن بهم الظن يفتون فبين على ان الكل يقولون بمقالتهم فادعى الاجماع . وهذا

النوع لا اشكال بعدم حجيته ، وحدسه لا ينفع في اثبات اجماع علماء الأمة ليدخل قول المعصوم معهم ، والذي استند اليه الطوسي لا يثبت دخول الامام مع المجمعين وصريح كلام المرتضى ان ذلك ليس بواجب على الإمام بعد ان كانت الأمة هي السبب في احتجابه.

وناقل الإجماع اذا استند الى مبادئ محسوسة توجب له العلم بموافقة قول الامام من غير ان يستلزم ذلك عادة ، لا يخرج في هذه الحالة عن كونه حدساً لا تشمله أدلة الأخبار ، والأحكام لا تصاب بالحدس ، نعم إذا تيسر لمدعي الاجماع الاطلاع على اقوال جميع العلماء في عصر من العصور ، يحصل الاطمئنان بدخول الإمام معهم اذا لم يكن مخالف في المسئلة او كان ، ولكن كان معلوم النسب ، ومهما يكن الحال فمدرك الاجماع عند الشيعة هو قول المعصوم الداخل مع المجمعين .

وأما الاجماع عند اهل السنة فهو اصل من الأصول الشرعية قائم بنفسه ، واستدلوا عليه بحديث : ( من فارق الطاعة ، وخرج عن الجماعة مات ميتة جاهلية ) ورووا عن النبي ( ص ) انه قال : ( لا تجتمع امتي على ضلال ) وبقوله تعالى : ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ) وقول النبي ( ص ) يد الله مع الجماعة . وغير ذلك كما حكاه الشيخ في كتاب العده ، واستدلوا بالإجماع على شرعية خلافة ابي بكر ، وأكثر القائلين بحجيته عندهم بين من يخصه باجماع الصحابة ، وبين من يجعله لأهل المدينة عامة ، وسواء كان لأهل المدينة او للصحابة ، فلا بد من توافق الكل

بالرأي ليتحقق الإجماع ، مع ان عدداً ليس بالقليل من أعيان المسلمين منهم العباس بن عبد المطلب ، كانوا الى جانب علي (ع) ومع هذا الخلاف المفروض لا تكون مسئلة الخلافة مشمولة ، لأدلة الاجماع المصطلح عندهم .

# العـــقل

## الدليل الرابع

والمراد من دليل العقل الأحوال الأربعة : البراءة والاحتياط والتخيير والاستصحاب . ويعملون بهذه الأصول على اختلاف مواردها عند الجهل بالواقع ، وعدم وجود الدليل من الكتاب والسنة ، والاجماع على حكم الواقعة المشكوك حكمها . فيكون الموضوع لهذه الأصول هو الشك في الحكم الواقعي الناتج من عدم وجود الدليل على الحكم ، فان لاحظنا الحالة السابقة على زمان الشك جرى الاستصحاب ، وان لم نلاحظ الحالة السابقة ، وكان التكليف معلوماً بنوعه او جنسه ، فان امكن الاحتياط كان المتعين ، وان لم يمكن جرت اصالة التخيير ، وان لم يكن التكليف معلوماً وشك في حكم الواقعة كان أصل البراءة .

اما الأصول الثلاثة : البراءة والتخيير والاحتياط ، فلا شبهة في كونها من الأصول العقلية .

اما البراءة فانما هي في ظرف الشك في التكليف ، الناتج عن عدم البيان الواصل الى المكلف ، بعد الفحص في مظان وجوده . وفي هذه الحالة يحكم العقل بقبح العقاب قبل ان يصل دليل التكليف

بالمشكوك ، واما الاحتياط فموضعه الشك في المكلف به بعد العلم بالتكليف ، وتردد المكلف به بين امرين او امور ، يتمكن من الاتيان بها ، فالعقل في هذه الحالة يحكم بوجوب الاتيان بها امتثالا لأمر المولى .

واما التخيير فمورده دوران المأمورية بين أمرين لا أهمية لأحدهما على الآخر في ظرف عدم التمكن من اتيانهما معاً فيدور الأمر بين تركهما معاً او الاتيان بأحدهما مخيراً . والثاني هو المتعين بنظر العقل ارتكاباً لأقل المحذورين ، وفراراً من اعظم الخطرين.

ففي هذه الموارد الثلاثة يكون للعقل مجال واسع ، والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة تكون مقررة للحكم العقلي ، واما الاستصحاب وهو الأخذ بالحالة السابقة والبناء على ما كان بالأمس الى زمان الشك فليس من الاصول العقلية ، وانما يدور أمره بين ان يكون أصلا تعبّدياً ان كان المدرك فيه الاخبار ، وبين ان يكون امارة تفيد الظن بالواقع اذا كان مدركه بناء العقلاء ، الراجع الى ان العقلاء بفطرتهم يلتزمون ببقاء المتيقن السابق الى زمان الشك الى ان يحصل العلم بالواقع ، ويجوز ان نسميه عقلياً بهذه الملاحظة .

واذا وجد الدليل المعتبر على حكم الواقعة المشكوكة يمتنع جريان هذه الأصول لأن الشك بالواقع اخذ في موضوعها ، ومع وجود الدليل يرتفع الشك تعبداً فلا يبقى موضوع للاصول المذكورة . والحكم المستفاد من أحد هذه الأصول يسمى حكماً ظاهرياً ، وقد يسمى بالواقعي الثانوي ، بلحاظ الحكم الواقعي

المشكوك ولا يلزم اجتماع الحكمين المتضادين على تقدير مخالفة الحكم المستفاد من الأصل ، للحكم الواقعي المجعول للواقعة المشكوك حكمها ، اما لأختلاف الرتبة بينهما ووحدتها من جملة الوحدات الثمانية التي يتوقف عليها التضاد ، او لأن المجعول في بعضها كالاستصحاب هو البناء العملي على ان المؤدي هو الواقع. فان صادف الواقع لم يكن غيره والا كان الجري العملي واقعاً في غير محله ، وفي بعضها الآخر كالاحتياط هو تتميم الجعل الواقعي لأن الحكم الواقعي لا يتكفل لجميع ازمنة وجوده التي منها زمان الشك فيه ، وان كان محفوظاً في ذلك الزمان، إلا انه لا يكون مبيناً لوجوده فلابد من جعل آخر ، فيكون الجعل الثاني متمماً للجعل الأول . وإذا كان الحكم الواقعي مخالفاً للحكم الذي افاده الأصل المتمم فلا يعقل بقاء الحكم الثاني ، لأنه يشبه الوجوب المقدمي ، والمسئلة محررة تحريراً واسعاً في كتب الامامية التي تبحث عن هذه الأصول الأربعة . ويجد القارئ فيها اخصب الموارد واعظمها نفعاً واوثقها صلة بالفقه الاسلامي . وقد جاءت هذه نتيجة لفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، الذي اضاف الى الثروة الاسلامية ثروة اخرى انتجها الفكر الشيعي. وعند الشيعة اصول اخرى غير هذه الأربعة استمدوها من الكتاب والسنة ، كقاعدة الفراغ والتجاوز ، واصالة الصحة ، وقاعدة اليد ،والولد للفراش ، وغير ذلك مما هو موجود في كتبهم الفقهية والأصولية التي تتجاوز ارقامها المئات .

وتسمى الأصول والقواعد عندهم بالأدلة الاجتهادية ، ولا

يرجع اليها الفقيه الا بعد بذل الجهد في نصوص الكتاب والسنة واثبات ادلتها وموارد‌ها ومقدارعمومها ، الى غير ذلك مما هو مدون في كتبهم .

# القياس بنظر الشيعة

وعند اهل السنة ان الدليل الرابع هو القياس والاستحسان والاستصلاح ، وبعضهم لا يقول الا بالقياس ، وعند الحنبلية القياس والاستصلاح ، كما جاء في كتاب مع الشيعة الأمامية .
والمراد من القياس هو اثبات مثل حكم المقيس عليه في المقيس . وعرفه بعضهم بانه اثبات مثل حكم الأصل في الفرع لعلة جامعة بينهما ، واستدلوا على ذلك بامور كثيرة ، منها ان العلة الموجودة في الأصل هي التي اوجبت تعلق الحكم به ، وهي بعينها موجودة في الفرع فيجب ان نثبت له مثل ذلك الحكم . وبما كتب به عمر ابن الخطاب الى ابي سفيان الاشعري : ( اعرف الاشياءوالنظائر وقس الأمور بعضها ببعض ) ورووا جواز العمل به عن جماعة من الصحابة ، وقد منع الشيعة من العمل بالقياس ، حتى اصبح ذلك من مذهبهم ، معتمدين على الآيات الكريمة التي منعت من العمل بالظن . ولم يقم عندهم دليل على جواز العمل به ، وقد جاءت الرواية مؤيدة لعموم الآيات الكريمة فيما يتعلق بخصوص القياس ، ففي العدة للطوسي عن علي (ع) أنه قال : لو كان الدين يؤخذ قياساً ، لكان باطن الخف اولى بالمسح من ظاهره ،

وعن ابي بكر أنه قال : أي سماء تظلني ، وأي ارض تقلني ، اذا قلت في كتاب الله برائي وعن عمر ابن الخطاب اياكم واصحاب الرأي فانهم اعداء السنن ، اعيتهم الاحاديث ان يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا . وقال : اياكم والمكايلة ! قيل له وما هي ؟ قال المقايسة ! ونقل في العدة عن جمع من الصحابة النهي عن استعمال القياس . وروايات اهل البيت صريحة في حرمة العمل به . منها ما ذكره في الوافي عن أبان بن تغلب عن ابي عبد الله (ع) انه قال السنة لا تقاس ، ألا ترى ان المرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها ، يا أبان ! أن السنة اذا قيست محق الدين . وفي الوافي عن ابي الحسن موسى (ع) انه قال : ما لكم والقياس ان الله لايسأل كيف احل وكيف حرم . وعن الصادق (ع) أن اصحاب المقاييس لم تزدهم الا بعداً عن الحق وأن دين الله لا يصاب بالقياس .

والشيعة قد يعتمدون على العلة المنصوصة احياناً ، ويلحقون غير المنصوص عليه بالمنصوص ، اذا وجدت فيه العلة ، اذا كانت علة للحكم . كما اذا ورد لا تشرب الخمر لأنه مسكر ، فيثبتون الحرمة لكل مسكر ، ولكن ذلك ليس من باب القياس ، وانما هو لأن الموضوع في الحقيقة هو المسكر ، فتكون كسائر القضايا الحقيقية التي يتعلق فيها الحكم على الموجود ، وما يفرض وجوده ، فكل ما فرض وجوده وكان مسكراً يحرم شربه ، وبهذا تمتاز علل الأحكام عن حكمة التشريع التي لا يضر تخلفها في بقاء الحكم .

## الفرق التي تفرعت عن الشيعة

يهمنا في هذا الفصل ان نقارن بين عقيدة الشيعة الإمامية ، وعقائد الفرق التي تفرعت عن التشيع لعلي وبنيه (ع) ، لذلك فانا نتحدث عنهم من ناحية العقيدة ، ليظهر للملأ مقدار الظلم الفاحش الذي يقع به من يكتب عن الشيعة الإمامية ، ويلصق بهم اوزار بعض الفرق التي كانت تدين بالولاء لعلي وولده ، ثم خرجت عن التشيع والاسلام ..

وأن عد الخوارج من فرق الشيعة ، كما يظهر من الشهرستاني في الملل والنحل لا اساس له . قال في المجلد الأول : اول من خرج على أمير المؤمنين علي (ع) جماعة ممن كان معه في حرب صفين ، واشدهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعث ابن قيس ، ومسلم بن فدك التميمي ، وزيد ابن حصن الطائي ، حين قالوا القوم يدعون الى كتاب الله وانت تدعونا الى السيف ..

لقد سبق منا أن التشيع يراد منه ان الحق في الخلافة لعلي (ع) لا لغيره ، وليس كل من أظهر له الطاعة ، بعد أن صارت الخلافة اليه من الشيعة ، فالجمهور من الناس يقولون بخلافته بعد مقتل عثمان عدا معاوية واتباعه من اهل الشام ، واول من قام بفكرة الخوارج هو الاشعث وجماعة معه في صفين ، وليس كل من كان معه إذا لم يرَ رأي الشيعة في الخلافة ، كان منهم ، وان دان له بالطاعة في ايام خلافته ، لذلك فان عد الخوارج من فرق الشيعة من الأخطاء التي لا يساعد عليها التاريخ ..

# الغـــلاة

واولهم الغلاة الذين افرطوا في الولاء لعلي (ع) حتى نسبوا اليه الألوهيه ، قال في المجلد الأول من شرح النهج : واول من جهر بالغلو في ايامه عبدالله بن سبأ ، قام اليه وهو يخطب فقال له انت انت ، وجعل يكررها ، فقال له ويلك من انا ؟ فقال انت الله ! فأمر باخذه واخذ قوم كانوا معه ، وعرضهم على النار ، فمن تاب ورجع خلي سبيله ، ومن اصر على مقالته احرقه بالنار ، وكان عبدالله بن سبأ ممن أظهر التوبة ، وتشفع فيه عبدالله ابن العباس فنفاه علي (ع) الى المدائن فاقام بها الى ان قتل علي (ع) . ولما بلغه قتله قال : والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ، لعلمنا انه لم يمت ولا يموت ، حتى يسوق العرب بعصاه . ونقل هذه المقالة النوبختي في كتابه فرق الشيعة وقال الشهرستاني في المجلد الاول : الغلاة هم الذين غلوا في حق ائمتهم ، حتى اخرجوهم عن حدود الخليقة ، وحكموا فيهم بأحكام الآلهة . وفي الكتاب المذكور : لقد تشعبت اصناف الغلاة حين زعموا أن علياً حي لم يقتل ، وفيه الجزء الآلهي وهو الذي يجيئ في السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه ، وانه سينزل بعد

ذلك الى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جوراً . وانما اظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي (ع) الى ربه ، واجتمع على مقالته جماعة ممن كان من شيعة علي (ع) وفي شرح النهج المجلد الثاني ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة ، فاراد ان يحدث لنفسه مقالة يستهوي بها قوماً ، وينال بها ما يريد الظفر به من الدنيا .

فغلى في علي (ع) ، وقال لوشاء علي (ع) لأحيا عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك ، ثم تفاقم امر الغلاة بعد المغيرة وامعنوا في الغلو فادعوا حلول الذات الآلهية المقدسة في قوم من سلالة امير المؤمنين ، وقالوا بالتناسخ وجحدوا البعث والنشور ، واسقطوا الثواب والعقاب ، وقال قوم منهم ان الثواب والعقاب ملاذ هذه الدنيا ومشاقها ، وتولدت من هذه المذاهب القديمة التي قال بها سلفهم ، مذاهب افحش منها قال بها خلفهم حين صاروا إلى المقالة المعروفة بالنصيرية ، وهي التي احدثها محمد بن نصير النميري وكان من اصحاب الحسن العسكري (ع) ، والمقالة المعروفة بالاسحاقية ، وهي التي احدثها اسحاق بن زيد ابن الحرث : وكان من اصحاب عبد الله ابن معاوية ابن عبدالله بن جعفر . وكان يقول بالاباحة واسقاط التكاليف ، وقال في علي أنه شريك للرسول في النبوة. واما محمد ابن نصير فلقد ادعى انه وكيل لابي الحسن علي الهادي ، ففضحه الله بما اظهره من الإلحاد والغلو ، والقول بالتناسخ . ثم ادعى انه نبي أرسله علي بن محمد ابن الرضا (ع) ، وجحد امامة الحسن العسكري ، ثم ادعى بعد ذلك الربوبية.وما في فرق الشيعة للنوبختي موافق لما في شرح النهج ، عن محمد ابن نصير.

وزاد النوبختي ، ان أتباع ابن نصير يسمون النميريه .

ومن فرق الغلاة الكاملية اصحاب ابي كامل ، وهؤلاء كفروا جميع الصحابة بتركهم بيعة علي (ع) ، وطعنوا في علي لأنه لم يطالب بحقه ، وقالوا بالتناسخ ، وان الإمامة نور يتناسخ من شخص لآخر ، وهو في شخص نبوة وفي آخر إمامة ذكر ذلك الشهرستاني .

وعن خطط المقريزي ان المغيرية من الغلاة ، وصاحبهم المغيرة بن سعيد ، لقد ادعى اولا ان الامام بعد الباقر (ع) هو محمد ابن عبدالله الحسن ، ثم ادعى الإمامة لنفسه وادعى بعد ذلك النبوة ، وقال بالتشبيه كما في الملل للشهرستاني .

ومنهم الخطابية اصحاب ابي الخطاب محمد ابن ابي زينب ، وكان متصلا بالإمام الصادق فلما وقف الإمام (ع) على غلوه الباطل تبرأ منه ولعنه وامر اصحابه بالبراءة منه ، وقد زعم أن الائمة انبياء ، ثم قال بالهية جعفر بن محمد وآبائه كما في الملل للشهرستاني .

ومنهم المنصورية اصحاب ابي منصور العجلي ، وكان من اصحاب الباقر (ع) فلما أظهر الغلو تبرأ منه الإمام (ع) فادعى الإمامة لنفسه ، وادعى الألوهية لعلي (ع) وأنه عرج الى السماء ، وأن الجنة والنار رجلان أمرنا بمعاداة احدهما ، وموالاة الآخر ، كما في الملل والنحل .

ومنهم العلبائية اصحاب العلباء بن دراع الدوسي أو الأسدي ، وكان يقول ان علياً هو الذي بعث محمداً ، وان محمداً بعث

ليدعو الى علي(ع) ، ومن هذه الفرقة من قال بالاهية خمسة اشخاص ، هم اصحاب الكساء ، وانهم شيئ واحد ، وقد حلت الروح فيهم بالسوية ، ذكر ذلك في الملل ، وفي كتاب الشيعة في التاريخ عن خطط المقريزي .

وللغلاة فرق كثيرة واقوال كلها فاسدة ، لاتتفق مع العقائد التي استمدها المسلمون من الكتاب الكريم ، والسنة الشريفة فضلا عن عقائد الشيعة الإمامية . ولقد تبرأ منهم أئمة الشيعة ، واعلنوا عن رأيهم بكل صراحة في اصحاب هذه الشبه والآراء الفاسدة ، ولقد قال الإمام الصادق (ع) في رواية رواها عنه أبان بن عثمان : كان والله امير المؤمنين عبداً طائعاً والويل لمن كذب علينا ، أني ذكرت عبدالله بن سبأ ، فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد أدعى امراً عظيماً ، ماله لعنه الله ، كان علي والله عبداً صالحاً ، ما نال الكرامة من الله الا بطاعته لله ، وما نال رسول الله الكرامة من الله تعالى الا بطاعته لله .

وذكر الشهرستاني في الملل أن أبا جعفر الباقر (ع) قال : برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد ، وبيان ابن سمعان ، فانهما كذبا علينا اهل البيت .

وروى زرارة أن أبا جعفر (ع) كان يقول : لعن الله بياناً التبان ، إن بياناً كان يكذب على ابي ، واشهد أن ابي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً .

وعن هشام ابن الحكم قال ، قال ابو عبدالله الصادق : إن بياناً والسري وبزيغاً لعنهم الله تراءى لهم الشيطان باحسن صوره

من قرنه إلى سرته ، رواه في الكافي والوافي وغيرهما .

وقد تقدمت الرواية عن الصادق (ع) ، في جملة من الكذابين منهم ابي الخطاب ، وحمزة اليزيدي ، والنهدي ، وبشار الاشعري والسري ، وقد لعنهم جميعاً وعن اسحق ابن عمار ، ان أباعبدالله قال لبشار الاشعري لما دخل عليه ، أخرج عني لعنك الله ، والله لايظلني وإياك سقف ابداً. فلما خرج قال (ع) ويله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر احداً . إنه شيطان ابن شيطان ، خرج ليغوي اصحابي وشيعتي فاحذروه ، وليبلغ الشاهد الغائب .

وفي منهج المقال عن ابي محمد الحسن العسكري ، انه كتب ابتداءمنه الى احد مواليه ، اني ابرأ الى الله من محمدبن نصير الفهري وابن بابا القمي ، فابرأ منهما ، وأني محذرك وجميع موالي ومخبرك اني العنهما ، عليهما لعنة الله ، فتانين موذيين آذاهما الله يزعم ابن بابا اني بعثته نبياً ، وانه بابي ، ويله لعنه الله ، سخر منه الشيطان فاغواه ، فلعن الله من قبل منه ذلك ، يا محمد إن قدرت أن تشرخ رأسه فافعل .

وفي حديث للأمام زين العابدين ، مع جماعة من اصحابه قال لهم : ما برح حبكم لنا حتى اصبح علينا عاراً ، ينهاهم عن الإسراف في المدح والولاء البالغ مرتبة الغلو ، والخارج عما تألفه طباع البشر . وقال الامام الصادق وهو يعلم اصحابه ، كيف يذكرون أئمة أهل البيت . لنا ذكر في كتاب الله ، ونسب من رسول الله ، وولادة طيبة ، هكذا قولوا للناس ! ! ولعل من أهم العوامل لتفشي هذه الآراء الفاسدة في زمن العباسيين ،

حرص الحكام على اضعاف السلطة الروحية التي كان يتمتع بها ائمة الشيعة ، فرفعت من مكانتهم العالية في نفوس الجماهير ، فظن الحكام ان في هذا الاتجاه سبيلا للحط من مكانتهم ، بعدما رأوا أن القتل والتشريد والاضطهاد قربهم الى الناس ، وجر عليهم العطف والتظلم لحالهم ، فلجأوا الى هذا الأسلوب ، ويشهد لذلك ما رواه المفيد في ارشاده ، ان المتوكل قال يوماً لبعض خاصته : ويحكم قد اعياني امر ابن الرضا (ع) ، وجهدت أن يشرب معي وينادمني ، فامتنع ، وجهدت أن أجد فرصة في هذا المعنى ، فلم اجدها . فقال له بعض من حضر : ان لم تجد من ابن الرضا ما تريد ، فهذا اخوه موسى يشرب ويخالع ، فأحضره وأشهره فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك ، فلا يفرق الناس بينه وبين اخيه ، ومن عرفه اتهم أخاه بمثل فعاله .

# الكيسانية

قال الشهرستاني : الكيسانية هم اصحاب كيسان مولى امير المؤمنين علي ابن ابي طالب ، وقيل انه تلميذ محمد ابن الحنفية ، ويعتقدون فيه الاحاطة بالعلوم كلها ، واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها ، ويرون ان الدين طاعة رجل ، حتى حملهم ذلك على تأويل الأحكام الشرعية ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج . وقال بعضهم بجواز تركها بعد الوصول إلى طاعة الرجل . وقالوا بالتناسخ والحلول والرجعة ، وهؤلاء بين قائل بان الإمامة في واحد لا يموت ، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً ، وبين من يقول بانتقال الامامة الى غيره . وذكر الشهرستاني منهم المختارية اصحاب المختار الثقفي ، وعده من الكيسانية القائلين بامامة محمد ابن الحنفية ، وأن محمداً تبرأ منه لما اطلع على سوء عقيدته ، ونسب اليه القول بالبداء ، وأن الملائكة تنزل عليه على صورة حمام أبيض ، وعنده كرسي مغشى بالديباج ، يدعى انه من ذخائر امير المؤمنين (ع) ومنهم الهاشمية اتباع ابي هاشم بن محمد ابن الحنفية ، وقد انتقلت اليه الامامة من ابيه ، ونسبوا اليه علم الظاهر والباطن ، وجميع اسرار العلوم ،

وانه ورث ذلك عن ابيه ، واخذها ابوه عن جده علي (ع) ، وافترقوا بعده ذلك الى فرق خمسة احدها اوصى الى محمد بن علي ابن عبدالله ابن العباس ، وصارت الخلافة في ولده حتى انتهت الى أبي العباس السفاح ، ولهم الحق في ذلك لاتصالهم برسول الله (ص) ، وفرقة منهم تدعي انتقال الخلافة من ابي هاشم الى ابن اخيه الحسن بن علي بن محمدابن الحنفية ، وفرقة تدعي انتقالها من ابي هاشم الى اخيه علي بن محمد . وقالت فرقة بخروجها من بني هاشم الى عبدالله بن عمرو الكندي بوصية من ابي هاشم ، وأن روح ابي هاشم تحولت اليه ، ولكنه كان مستهتراً في الدين لذلك رجع من قال بامامته الى عبدالله بن معاوية ابن عبدالله ابن جعفر . وكان يرى تناسخ الأرواح من شخص الى آخر ، وأن روح الله تناسخت حتى وصلت اليه ، وحلت فيه ، وادعى الآلهية والنبوة معاً ، وانكر القيامة والثواب والعقاب ، وبعد أن مات بخرسان افترق اصحابه ، فبين من يقول بانه حي لم يمت ، وآخر بان روحه تحولت الى اسحاق بن زيد الحارث الأنصاري وهؤلاء يسمون الحارثية . يقولون باباحة المحارم ويعيشون عيشة من لا تكليف عليه . وقد حصل بين اصحاب عبدالله بن معاوية واصحاب محمد بن علي ابن عبدالله العباس خلاف في الإمامة ، وكل يدعي الوصية من ابي هاشم اليه .

ومنهم البيانية اتباع بيان بن سمعان النهدي ، القائلين بانتقال الإمامة من ابي هاشم اليه ، وهؤلاء يقولون بألهية علي (ع) وقالوا في تفسير قوله تعالى : ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله

في ظلل من الغمام ) ان المراد بذلك علي (ع) وان الرعد صوته والبرق بسمته . ثم ادعى بيان انتقال الجزء الآلهي اليه بنوع من التناسخ ، وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم سجود الملائكة ، وزعم أن معبوده على صورة انسان ، وأنه يهلك إلا وجهه ، وهو المعني بقوله كل شيء هالك الا وجهه ، والنهدي صاحب هذه المقالة قتله خالد بن عبدالله القسري . ومن فرق الكيسانية الرزامية اتباع ( رزام ) وهؤلاء ساقوا الإمامة من علي (ع) الى ابنه محمد ثم الى ابي هاشم ، ومنه الى علي ابن عبدالله العباس بالوصية ، ومنه الى محمد بن علي وولده إبراهيم . وقد ظهر بخراسان في أيام ابي مسلم ، وقيل انه كان على مذهبه ، وادعوا حلول الروح فيه ، ولهذا أيده الله على بني أمية ، وقالوا بتناسخ الأرواح ، ومنهم المقنع الخراساني ، وهو عطاء الساحر ، وقد ادعى الآلهية لنفسه وتبعه جماعة دانوا بترك الفرائض ، وأن الدين معرفة الإمام لا غير ، ولهم اقوال كثيرة غير هذه ، وقد اقتبسنا هذا ولخصناه من ملل الشهرستاني . وفي فرق الشيعة للنوبختي ان الكيسانية تنسب الى المختار الثقفي ، لأنه الملقب بكيسان ، وينسب اليه النوبختي أنه كان يكفر من تقدم علياً ، وانه يزعم نزول الوحي عليه ، كما تقدم ذلك عن ( الملل ) ، ثم يستطرد النوبختي في تعداد فرق الكيسانية ، باختلاف يسير عن صاحب الملل ، ولكنهما يشتركان في نسبة العقائد الفاسدة ، والآراء الشاذة ، والغلو في الائمة ، والافراط في الزندقة ، لكثير من هذه الفرق الضالة . ويذكر النوبختي ان الكربية اصحاب ابن

كرب ، ومنهم حمزة بن عمار البربري ، كانوا يعتقدون اولا ان الإمامة لمحمد ابن الحنفية ، وهو المهدي ، كما سماه أبوه بهذا الاسم ، وانه غائب لا يموت ، وسيرجع فيملك الأرض ، ثم تطورت عقيدتهم فادعى حمزة البربري انه نبي هذه الأمة ، وأن محمداً هو الله . وقد بعثه رسولا من قبله ، وينقل عنه غير ذلك مما يوجب الكفر والزندقة ، وان ابا جعفر محمد بن علي (ع) لعنه وتبرأ منه وكذبه في كل ما يدعيه ، واوصى اصحابه بالبراءة منه فرجع عنه اصحابه إلا بيان بن سمعان ومائد النهدي . وقد تقدمت الرواية عن الامامين الصادق والباقر (ع) في شأن هذين ، ومهما يكن الحال فجميع فرق الكيسانية ان صح ما ينسب اليهم ، فلا نشك بكفرهم ، وخروجهم عن الاسلام ، فضلا عن التشيع ، وان لم يصح عنهم ذلك فهم كسائر المسلمين المحكوم باسلامهم ، وان خالفوا الإمامية في ترتيب الأمامة على النهج المتعارف عند الشيعة ، وأما المختار الثقفي فقد ذكره التاريخ والباحثون في الملل والعقائد ، ونسبوا اليه بعض الأباطيل التي لا تتفق مع اركان الاسلام واصوله .

والفريق الكبير من علماء الشيعة الامامية ينزه المختار مما نسب اليه من الاباطيل ، منهم العلامة الحلي وابن طاووس ، والمحقق الأردبيلي ، وغيرهم من اعيان العلماء . كما ذكر ذلك السيد عبد الرزاق فيما كتبه حول تنزيه المختار ، ولقد ورد الحديث عن ائمة اهل البيت في الطعن عليه ، والبراءة منه ، وورد ما يدل على ولائه واستقامته في عقيدته ، وفي بعضها أن الإمامين السجاد

وولده الباقر (ع) كانا يترحمان عليه ويذكراه باطيب الذكر .

وليس من البعيد ان يكون للظروف القاسية التي كانت تحيط بالامامين أعظم الأثر في ذمه والبراءة منه،وليس في تمسكه بمحمد ابن الحنفية دليل قاطع على أنه قال بامامته ، ومن القريب ان يكون اراد بذلك استجلاب الناس، ليتم له ما اراد من التنكيل بقتلة الحسين (ع) وفي نفس الوقت اراد أن يبقى الامام الشرعي زين العابدين ، بعيداً عن التدخل بشؤون السلطان ، خوفاً أن تناله يد السوء والبغضاء ، كما نالت اباه من قبله ، ومهما يكن حاله فلقد وقف موقفاً لا ينساه له التاريخ ، ولا صاحب الرسالة وابناؤه ائمة الهدى،حارب البغي والجور ، ونصر العترة الطاهرة وجرى على يده ما خفف عن اهل البيت من الآم تلك الفاجعة الأليمة ، التي بكى لها النبي قبل وقوعها بعشرات السنين .

# الزيدية

لقد كثرت الروايات عن أئمة أهل البيت في فضل زيد بن علي ونزاهته عما نسب إليه في أمر الإمامة ، وجاء في حديث الإمام الرضا ( ع ) مع المأمون : يا أمير المؤمنين! لا تقس أخي زيداً الى زيد بن علي بن الحسين ، فانه من علماء آل محمد ( ص ) ، غضب لله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله . ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر ( ع ) أنه سمع أبا جعفر ( ع ) يقول رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلي الرضا من آل محمد . ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له يا عم ! إن رضيت أن تكون أنت المقتول بالكناسة فشأنك ، فلما ولي قال جعفر بن محمد ( ع ) ويل لمن سمع داعيته ولم يجبه. فقال له المأمون يا أبا الحسن: أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ماجاء! قال الرضا ( ع ) : إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق ، وأنه كان أتقى لله من ذلك . انه قال : أدعوكم إلى الرضا من آل محمد . وفي كفاية الأثر عن عمرو ابن المتوكل البلخي عن أبيه ، قال : لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه إلى خراسان ، فما رأيت رجلا في فضله وعقله مثله ، فسألته عن أبيه فقال : قتل

وصلب بالكناسة ، ثم بكى وبكيت حتى غشي عليه فلما سكن ، قال رحم الله أبي ، كان أحد المتعبدين ، قائماً ليله ، صائماً نهاره جاهد في سبيل الله حق جهاده ، فقلت يا ابن رسول الله ! هكذا يكون الإمام بهذه الصفة ؟ فقال يا عبد الله إن أبي لم يكن بامام، ولكن كان من السادة الكرام وزهادهم ، وكان من المجاهدين في سبيل الله . قلت يا ابن رسول الله إن أباك قد ادعى الإمامةلنفسه، وخرج مجاهداً في سبيل الله ، وقد جاء عن رسول الله ( ص ) فيمن ادعى الإمامة كاذباً ، فقال : مه ، مه ! يا عبد الله ! إن أبي كان أعقل من أن يدعي ما ليس له بحق ، إنما قال أدعوكم إلى الرضا من آل محمد ، عنى بذلك ابن عمي جعفراً ( ع ) ، قلت فهو اليوم صاحب فقه ! قال نعم ! هو أفقه بني هاشم ، وغير هاتين مما هو صريح في أنه لم يطلب الإمامة لنفسه . وورد عن الباقر ( ع ) ويل لمن سمع داعيته ولم يجبه ، وعن الصادق : إذا دعاكم فأجيبوه ، وإذا استنصركم فانصروه ، ويظهر من الروايات الكثيرة أنه كان في المرتبة الثانية بعد الإمام في علمه وقداسته وإخلاصه لله سبحانه ، ولمبادىء الإسلام المقدسة بعد أئمة هذا البيت ، وبهذا الدافع كانت ثورته ، ولم ترض له نفسه الكبيرة أن يرى هشاماً يتحداه ، ويشتم سيد الهاشميين في زمانه أخاه الباقر ، وقد وفد عليه زيد ليشكو إليه ظلم عماله ، وسوء صنيعهم مع الرعية ، فحجبه هشام على بابه أياماً مع سوقة الناس ولما دخل عليه أوعز لمن في مجلسه من الأذناب وعباد الشهوات والأطماع أن لا يفسحوا له ليجلس مع الناس ، فوقف زيد وهو

يردد : ( ما أحب الحياة أحد إلا ذل ) ، فتحداه هشام بقوله : بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ، ولست هناك لأنك ابن أمة ، فقال زيد إن الله اختار إسماعيل بن ابراهيم وبعثه نبياً وهو ابن أمة وأخرج منه خير البشر ، فلم يدر هشام ما يجيب ، فعدل إلى أسلوب آخر فرضه عليه حقده وعداوته لله ولرسوله ، فقال لزيد ما فعل أخوك البقرة ؟ فغضب زيد حتى كاد أن يخرج من إهابه وقال : سماه رسول الله الباقر ، وأنت تسميه البقرة ، لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا ، فيرد الجنة وترد النار ، فأخرجه هشام من مجلسه وهو يريد به المدينة ، وعلم زيد أن في ذلك هلاكه على يد عاملها ، فالتجأ إلى الكوفة وفيها أكبر مجموعة من شيعة آبائه وأعداء البيت الأموي الجبار ، فكان من أمره ما قصه علينا التاريخ

ومهما يكن الحال فالذي يهمنا أن نتعرف على الزيدية من ناحية العقيدة ، لنعرف مدى اتصالهم بالشيعة الإمامية . والذي يظهر من الشهرستاني أن الزيدية المنسوبين إلى زيد بن علي ( ع ) خصوا الإمامة في أولاد فاطمة ( ع ) ولكنهم يخالفون ما عليه الإمامية فهي عندهم لكل عالم زاهد شجاع خرج بالسيف ، فمن جمع هذه الصفات كان إماماً ، تجب إطاعته ، من أولاد الحسن أو الحسين ( ع ) ، ولذلك قالوا بامامة محمد وإبراهيم ابني عبد الله ابن الحسن وقد خرج في أيام المنصور ، وتجوز عندهم الإمامة لشخصين في عصر واحد إذا خرجا في قطرين وجمعا لشروط الإمامة .

وفي الملل للشهرستاني أن زيداً تلمذ على واصل بن عطاء المعتزلي ، وكان يرى رأي المعتزلة في الخلافة الإسلامية ، وأن شيعة

الكوفة رفضوه لأنه لم يتبرأ من الشيخين ، وكان له مع أخيه الباقر جدال حول تلمذته على واصل بن عطاء ، مع انه يجيز الخطأ على علي ( ع ) في قتال أهل البصرة وأهل الشام ، ويرى فيه غير ما يراه آباؤه وأكثر المسلمين ،ولأنه يشترط في الإمامية الخروج بالسيف . كان الإمام الباقر ينقض عليه قوله بامامة أبيه التي يقول فيها زيد مع انه لم يخرج على أحد بالسيف . وبعد أن قتل زيد وقام ولده يحيى بالسيف قال بامامته أصحاب هذه العقيدة ومضى إلى خراسان والتف حوله جمع ممن يرى ظلامة أهل البيت ، وبعد قتال جرى لهم مع ولاة بني أمية قتل يحيى بالجوزجان ، وخفت أمر الزيدية إلى أن ظهر بخراسان ، ناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن ابن عمروبن الحسين ( ع ) وكان يلقب بالناصر فتبعه الوالي ، فخرج إلى الديلم وأهله على غير الإسلام ، فدعاهم إليه على مذهب زيد بن علي ، فدخلوا فيه على مذهب الزيدية في الأصول والفروع ، وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية .

والجارودية هم أصحاب أبي الجارود ، وهو زياد بن المنذر الهمذاني ، وهم يقولون بالنص على علي ( ع ) بوصفه لا باسمه وهو يخالف زيداً في رأيه بمن تقدم علياً من الخلفاء الراشدين ، ويذهب قسم منهم إلى أن الإمام بعد زيد هو محمد بن عبد الله بن الحسن ، وعلى رأيهم في ذلك أبو حنيفة . وفي مقاتل الطالبيين أن أبا حنيفة كتب إلى ابراهيم أخي محمد بن عبد الله ، يشير عليه أن قصد الكوفة سراً ، لأن فيها من الشيعة من يبيت المنصور ويقتله

فظفر المنصور في الكتاب وبعث إليه فسقاه الشربة فمات فيها . وقيل أنه قتله لانه أبى أن يتولى له القضاء . والقائلين بامامة محمد ابن عبد الله بن الحسن ، ذهب بعضهم إلى أنه المهدي ، وأنهحي لم يقتل ، وسيخرج فيملأ الأرض عدلا ، وذهب آخرون أنهقتل وانتقل الأمر منه الى محمد بن القاسم بن عمرو بن علي ابن الحسين صاحب الطالقان . وكانت العامة تلقبه الصوفي ، لأنه كان يدمن لبس الصوف ، وقد مات في حبس المعتصم ، وفرقة تدعي انتقال الامامة ليحيي بن عمر صاحب الكوفة ، وهو يحيى بن عمربن يحيي بن الحسين بن زيد ، وقتل في أيام المستعين فهؤلاء اتباع ابي الجارود ، وكان يسمى سرحوب . سماه بذلك الأمام الباقر (ع) وقد فسره الأمام (ع) بأنه شيطان اعمى يسكن البحر . واما السليمانية فهم اصحاب سليمان بن جرير ، وكان يرى ان الإمامة شوري بين المسلمين ، وتصح في المفضول مع وجود الأفضل ، يخطئ الأمة في اختيارها غير علي (ع) ويرى أن عثمان قد احدث في الأسلام مالم يعهد من قبل ، ويرى ضلال عائشة وطلحة والزبير ، لاقدامهم على قتال الخليفة الشرعي ، وتبعه جماعة من المعتزلة منهم كثير بن اسماعيل النواء ، قالوا بوجوب الأمامة لاقامة الحدود ، وولاية الأيتام ، وحفظ بيضة الاسلام ، وقتال الأعداء وغير ذلك من المصالح الراجعة لشؤون المسلمين . ولا يجب ان يكون الأمام افضل اهل زمانه ، لأن هذه المصالح تقوم بالمفضول كما تقوم بالأفضل . واما البترية والصالحية وهم اصحاب كثير النواء الأبتر ، فليس بين قولهم

وقول من تقدمهم ، فيما يرجع الى الإمامة واصول الدين اختلاف جوهري ، غير أنهما يجيزا ظهور امامين في عصر واحد، كل واحد في قطر خاص. وما ذكرناه من رأي الزيدية في الإمامة واختلافهم في ترتيبها ، وعقيدتهم في الامام لخصناه من ملل الشهرستاني ومن فرق النوبختي ، بعد أن عدد فرقهم وذكر منها الجارودية وهم اتباع زياد بن المنذر الملقب بسرحوب ، والعجلية، والبترية نسب الى الجارودية القول بان جميع ما جاء به محمد (ص) من حلال وحرام ، هو عند آل النبي ، صغيرهم وكبيرهم فيه سواء حتى من كان في المهد ، ومن شك في ذلك فهو كافر بالله . واما غير الجارودية فلا يرون هذا الرأي في أهل البيت، ويرون ان العلم مشترك بينهم وبين سائر الناس ، ويمكن أن يكون لغيرهم ما لهم ، وان يكون أعلم منهم ، وجميع من كتب عن الزيدية وتعرض لعقيدتهم ، لم ينسب اليهم الشذوذ والخروج على اصول الاسلام وفروعه الضرورية ، وانما يختلفون مع غيرهم من المسلمين في اصل الامامة، وهم كما يخالفون الشيعة يخالفون فيها اهل السنة ، فهم بنظر الشيعة كغيرهم من المسلمين الحافظين لأصول الأسلام وفروعه ، كما جاءت في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الشريفة . ويرون لهم ما لغيرهم من الحقوق التي فرضت على المسلم لأخيه المسلم . والشيعة يرحبون بكل من ينتسب الى التشيع على ان يكون معتدلا في عقيدته ، موالياً لاهل البيت كما حددوا الولاء لشيعتهم ، ذكر في كتاب الله ، ونسب يتصل برسول الله ، وولادة طيبة .

# الإسماعيلية

لقد ظهر مذهب الاسماعلية بعد وفاة الامام جعفر بن محمد (ع) ، وقد كانت حياة الإمام (ع) اثقل ما تكون على المنصور وحاول أن يخلق سبباً يموه به على الناس ، إن هو قتله ، فلم يجد لذلك سبيلا . وقبل موته اوصى الى ستة نفر احدهم المنصور ، لعلمه ان المنصور سيتتبع خلفه كما كان يراقبه في حياته ، لذلك تكتم في الوصاية الى الامام الشرعي ولده موسى (ع) وبقي شيعته المنتشرون في انحاء الدولة الإسلامية في حيرة بعد وفاته ، وأخيراً اهتدى اليه جماعة منهم ، وقالت فرقة منهم بامامة ولده اسماعيل ، وكان قد مات في حياة ابيه ، وحملت جنازته على رقاب الناس ، وتقدم الامام سريره وامر بوضعه على الأرض مراراً كثيرة ، وكشف عن وجهه ليراه الناس ، وتزول الشبهة حول وفاته ، وكتب سجلا في وفاته ، اشهد عليه جماعة ، منهم أمير المدينة وارسله الى المنصور ، كما ذكر ذلك في شرح النهج ومع كل ذلك فقد قالت فرقة من الشيعة بحياته بعد ابيه ، وادعت ان الامام أظهر موته خوفاً عليه من خلفاء بني عباس ، وقالوا بامامته. وفي الملل للشهرستاني : انه رفع الى المنصور أن اسماعيل

ابن جعفر روئي بالبصرة ، وانه مر على مقعد فدعا له فبرئ باذن الله تعالى ، فبعث المنصور يخبره ان ولده اسماعيل من الأحياء وانه روئي في البصرة وارجع السجل اليه وعليه شهادة امير المدينة

تدلنا هذه الرواية أن المنصور كان يهتم في تشتيت امر الشيعة ، ليحول بينهم وبين الأمام الشرعي موسى بن جعفر (ع) وقد لعب دوراً هاماً في ترويج هذه الشائعة ، لتنتشر بين ضعفاء الشيعة فيرجعوا اليه بعد ابيه ، ولم يكن المنصور ممن يؤمن بصدق هذا الخبر لو فرض انه أخبر بذلك ، وليس من البعيد أن يكون قد خلق هذه الشائعة ، ليخلق المزاحم للامام الجديد ، فغرس هذه النواة وتعاهدها بمطاردة الإمام موسى بن جعفر (ع) حتى اضطره للتستر حتى عن الخواص من شيعته ، فاصبحت فكرة حياة اسماعيل بعد ابيه عقيدة لطائفة من المسلمين ، لايزال أثرها الى اليوم ، ومهما يكن الحال ، فالاسماعلية يقولون بامامة ولده محمد بن اسماعيل من بعده ، وبه يبتدئ المستورون من الائمة الذين يسيرون في البلاد سراً ، ويظهرون الدعاة جهراً وهؤلاء يقولون بان الأرض لن تخلو من امام حي قائم إما ظاهر مكشوف واما باطن مستور ، لابد من ظهور دعاته ، ويزعمون أن الائمة تدوراحكامهم على سبعة سبعة ، كأيام الأسبوع ، والسماوات السبع والكواكب السبع ، وقد انتهى الدور الأول بأمامة اسماعيل وابتدأ الدور الثاني بامامة ولده محمد بن اسماعيل . وهكذا كل دور ينتهي بسبعة من الائمة ويقولون أن العالم السفلي تديره الكواكب السبعة : زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر.

ولهم عقائد اخرى لا ترتكز على الأسس الاسلامية، ولا صلة لها بعقائد الشيعة الامامية . وقد ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل ، وفي فرق الشيعة للنوبختي ان الفرقة الثانية ، من فرق الاسماعيلية ، القائلون بامامة محمد بن اسماعيل، قالوا أن الإمامة كانت لاسماعيل ، فلما مات في حياة ابيه جعلها جعفر بن محمد ، لولده محمد بن اسماعيل . ولا تنتقل الامامة من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين (ع) ولا تكون الا في الاعقاب ، وليس لعبد الله وموسى بن جعفر في الإمامة من نصيب ، كما لم يكن لمحمد ابن الحنفية حق فيها مع بن اخيه علي ابن الحسين (ع) .واصحاب هذا القول يسمون المباركية وينسبون الى المبارك مولى اسماعيل بن جعفر . ويقول النوبختي ان فرقة من الخطابية اصحاب ابي الخطاب محمد ابن ابي زينب ، دخلت في الإسماعلية ، واقرت بموت اسماعيل في حياة ابيه وأن الإمامة لولده محمد بن اسماعيل . وانما رجع هؤلاء الى امامة محمد بن اسماعيل بعد ان قالوا بنبوة أبي الخطاب ، وحاربهم عيسى بن موسى بن محمد امير الكوفة ، فقتلهم ، وكانوا سبعين رجلا ولم يفلت منهم الا رجل واحد يسمى سالم بن مكرم الجمال الملقب بابي خديجة ، وبعد قتل ابي الخطاب رجع من قال بمقالته من اهل الكوفة الى امامة محمد بن اسماعيل كما ذكرنا .

ولهؤلاء مذاهب شتى ، فمنهم من قال بأن روح جعفر (ع) تحولت الى ابي الخطاب ، ومنه الى محمد بن اسماعيل وساقوا الإمامة في ولده ،وتشعبت منهم فرقة تسمى القرامطة ، وسميت

بذلك لنسبتها الى رجل من اهل السواد من الأنباط ، كان يلقب قرموطية ، كما ذكر المرتضى في الفصول المختارة من كلام المفيد، وكانوا اولا يقولون بمقالة المباركية، ثم خالفوهم الى أن الائمة سبعة اولهم علي وسابعهم اسماعيل ، ومنه الى ولده محمد ، وهو القائم المهدي وزعموا أن النبي قد انقطعت عنه الرسالة في حياته يوم أمر بنصب علي (ع) في غدير خم . وان محمد بن اسماعيل حي في بلاد الروم ، وهو القائم المهدي ، ويريدون بالقائم انه يأتي بشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد (ص) ، وأنه من اولي العزم ، واولو العزم عندهم سبعة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن اسماعيل . واحتجوا على نسخ شريعة محمد (ص) بما رووه عن ابي جعفر (ع) أنه لو قام قائمنا علمتم القرآن جديداً . وأنه قال ان الاسلام بدئ غريباً وسيعود كما بدئ، فطوبى للغرباء ، وقالوا أن الله سبحانه جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ، ويريدون بها الاباحة للمحارم ، وجميع ما خلق الله في الدنيا ، وهو المراد بقوله : ( فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ) وفسروها بموسى بن جعفر وولده ، يعنون بذلك أن لا نصيب لهم في الأمامة. ومن يدعي إمامة موسى وولده يجب قتله ، بمقتضى قوله تعالى ( قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ) الى كثير من الآراء الفاسدة ، والعقائد الباطلة التي لا تتفق وتعاليم القرآن ، واحاديث النبي الكريم ، وعقائد المسلمين . ويظهر من للشهرستاني ان الباطنية كانوا يسمون في العراق القرامطة، وفي خراسان الملاحدة، وانهم

من فرق الاسماعلية ، وان مذهبهم نشأ في منتصف القرن الثالث ، ويمتازون عن فرق الشيعة باسم الأسماعلية ، وانهم لا يثبتون الوجود والعدم لله ولا العلم ولا الجهل ، ولا القدرة والعجز ، لأن الاثبات الحقيقي له سبحانه يقتضي الشركة بينه وبين سائر الموجودات ، وذلك يؤدي الى التشبيه ، ولا يحكمون عليه بالاثبات المطلق ، ولا بالنفي المطلق ، لأنه إله المتقابلين ثم مضى يشرح آراءهم ومعتقداتهم شرحاً مسهباً لا يعنينا ذكره . وفي كتاب الشيعة في التاريخ ، أن القرامطة ينسبون الى حمدان الأشعث المعروف بقرمط ، لقصر قامته ورجليه ، وتقارب خطوه ، وقد ظهر بسواد الكوفة سنة ٢٦٤ واشتهر مذهبهم في العراق ، وقام منهم عبدالله الملقب بالمدثر ببلاد الشام ، وابو سعيد الجنابي بالبحرين ، ودخل جماعة في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن ، وهو تاويل شرائع الاسلام .

وفي مجمع البحرين : والقرمطي واحد القرامطة ، ومنه تحول الرجل قرمطياً ، وهم فرقة من الخوارج عن الاسلام . وعن البهائي : ان القرامطة دخلوا مكة سنة ٣١٠ في أيام الموسم ، واخذوا الحجر الأسود ، وبقي عندهم عشرين سنة ، وقتلوا خلقاً كثيراً ، وممن قتلوا علي بن بابويه ، كان يطوف بالبيت فقطعوا طوافه ، وضربوه بالسيف فانشق

ترى المحبين صرعى في ديارهم
كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

وفي التعليقة على الملل والنحل : أن مذهب القرامطة نشأ في

منتصف القرن الثالث ، وضعه قوم أشرب في قلوبهم بغض الدين ، وكراهية النبي الكريم ، من الفلاسفة والملاحدة والمجوس واليهود ، ليصرفوا الناس عن دين الله الى ان قال : وكان اصل دعوتهم ظهور ميمون القداح سنة ١٧٦ ، فنصب للمسلمين الحبائل وذهب الى ان الفرائض والسنن رموز واشارات ، وهو يقول بامامة علي (ع) خاصة ، ليستر بجلال الاسلام وبجاه علي وآله كفره وزندقته ، وكان يسر اليهودية ويظهر الإسلام ، وظهر ايام قرمط فاجتمعا وأخذا ناموساً يدعوان اليه ، فسموا بالقرامطة ، واجتمع عليهم جماعة يفسدون في الأرض ، وفي كتب السير والملل اختلاف حول مبدء ظهورهم ، واول من خرج منهم وكيفية اتساع امرهم ، وكل من كتب عنهم ذكر لهم مالا يتفق مع تعاليم الاسلام وأصوله ، فهم عند الشيعة اسوأ حالا من الغلاة والخوارج ومن الظلم نسبتهم الى الاسلام فضلا عن التشيع لاهل البيت .

# الشمطية والفطحية

قال النوبختي : قالت الفرقة الرابعة من اصحاب ابي عبدالله الصادق ، أن الامامة من بعده لمحمد بن جعفر ، وهوموسى واسحاق لأم واحدة ،وفي الفصول المختارة للمفيد : أن أباعبدالله جعفر بن محمد كان في داره جالساً ، فدخل عليه ولده محمد ، وهو صبي صغير ، فعدا اليه فكبا في قميصه ووقع لوجهه ، فقام اليه ابو عبدالله فقبله ،ومسح التراب عن وجهه ، وضمه الى صدره وقال: سمعت ابي يقول اذا ولد لك ولد يشبهني فسمه باسمي ، وهذا الولد شبيهي وشبيه رسول الله ، وهذه الفرقة تسمى الشمطية بنسبتها الى رجل يقال له يحيى ابن ابي الشمط .

وقال المفيد في الارشاد : كان محمد بن جعفر شيخاً شجاعاً يصوم يوماً ويفطر آخر ، ويرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف وقد خرج على المأمون بمكة ، وتبعه الزيدية الجارودية ، وذكر هذه الفرقة الشهرستاني ، وكل من تعرض لها لم ينسب لها ما يتنافى مع عقائد المسلمين .

وفي فرق النوبختي وملل الشهرستاني وغيرهما ، أن القائلين بامامة عبدالله بن جعفر الملقب بالأفطح هم الفطحية ، وهو

واسماعيل لأم واحدة واكبر اولاد الامام جعفر، وفي فصول المفيد زعموا أن أباه قد قال : الامامة لا تكون الا في الاكبر من ولد الإمام . وقد كان عبدالله افطح الرجلين ، وقيل أن لهم رئيساً من أهل الكوفة اسمه عبد الله الأفطح ، ومهما يكن فقد قال بامامة عبدالله بن جعفر جمع كبير من الشيعة ، وساعده على ذلك تكتم الامام موسى خوفاً من المنصور والرشيد . وبعد أن اختبره بعض الأعيان من الشيعة في بعض امور الدين ، رجعوا عن امامته . وفي الإرشاد ان عبدالله بن جعفر ، كان اكبر اولاد الامام جعفر بعد اسماعيل ، ولم تكن منزلته عند ابيه كغيره من ولده ، وكان متهماً بالخلاف عليه في الاعتقاد ويخالط الحشوية ، ويميل الى مذهب المرجئة ، وادعى لنفسه الإمامة. والمرجئة قسم من الخوارج يرون رأيهم فيما يتعلق ببعض مسائل الإمامة ، وللإرجاء معنيين : احدهما التأخير ، والثاني اعطاء الرجاء . وهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية . كما لاينفع مع الكفر طاعة ، والارجاء بمعنى التأخير وهو تأخير صاحب الكبيرة الى يوم القيمة ، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا ، او تأخير علي (ع) الى الدرجة الرابعة كما سارت عليه الخلافة الإسلامية .

# الوَاقِفــيَّة

ولقد اشتدت الأزمة على الشيعة بعد وفاة الإمام موسى بن جعفر (ع)، وكان وزير الرشيد يحيى بن خالد البرمكي يقول : لقد افسدت على الرافضة دينهم ، لانهم يقولون أن الدين لا يقوم الا بامام حي ، وهم لايدرون اليوم أن إمامهم حي أو ميت ، واشتد الرشيد على الشيعة وتبعهم بالوان من العذاب والجور ، فتفرقوا في امر الإمامة بعد موسى بن جعفر ، فقالت فرقة منهم بامامة الرضا (ع) وفرقة بقيت على حياة الامام موسى ، وانه لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا ، كما ملئت جوراً . وذهب قوم منهم الى أنه يرجع الى الحياة بعد أن مات ، ولكنه اختفى ، ومن وقف عليه ، ولم يقل بانتقال الامامة الى الإمام علي بن موسى (ع) يسمون الواقفية . ومن هؤلاء فرقة يقال لها البشيرية ، اصحاب محمد بن بشير من أهل الكوفة ، يقولون أن موسى لم يمت ولم يحبس ، وانه حي غائب وهو القائم المهدي ، وقد استخلف في ايام غيبته محمد بن بشير واوصى اليه ، وعلمه جميع ما تحتاج اليه الرعية ، وقد اوصى محمد بن بشير الى ولده سميع بن محمد ، وهكذا تنتقل الإمامة من واحد لآخر في زمن

غيبة الإمام موسى . ولقد طعن هؤلاء على الامام الرضا (ع) ومن جاء من بعده من الائمة وكفروا القائلين بامامتهم .

وزعموا أن الفرض من الله الصلاة والخمس والصيام ، وانكروا الحج وبقية الفرائض ، وينتسب اليهم القول بالاباحة المطلقه ، والتناسخ . وأن الأئمة ينتقلون من بدن الى بدن وامثال ذلك من المقالات الفاسدة ، كما ذكر ذلك النوبختي .

وفي الغيبة للطوسي : أن اول من اظهر عقيدة الوقف علي بن ابي حمزة البطائني ، وزياد بن مروان القندي ، وعلي بن عيسى الرواسبي . وذكر أن السبب في ذلك الأموال الكثيرة التي كانت عند وكلائه ، فكان له عند زياد بن مروان القندي سبعون الف دينار ، وعند علي بن حمزة ثلاثون الفاً وله عند غيرهما . لذا فانهم انكروا وفاته كي لاتؤخذ الاموال من ايديهم ، ومهما يكن فان من قال بمقالة محمد بن بشير واتباعه ، فهو كغيره من فرق الضلال خارج عن الاسلام ومقدساته . والفرق على كثرتها لم يكتب لها البقاء الطويل ، وكثير منها لم يتجاوز الأعوام القليلة . وليس لذلك سبب سوى انها كانت وليدة ظروف ودعايات كانت تقوم بها السلطة الحاكمة لتشتيت امر الشيعة ، واضعاف جانب الائمة من عترة النبي (ص) ولم يبق من الفرق الا الزيدية ، وهم الأكثرية من سكان اليمن ، ومن ائمتهم اليوم الامام احمد خليفة ابيه المغفور له الامام يحيى ، وهذه الطائفة تدين بما عليه بقية المسلمين في اصول الاسلام وفروعه كما جاء في الكتاب والسنة .

والاسماعيلية ويوجد منهم عدد ليس بالقليل في الهند ، ويقال لهم البهرة ، ولم يعرف عنهم التمسك بما كان ينسب الى بعض الفرق من اسلافهم .

والعلويون ويوجد منهم في سوريا ولبنان عدد غير قليل ، والمعروف عنهم أنهم لا يقولون بمقالة اسلافهم القدامى ، ويرون رأي اخوانهم المسلمين في الأصول واكثر الفروع ، ولو فرض انهم اليوم على مامضى عليه اسلافهم ، فلا نتحاشى في خروجهم عن الاسلام فضلا عن التشيع .

# عقيدة الشيعة في زيارة قبور الأئمة

أن من رجع الى تاريخ الأمم على اختلاف عقائدها ونزعاتها ، يعلم انها تقدس العظماء والقادة من ابنائها المصلحين ، ولربما تخرج بذلك عن المألوف ، فترفعهم الى حدود الآلهة ، كما حدث ذلك في عظماء الهند والصين وغيرهما من عظماء العالم ، فالذكريات تقام على مدى الاعوام ، والألقاب الضخمة تكال للاحساب اعترافاً لهم بالجميل ، وتقديراً لجهودهم المبذولة في خدمة الانسانية ، وتصبح اعمالهم درساً نافعاً للأجيال يقودها الى ما فيه افضل الغرس واطيب الثمر .

ولم يكن للشيعة منذ بزغ فجر التشيع الى اليوم الذي نعيش فيه ، عرف خاص ، ولاعادة تخالف المألوف عند الناس ، وانما نهجوا في جميع حالاتهم نهج غيرهم من الأمم والطوائف ، رأوا في علي وبنيه افضل ما انجبته الإنسانية بعد الانبياء ، وخير ما تقوم به العظماء والقادة من الأعمال ،فكانوا معهم احياء وامواتاً كما ينبغي لأمة تريد ان تفي لعظمائها وقادتها ، فلم يرتفعوا بهم عن وظيفة المخلوق ولم يبلغوا بهم ما بلغته الأمم بعظمائها من قبل ، عظموهم احياء وقدسوهم امواتاً ، لأنهم نهجوا نهج الرسول

الأعظم وتمسكوا بكتابه ، لن يفترقا حتى يردا على رسول الله ، حاربوا الباطل واهله ، وخدموا الإنسانية خدمة تكفل لها النجاح لو قدر لها أن تسير على نهجهم القديم ، وسبيلهم الواضح . أمعن حكام الجور في تعذيبهم وتشريدهم والدس عليهم وامعنوا في معارضتهم غير مسالمين ، ولا مهادنين ، مهما بلغ الحكام في تعذيبهم والتنكيل بهم ، ليعيش الإنسان في ظل العدل والمساواة والحرية ، آخرهم كأولهم ، يستوحشون من الدنيا اذا لم تكن سبيلا لاسعاد الانسان ، ويأنسون بالليل ووحشته لاداء بعض ما يجب لله على خلقه .

ولو أدرك ضرار آخرهم لوصفهم جميعاً بمثل ما وصف به علياً ، يوم قال له معاوية صف لي علياً يا ضرار ، ولا اريد أن اذكر الآن فضائلهم ، فلقد دون لهم التاريخ ما يملأ عشرات الكتب من المزايا الطيبة ، والآثار الحميدة بالرغم من الرقابة الشديدة التي وضعتها السلطات في زمانهم ، على الرواة وحفاظ السنن والأحاديث . وما زالت آثارهم انفع ما يقدمه التاريخ للأجيال مهما بلغ الإنسان وتطورت الحياة ، وإنما اريد أن ما تقوم به الشيعة من الذكريات والزيارات ، في كل عام لشهيد الإباء والعظمة ، والأئمة الهداة علي وبنيه لا يزيد عما هو متعارف عند جميع الناس من الاحتفالات والذكريات ، تكريماً لما كانوا يعملون لاجله ، ويهدفون اليه من الجهاد المقدس ، والثورة على الظلم واغتصاب الحقوق والحريات ،وتكريماً للبطولة والتضحية واعتزازاً بالاباء والكرامة .

ولم تكن اهداف علي وبنيه وشيعتهم ومحبيهم فحسب،وأنما كانت للانسانية جمعاء ، كرسالة الانبياء والمصلحين .

يحتفل الشيعي بذكرى الحسين (ع) في العشر من المحرم من كل عام ، وفي كل يوم من ايام السنة ، ويقصد زيارة علي والحسين ويبذل في سبيل ذلك الأموال الطائلة ، بقلب خاشع ، ونفس مطمئنة ، لا ليقدس الأحجار الذي بقي فيه ذلك الصرح المقدس ، ولا ليشاهد ذلك الذهب الوهاج ، وانما يقصد من الزيارة والذكريات ان يعاهد الله في ذلك الحفل ، وفي تلك البقعه المباركة التي أريقت على تربتها تلك الدماء الزكية وتقطعت فوقها الأجساد الطاهرة ، في سبيل الحق والعدل والحرية ، أنه يحيا ويموت على ما مات عليه علي والحسين وابناؤهما الطيبون ويتخذ من سيرتهم درساً نافعاً وسبيلا الى ربه الكريم .

وعندما يقف الزائر على قبور اولياء الله يقول : اشهد أنكم اقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وامرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، ونصحتم لله ولرسله ، إني سلم لمن سالمكم ، وحرب لمن حاربكم ، محقق لما حققتم ، ومبطل لما ابطلتم ، فاسأل الله أن يجمعني معكم على الحق والهدى ، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة

يردد الزائر فضلهم في الزيارة ، ويمجد بطولتهم ويعتز بابائهم وكرامتهم ويتمنى لنفسه ولمن يحب أن ينهج على نهجهم ويحيا ويموت على ما عاشوا وماتوا عليه .

ولقد كان ائمة الشيعة يحرصون اشد الحرص ، لتبقى تلك المأساة حية في نفوس المسلمين يتحدثون بها في كل زمان ،

وتصبح جزءاً من حياتهم تدفع بهم الى الثورة على الباطل والاخلاص للحق والجهاد في سبيل مبادئ القران الكريم .

ولقد قال الامام الصادق لبعض اصحابه اتذكرون ما صنع بجدي الحسين ؟ لقد ذبح كما يذبح الكبش ، وقتل معه سبعة عشر شاباً من بيته واخوته ، ما لهم على وجه الأرض من مثيل فليس مقصود الإمام بذلك أن يغتصب الدموع من مآقيهم ولا أن يثير احزانهم للماضين من ابائه ، وانما يريد بذلك ان يغرس في نفوس الناس عظمة الحق ، والاستهانة بكل شيئ في سبيله ، كما صنع جده الحسين (ع) فضحى بكل ما لديه من مال وبنين وأخيراً بنفسه الكريمة وهي نفس رسول الله في سبيل العدل والحرية والمساواة .

ويقول الامام الرضا (ع) وهو يحدث اصحابه عما جرى على الحسين وصحبه الطيبين ، فقل متى ذكرتهم ، يا ليتني كنت معكم ، فافوز فوزاً عظيماً . يريد من اصحابه أن يكونوا مع اصحاب الحسين ، بروحهم وعزيمتهم ، وايمانهم بمبادئ القرآن وسنن الانبياء والمصلحين ، العاملين لخير الانسان ، يريد أن يقول الإمام : لكل زمان ظالم كيزيد وجبار كعبيد الله بن مرجانة . فكونوا في زمانكم على الظالم الجبار ، كما كان اصحاب الحسين على يزيد واتباع يزيد . وهكذا يجب ان يقول كل انسان في كل زمان ، ياليتني اكون مع اصحاب الحسين لافوز فوزاً عظيماً ،ولقد خاطبهم الامام الصادق بقوله : اشهد انكم أحياء عند ربكم ترزقون ، فهم الأحياء عند الله وعند الناس وما زالت

ثورتهم من انفع الدروس للانسان .

لهذا تهدف الذكريات والزيارات ، التي يقوم بها شيعة اهل البيت ، ولهذه الغاية أمر أئمتهم بها ، وقد اتخذ اعداء الشيعة من هذه الذكريات وصمة على الشيعة فنسبوا اليها عبادة القبود والمغالات في تعظيمها ، وذهبوا الى أن الشيعة يستبدلون الحج بالزيارة ، ولم يرجعوا الى الشيعة انفسهم ليعلموا أن الشيعة لا يرون الزيارة من الفرائض ، وانما يرونها من الاعمال الراجحة بثبات فاعلها ، ولا إثم على تاركها ، ولا يضر تركها في التشيع اذا لم يكن عن استخفاف بعترة النبي (ص) .

وليس الأمر في الحج كذلك ، فتركه مع الاستطاعة والقدرة على الاتيان به من الكبائر ، ومع الانكار لوجوبه خروج عن الاسلام ، لانه يؤدي الى تكذيب القرآن الكريم والرسول الأعظم ، ولقد وردت الأحاديث عن النبي واوصيائه في فضل الكعبة . قال الامام الصادق (ع) ما خلق الله بقعة في الارض احب اليه من الكعبة ، ولا اكرم عليه منها .

وفي كثير من الأخبار من استطاع ولم يحج مات على غير الاسلام. فالحج في دين الاسلام فريضه كالصلاة والصيام وغيرها من الفرائض ، ومضى الكتاب الكريم على ذلك . قال سبحانه : ( ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ) وليس الأمر كذلك في زيارة قبور اهل البيت .

وان أعظم حقوق الرسول على امته تعظيم عترته ، والتمسك بولائها ، وأخذ معالم الدين عنها ، وحديث الثقلين ، يامرنا

بالرجوع اليها ، والى القرآن ، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً . وفي الحديث المتواتر : مثل اهل بيتي كسفينة نوح من تمسك بها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى .

فهل يعاب على الشيعة بعد ذلك لإنهم اتبعوا سيرة الرسول ، واحبوا عترته ووفوا لنبيهم في ذريته ، وقد جعل الله أجر رسالته مودة قرباه ، قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى

# مصادر الكتاب

•


مجمع البيان للطبرسي

شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد

مروج الذهب للمسعودي

الكامل لابن الأثير

الحق اليقين للسيد عبد الله شبر

المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين

كشف الحق ونهج الصدق للعلامة الحلي

شرح التجريد للعلامة 〃

الحادي عشر للعلامة 〃

اوائل المقالات للشيخ المفيد

الفصول المختارة للشيخ المفيد

مع الشيعة الامامية للشيخ محمد جواد مغنيه

جعفر الصادق للاستاذ احمد مغنيه

الوافي لمحسن الفيض

اصول الكافي للكليني

| | |
|---|---|
| الإرشاد | للشيخ المفيد |
| الغيبة | للشيخ الطوسي |
| الملل والنحل | للشهرستاني |
| فرق الشيعة | للنوبختي |
| العدة | للشيخ الطوسي |
| الإعتقادات | للصدوق |
| الإعتقادات | للمجلسي |
| الشيعة في التاريخ | للشيخ محمد حسين الزين |
| الشيعة | للشيخ محمد حسين المظفري |
| تذكرة الخواص | لابن الجوزي |
| ينابيع الموده | |
| حقائق الأصول | للسيد محسن الحكيم |
| فرائد الأصول | للشيخ مرتضى الأنصاري |
| الأمالي | للسيد المرتضى |
| المعارف المحمديه | للشيخ محمد الخالصي |
| زيد الشهيد | للسيد عبد الرزاق المكرم |
| غاية المرام | للسيد هاشم البحراني |
| منهج المقال | للاسترابادي |
| الأدب في ظل التشيع | للشيخ عبد الله نعمه |



# الفهرست

●

صحيفة



ثمن النسخة : ٣٠٠ ق. ل

مطبعة دار الكتاب - بيروت